Established
05
October
2005
Sydney

Al-Iraqia Australian - Cultural and artistic

العراقيّة الأستراليّة

جريدة ثقافيّة فنيّة مستقلّة

تأسّستْ
في 05
إكتوبر
2005
سيدني

إقرأ في "العراقية الاسترالية"

ملف الشاعر والمناضل (مظفر النواب)

الذي هزّ اركان القوى الرجعية والتخلف في عقر دارها..!!

Al-Iraqia Australian newspaper

Issued from Sydney and distributed all the world

Established 05 Oct 2005 Sydney

العِراقيَّة الأستراليَّة

جريدة ثقافيَّة فنيَّة مستقلَّة

تأسَّسَتْ في 05 إكتوبر 2005 سيدني

Dr. MUWAFAQ SAWA
Editor in Chief

رئيس التحرير : د. موفق ساوا // نائب الرئيس : هيفاء متي

تصدر يوم الأربعاء في سيدني، وتوزع إلى جميع أنحاء العالم

Wednesday, 01 June 2022 Issue No. 824 Year : 17

aliraqianewspaper@gmail.com Mob: 0431 363 060 - 0423 030 508

اقرأ "العراقية الأسترالية" الصادرة يوم الأربعاء، بموقع ألواح سومرية معاصرة على الرابط :

http://www.somerian-slates.com/2020/01/01/11096/

AJJ BUILDING SERVICES

Concreting & Landscaping

* Commercial / Residential
* Excavation and dirt removal
* Full qualified and licensed
* Retaining walls
* Garden design
* Natural grass
* Artificial grass
* Fencing

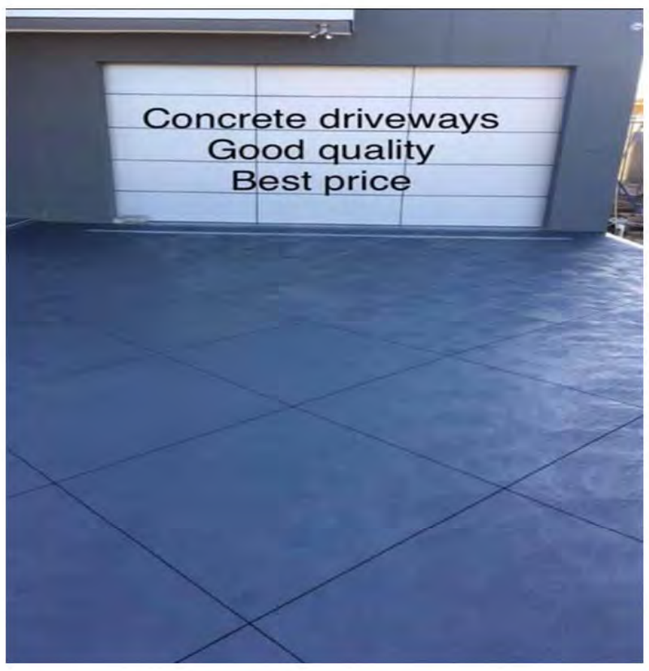

0431 040 909
Free Quote

لجەكتق د COVID-19 ق بجدق ەئتق كجكتق

ژنیشك مكو دژسەفو وخەسەوجو فتجەفو جەسەوجو ەژسەو مكو ژنیشك فتجەفو جەسەوجو ەژسەو مكو ژنیشك فتجەفو جەسەوجو ەژسەو مكو ژنیشك

الثائر مظفر، صخرة صماءٍ سَقطتْ على رؤوس الرجعية والعملاء

العراقية الأسترالية تؤبّن شاعر الثورة مظفر النوّاب

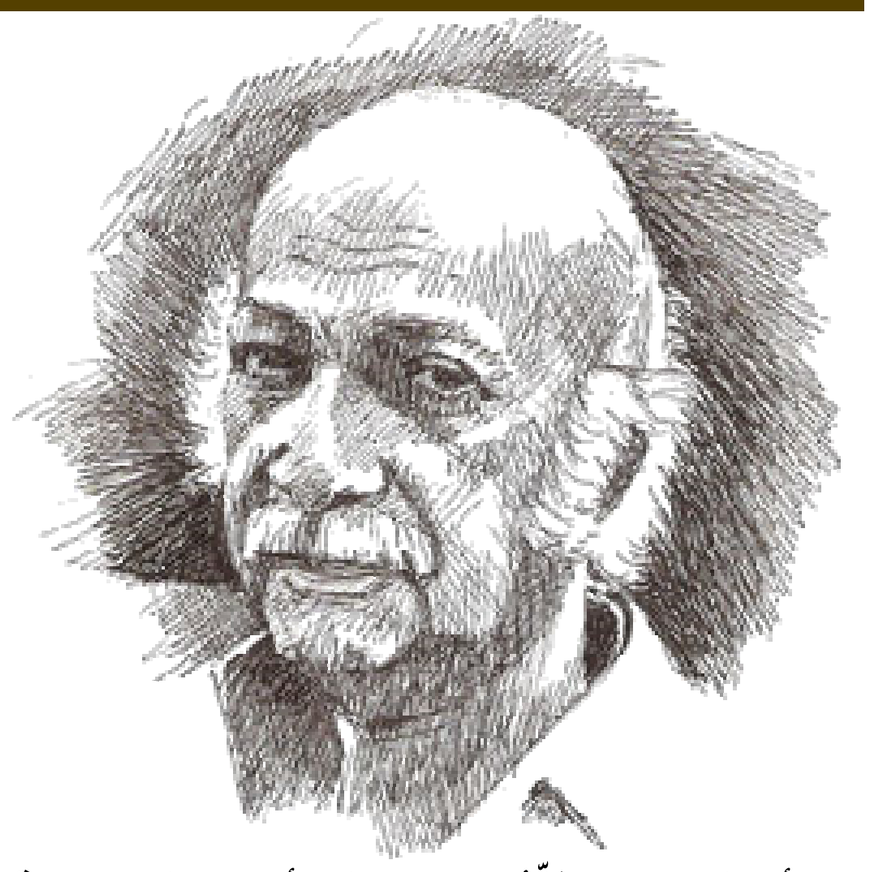

أخيرًا عاد مظفّرُ النوّاب إلى أرضِ العراقِ وقد ناهزَ الثامنةَ والثَّمانينَ سنةً...عادَ مَحْمُولاً على الكواهِلِ عزيزًا شامِخًا بعد حياةٍ قضّى جُلّها في المَنافِي مُتَنَقّلاً اضْطِرارًا بينَ عَواصِمَ عربيّةٍ وأخرى أوروبيّةٍ ...عاد جُثمانُهُ من مستشفى الشارقة أمّا روحُه فلم تُغادرِ العراقَ يومًا و لَمْ تَتَخَلَّ عن قضايا الكادِحينَ عُمّالاً و فلاّحينَ رغْمَ الإغراءاتِ التي عُرِضَتْ عليه، وإذْ لم ينفعْ معهُ الترغيبُ جَرّبوا معه الترهيبَ : سجنٌ و نفيٌ وحكمٌ بالإعدامِ سيُخَفَّفُ إلى سجنٍ مؤبّدٍ فمحاولةُ اغتيالٍ باليونانِ سنة 1981...

حُرِمَ حتّى من حقِّ الانتماءِ إلى وطنِه و سيدخُلُه ذاتَ مرّةٍ بجوازٍ ليبيٍّ لكنَّ الرَّجُلَ لم يَبِعْ ضميرَه ولم يتخلَّ عن ثوابتِهِ ولم ينْحَرِفْ عن نَهْجِهِ الثّوْريِّ تَصْدَحُ به قصائدُه مُساندَةً قضايا العدْلِ والحرِّيَةِ، مُعَبِّرَةً عن آلامِ الكادحينَ وآمالِهِمْ...

كانَ خطَرًا على قُوى الظُّلْمِ والقمعِ وسيظَلُّ، وكانَ شاعرًا مُلْتَزِمًا بالقَضيّةِ بوطنه والوطن العربي، سَيَظَلُّ صَوْتُهُ يُذَكِّرُ حُكّامَ العرَبِ وقوى الظلام عبْرَ التاريخِ بجُبْنِهِمْ وسَفالَتِهم و يُدِينُهُمْ إذْ يقُولُ:

القُدْسُ عَروسُ عُروبَتِكُم
فَلِمَاذا أدْخَلْتُمْ كُلَّ زُنَاةِ اللّيْلِ إلى حُجْرَتِها
وَوَقَفْتُمْ تستَرِقُونَ السَّمْعَ وراءَ الأبْوابِ لِصَرَخَاتِ بَكَارَتِها؟

لعلّ مظفّر النواب كان يتمَنّى لو دخلَ العراقَ ماشِيًا بينَ الناسِ مُخْتَفِيا بهم مُسْتَمْتِعًا بِبَسَاطَتِهِمْ وصِدْقِ عواطِفِهِمْ لكنّه عاد جُثْمانًا باردًا مَحْمُولاً على الأكتافِ أمّا شِعْرُهُ فسَيَظَلُّ صَرْخَةً الحَقِّ في عالَمِ الظُّلْمِ وسيَنْبَعِثُ منه ألــفُ مُظفّر و مُظفّر وسيمْتَدُّ ضوْءَ سِراجٍ تهتدي به الأجيالُ اللاحقَةُ ورَوْحَ سلامٍ طالما حَلُمَ به الشاعرُ، فسلامًا لروحِك شاعرَ الثورةِ.

ستبقى صخرة صماء تسقط على رؤوس الرجعية والعملاء.

من قصائدهِ المشهورة قصيدة

(البراءَة)

الأم

يا بني ظلعك من رجيته
لظلعي جبرته وبنيته
واحسب الشيب اللي من عمرك جنيته
يا بني طش العمى بعيني
وجيتك بعين القلب أدبي على الدرب المشيته
شيلة العلاكة يا بني
تذجر جفوفي بلعب عمرك عليهن
سنة وجفوفك وردتين على راسي
وبيج أناغي كل فرح عمري النسيته
يابني شوفك يبعث الماي الزلال بعودي
و أحيا
وانه ميتة
أبيض عيونك لبن صدري
وسواد عيونك الليل اللي عد مهدك بجيته
وأبنك التوه يناغي الخرز بالكاروك يابني
كتله لاتخاف اليتم جده
كتله يابن وليدي من يجبر على الأيام
تلكه حزام ابوك الماطواني وما طويته
تلكه منه خطوط اضمهن حدر ضلعي
لحد ما موت بعز على السر الحويته
ياعمد بيتي وكمر ليلي
وربيع الشيب والعمر الجنيته
جيت اهزك يا عمد بيتي
يكون الدهر ظعظع عظم منك للخيانة
وساومت جرحك على الخسة وخفيته
يابني خلي الجرح ينظف
خله يرعف
خله ينزف
يا بني الجرح اليرفض شداده
علم الثوار يرفرف
يابني لبن الجلب يرضع من حليبي
ولا ابن يشمر لي خبزة من البراءة
يابني ياكلني الجلب عظم ولحم
وتموت عيني ولا دناءة
يابني هاي ايام بفرزنها الكحط ايام محنة
يا بني لا تلثم شرفنا
يا بني يا وليدي البراءة تظل مدى الأيام عفنة
تدري يابني بكل براءة
كل شهيد من الشعب ينعاد دفنه
وخلي ايدك على شيبي
واحلف بطاهر حليبي
كطرة كطره
وبنظر عيني العميته

الاخت

خوي كابلت السجن
حر وبرد ليلي ونهاري
تحملت لجلك شتايم على عرضي
واشعلت ليلي بنهاري
تالي تهتكني بخلك وصلة جريدة
كرة عيونك يخوي بهاي جازيت انتظاري
بهاي اكابل كل اخت تنتظر منك ثار لعرضها
بهاي اكابل امهات اناس وهمومي افضها
جنت ارضى اتدوس اعظامي
وكلك حيل رضها
جنت ارضى تذبح جنيني
ولا براءة عار متبركع تجيني
ولا تكون الكاع تبلعني ش خبر الناس
والينشد شكله
شلون تجابل عيون المحلة
شلون اوصفلك وانت كلك عار وذلة
بعد كالك ارض وبانا وخبز
لاتصل يمنة وهاك اخذ عار الجريدة
ولف ضميرك والكرامة
مثل ما تبريت من شعبك
تبيرنا من اسمك
ياشعب هذا التشوفه موش ابنا

الصالون الثقافي يُقيم حفلَ تأبين مهيب في سيدني للراحل الكبير الشاعر والمناضل مظفر النواب

متابعة : القسم الإعلامي في الصالون تصوير : جليل دومان - منذر الحداد

سيدني، العراقية الاسترالية

شهدت سيدني اليوم تظاهرة وفاء وعرفان للراحل مظفرالنواب، حيث أقام الصالون الثقافي في منتدى الجامعيين العراقي الأسترالي بالتعاون مع جمعية الصابئة المندائيين حفلَ تأبين مهيب للكبير شاعر الشعب "سيّاب الشعر الشعبي العراقي" مظفر النواب، وذلك عصر اليوم السبت الموافق 28-5-2022 في تمام الساعة الرابعة والنصف عصراً، وعلى قاعة التعارف في المجمع المندائي في ليفربول، بحضور جمهور نوعي كبير غصت به قاعة الحفل، من مختلف الجاليات العربية، وبمشاركة نخبة مميزة من المبدعين والمبدعات من أستراليا والعراق، في إلقاء شهادات ونصوص مخصوصة للمناسبة، مع عرض فلم وثائقي للراحل بعنوان "مظفر النواب فينيق الشعر العراقي الشعبي" .

وقد تضمن برنامج الأمسية الفقرات التالية، بعرافة حفل من قبل الزميلين سلام الخدادي وسحر كاشف الغطاء:

1- كلمة الدكتور ناطق جاسم/ رئيس منتدى الجامعيين العراقي الأسترالي

2-كلمة السيد مرشد الحداد/ رئيس جمعية الصابئة المندائيين في استراليا

3-كلمة الشاعر والإعلامي وديع شامخ / مدير الصالون الثقافي

4-كلمة البرفيسور أحمد الربيعي/ رئيس جمعية الاكاديميين العراقيين.

5-قصيدة للشاعر فؤاد نعمان خوري

6-قصيدة للشاعر شوقي مسلماني

7-قصيدة للشاعر حيدر كريم

8-فلم وثائقي عن حياة مظفر النواب اعداد وديع شامخ واخراج رافق العقابي

9- مداخلة نقدية عن الشاعر النواب/ الكاتبة كاميليا نعيم

10- نص شعري للشاعرة سحر كاشف الغطاء

11-مساهمة متلفزة من الإتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق /للشاعر عمر السراي

12-كلمة صحيفة العهد الغراء / القاء خالدة العسكري

13-كلمة صحيفة العراقية الغراء/ القاء سلام الخدادي

14-مداخلة نقدية متلفزة للشاعر والناقد عقيل منقوش

15-قصيدة للشاعر بيان داغر جاسم

16-مداخلة متلفزة نقدية للشاعر أحمد الياسري

17-مساهمة غنائية متلفزة من الدكتور ناصر هاشم / عميد أكاديمية الفنون الجميلة في البصرة سابقا

18-مداخلة للسيد بكري جابر / عضو منتدى سودان اب الثقافي

19- حوارية مع النواب للدكتور قاسم حسين صالح

إلقاء الزميلة سو بدر الدين

20- شهادة حيّة عن تجربة النواب في السجون الإيرانية القاها الكاتب زكي فرحان، فيما تعذرت مشاركة الشاعر المبدع يحيى السماوي لظروف صحية قاهرة.

لقد كان الحفل لائقا بمكانة وسمو موقع النواب الشعرية والإنسانية والنضالية، رغم قصر فترة الإعداد وتربص بعض الاصوات النشاز ومحاولة تاثيرهم على اقامة الحفل بدواعي آديولوجية شوفينية.

ومن الجدير ذكره أن الصالون الثقافي قد تفرّد في سياسة تكريم الاحياء من المبدعين، وهو ما حصل مع الراحل الكبير بإقامة مهرجان سنوي للشعر الشعبي تحت عنوان "مهرجان مظفر النواب للشعر الشعبي" ليكون صنواً إبداعياً لمهرجان الجواهري السنوي للشعر الفصيح.

شكرا ومحبة لكل الفاعلين الذين شاركوا في مساهمات شعرية ونقدية وشهادات.

وشكرا للجمهور الكبير المتنوع على حضوره الفاعل حتى نهاية الأمسية، التي تعددت فيها الأصوات، شعرا ونقدا وشهادات حيّة لتكون لوحة بانورامية عن شاعر الشعب المناضل مظفر النواب.

الشكر لوسائل الإعلام

الشكر الجزيل لوسائل الإعلام المرئية والمسموعة، التي غطت الإحتفالية وهم كل من الزملاء:

الدكتور موفق ساوا رئيس تحرير جريدة العراقية الاسترالية

الاعلامي خليل الحلي رئيس تحرير جريدة العهد

الزميل سمير قاسم مدير قناة العراقية الفضائية

الزميل رافق العقابي

الزميل الدكتور علاء العوادي مدير مؤسسة سواقي الإعلامية

الزميل اركان الخميسي الاعلامي في جميعة الصابئة - المشرف على النقل الحي

الزميلة الاعلامية اللبنانية الهام حافظ من اذاعة 2me

الزميل صبري فزع من راديو صوت المندائيين.

The Sabian Mandaean
Association
In Australia LTD

abian Mandaean
Association
Australia LTD

رحيل شاعر الريل وحمد

لكن قطاره مازال يمضي قُدُماً
نحو الثورة والتغيير يصدح بحناجر الفقراء

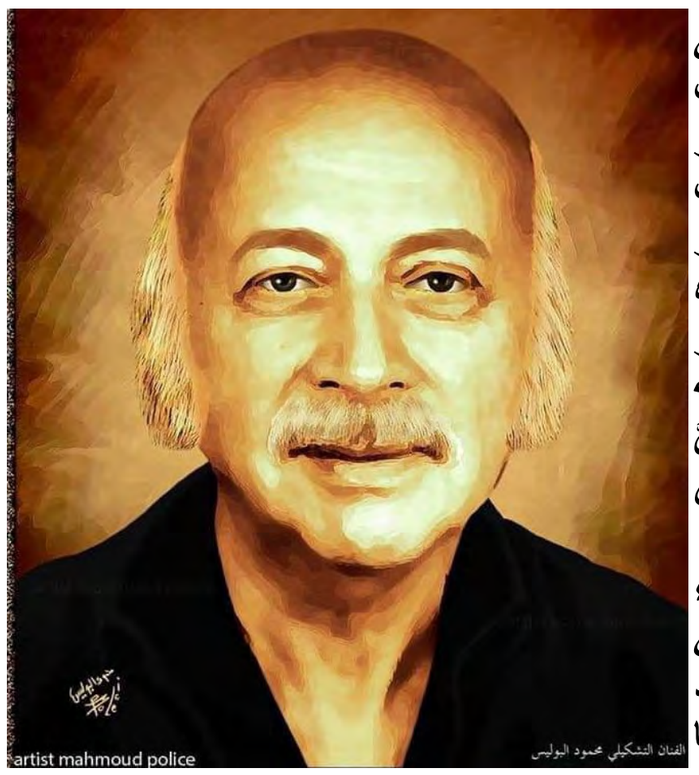

ينعى البرلمان الثقافي العراقي في المهجر إلى الشعب العراقي وشعوب منطقتنا شاعر الشعب، شاعر الفقراء والمعدمين، وصوت المكافحين من أجل الحرية والتنوير والأنسنة، مظفر النواب؛ الذي وافاه الأجل في منفاه الذي عاشه بأكثر من مكان وجغرافيا الأوطان لكنه الساكن في أحضان أهله أينما حلَّ وارتحل وهو يقارع غربة النفي عن وطنه الأم

رجل وهو يمتلئ شوقاً وتطلعاً للقاء معشوقته بغداد السلام، ليشارك في بنائها وتجديد إرثها واستعادة مجد أن تكون وارفة الظلال على أهلها لكنه، يرحل تاركاً مع إرثه الشعري الخالد شوقه لبغداد التغيير ولعراق الخير ورافديه يعودان بأمواههما لا بدماء الأبناء وليس بما يُرسل من أنظمة جوار في وديانهما من سموم أنظمة الإسلام السياسي والفاشية الدينية الجديدة

لقد ترنمت جماهير شعوب منطقتنا حتى بتلك الكلمات الحادة لكنها تلك التي فضحت حقيقة الأنظمة وكيف تاجرت بقضايا الناس وباعتهم وأوطانهم للأعداء يمدون أصابع التدخل والاستيطان مثلما "القدس عروس عروبتكم" وما تلاها وهي ما بقيت الصوت الواعي المدرك للمجريات حتى يومنا تتناقلها الأجيال، جيلا بعد جيل ومثلما قصيدته الأثيرة في حناجر الشعب المحفوظة في قلوبهم وضمائرهم " صويحب من يموت المنجل يداعي" وهما القصيدتان اللتان، مثلما شعره النابع من ضمائر أحرار وصادق كفاح يخوضونه؛ ستبقيان أنشودة للحرية والنضال حتى تلبية الأهداف السامية التي عاشها مرارة وآلماً في تفاصيل أيامه حتى رحيله وهو الذي ظل وفيا لالتزامه الثوري حتى الرمق الأخير..

لقد طورد النواب لالتزامه وتعرض للسجون مثلما المنافي وتوبع ذلك بتغافل وإهمال متعمد من نظام كليبتوفاشي كان ومازال وريث الفاشية الدموية الأبشع تلك التي بدأت في انقلاب 63 وما تلا من تقلبات ومناورات دع عنكم طابع المسارات التي قدمت فلسطين والقدس على مذابح مازالت تعيد تمظهراتها وذرائع عبثها بدماء شعوب المنطقة ومنظومة قيم السلام

إن رحيل قامة كما مظفر النواب ليس إلا محطة لن تكون الأخيرة لمن ترك خلود الذكر الكفاحي يواصل بكلمته الفعل تثوير الضمائر الحية الملتزمة الواعية بتنويريته وبسطوع شموس قصائده عنواناً للآتي من انتصار الشعوب للسلام والتقدم ودمقرطة الحياة ودحر كل أشكال التمظهرات الفاشية وحروبها ومعاركها الإقليمية منها والدولية بالانتصار للأممية سلاماً ولأنسنة خطاها ولتحقيق الخضرة بتحالفات قوى الحياة والإشراق وإنهاء الظلام وكل ما يغذونه تحت جنحه من تلاعب بمصائر الشعوب والإنسان الساعي للحرية ولكامل الحقوق الوجودية

إننا اليوم لا ننعى رحيلا بوفاة جسد ومواراته الثرى ولكننا نستشرف في هذا الحدث الجلل، بالحناجر الشعبية الإنسانية التي سترد قصائده وترتديها قلائد وأوسمة للحرية والانعتاق.. ولتخليد مسيرة الكفاح من أجل فعل البناء يهزم الهدم والخراب ويعمّر الأرض اليباب ويحيلها إلى خضرة ونماء كما كانت دوما وكما أرادها في قصيده وهو ما نثق به اليوم إذ نرى مظفر النواب محفوظا في الضمائر محمولا في القلوب والعقول رمزاً للثورة ومتابعة للمسيرة والانتصار على جراحات غائرة ستعالجها شعوبنا وتنتصر الإنسانية لها وسيكون شعره محكيا مرويا على ألسن الناس بلغات الأرض بين بساتين المحبة والخير

لك المجد والخلود والذكر الطيب ولكل حافظي العهد الانتصار والانعتاق وإنهاء أضاليل من عبث ومازال يحاول فرض عبث الجريمة بحق البشرية.. إنما العزاء أن صبر الشعوب سينتهي بانتصار للسلام والأنسنة والفرح برغم ما تركه رحيل شاعر المحبة والعشق الإنساني في غربته ومنفاه من فاجع الألم وحدثه الكبير الجلل

نم قرير العين فمازال ورثة مشوارك يحملون رموز الثورة التي قضيت العمر من أجل انتصارها الحتمي الآتي وستبقى ثقافة الكفاح من أجلها عالية الصوت بما أسست من إرث كبير لثقافة الأنسنة والحياة

البرلمان الثقافي العراقي في المهجر
في 20 مايو أيار 2022

مظفر النواب..

رحل الشاعر الذي أغضب الأنظمة العربية!

ولد مظفر النواب في بغداد عام 1934 لعائلة شيعية أرستقراطية ذات أصول هندية وكانت تهتم للغاية بالفنون والآداب والشعر والموسيقى، وكثيراً ما كان قصر العائلة المطل على نهر دجلة مقراً لجلسات وحوارات شديدة الثراء بين الكتاب والشعراء والسياسيين.

كانت العائلة تحكم إحدى الولايات شمالي الهند قبل الاحتلال البريطاني، وقاومت العائلة الاحتلال ما أثار حفيظة الحاكم الإنجليزي للمنطقة وتصاعدت المواجهة حتى اختارت العائلة المنفى السياسي في بغداد.

منذ صغره، بدأت موهبته الشعرية في اللمعان، وكان ينشر قصائده في مجلات الحائط المدرسية.

تمتع النّواب أيضاً بأسلوب شديد الجذب خلال إلقائه الشعر ما خلق له قاعدة جماهيرية عريضة للغاية في العالم العربي. لكن الأسرة الثرية تعرضت لأزمة مالية عنيفة فقدت على إثرها أغلب ثروتها حتى أنه أكمل دراسته بكلية الآداب بصعوبة.

التحق النواب بالحزب الشيوعي العراقي

التحق النواب بالحزب الشيوعي العراقي وهو لا يزال يدرس في جامعة بغداد، وتعرض للاعتقال والتعذيب. وبعد الثورة العراقية عام 1958 التي أطاحت بالنظام الملكي، عين مفتشًا في وزارة التربية والتعليم.

في عام 1963، اضطر لمغادرة العراق إلى إيران بعد أن احتدمت المنافسة بين القوميين والشيوعيين - والذي كان واحداً منهم - ما عرضه لملاحقة ومراقبة صارمة من قبل النظام الحاكم.

وفي إيران تم اعتقاله وعذب على أيدي قوات السافاك الإيرانية فيما كان في طريقه إلى روسيا، قبل أن يعاد قسرًا إلى السلطات العراقية. صدر بحقه حكم بالإعدام بسبب إحدى قصائده، لكنه خفف لاحقاً إلى السجن المؤبد .

وعلى طريقة الأفلام الهوليودية، نجح النّواب في الهروب من السجن بأن حفر هو وعدة سجناء سياسيين نفقاً تحت السجن وصل إلى خارج الأسوار، وهي العملية التي أحدثت ضجة كبرى وقتها ليس في العراق وحده وإنما في الدول المجاورة أيضاً.

بعد هروبه قضى فترة متنقلاً بخفاء بين المدن العراقية إلى أن صدر في عام 1969 بيان بالعفو عن المعارضين فعاد إلى منصبه كمدرس بإحدى المدارس.

سافر النواب إلى بيروت، وبعدها انتقل إلى دمشق، وظل يتنقل بين العواصم العربية والأوروبية، وتعرض لمحاولة اغتيال في اليونان عام 1981، ليقضى نصف عمره ما بين مطارد وهارب.

شاعر ثوري

برز النواب كشاعر يعبر عن هموم وقضايا عربية حارقة كا يتناول في قصائده بلغة شعرية لاذعة صراعات المنطقة، إذ لم يركز شعره على العراق وحده الذي كتب فيه بالعامية العراقية قصائد ساحرة ومؤثرة، بل تناول أحوال العالم العربي في أشعاره التي حفلت بروح التمرد والثورة على الديكتاتورية والسلطوية.

إنحاز النواب لقضايا الفقراء والبسطاء والعدل ومناهضة الاستغلال والاستعمار وأنظمة الحكم السائدة، ما عرضه للغضب داخل وخارج وطنه واضطر لاحقاً للعيش منفياً في غربته التي ناهزت نصف قرن تقريباً.

اشتهر بقصائده الثورية القوية والنداءات اللاذعة ضد الطغاة العرب، وأثارت قصائده المشاعر ضد الأنظمة القمعية والفساد السياسي والظلم، مستخدماً في ذلك لغة شديدة القسوة حتى أنه استخدم ألفاظاً نابية من حين لآخر، ما فاقم من عداوة الكثير من الأنظمة له.

من أشهر قصائد النّواب:

تريات ليلية، القدس عروس عروبتكم، الرحلات القصية، المسلخ الدولي وباب الأبجدية، بحار البحارين، قراءة في دفتر المطر، الاتهام، بيان سياسي، رسالة حربية عاشقة، اللون الرمادي، في الحانة القديمة، جسر المباهج القديمة، ندامى، اللون الرمادي، الريل وحمد، أفضحهم، زرازير البراري.

عماد حسن

"ميت منذ 2005".. مظفر النواب "شاعر القصيدة المهربة"

بسبب ميوله السياسية وشعره الثوري

قضى النواب أكثر من نصف حياته في المنفى

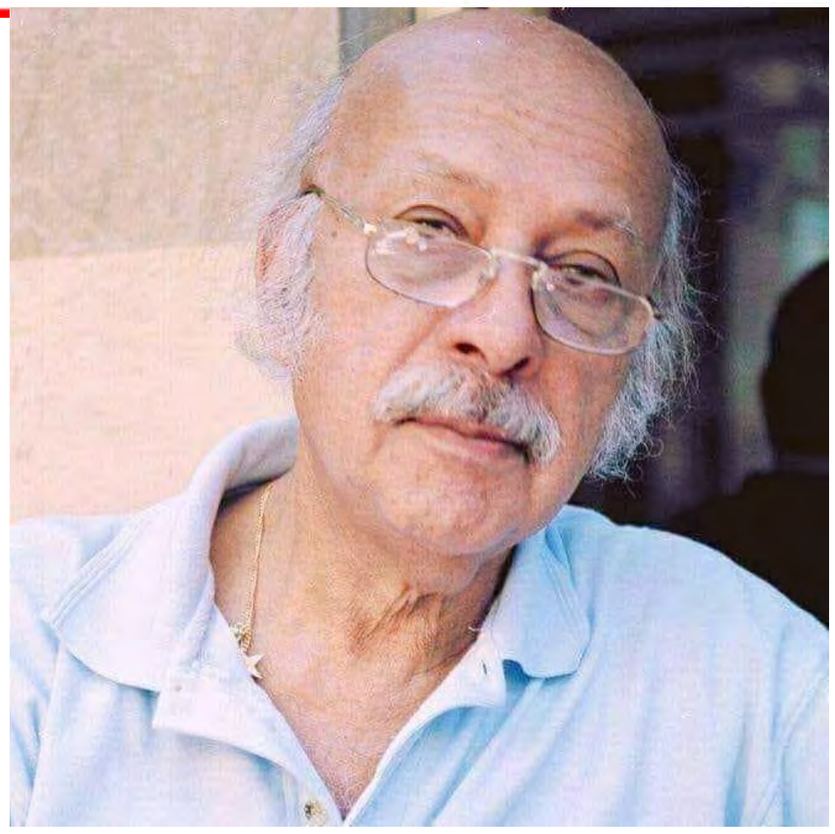

"هو ميت منذ عام 2005" يقول الكاتب والروائي السوري إبراهيم الجبين في تعليقه على وفاة الشاعر العراقي الكبير مظفر النواب.

وأعلنت وفاة النواب، الجمعة، في أحد مستشفيات الشارقة في دولة الإمارات عن عمر ناهز 88 عاما بعد صراع طويل مع المرض.

وفاة الشاعر العراقي مظفر النواب

عرف النواب، المولود في أحد أحياء بغداد القديمة عام 1934، بإسلوبه الفريد في نظم الشعر وإلقائه باللغة الفصحى واللهجة العامية.

مظفر النواب هو أحد أبطال رواية "عين الشرق" التي كتبها الجبين وتحدث في بعض أجزائها عن جوانب "حياة النواب غير المعروفة" بالنسبة للكثيرين وعلاقته مع والدته.

غياب والدته

يقول الجبين لموقع "الحرة" إن والدة النواب كانت سيدة بغدادية "فريدة من نوعها" وعازفة بيانو وهي من ربته على تذوق الفنون.

استمرت صداقة الجبين، الذي يعيش اليوم في ألمانيا، بالنواب منذ عام 1989 عندما كان الشاعر العراقي يسكن في المنفى في دمشق.

عندما التقاه آخر مرة كان يشكو من صدمة مستمرة في حياته وهي السبب في رحيله اليوم، وفقا للجبين، الذي يشير إلى أن النواب كان قويا جدا جسديا ويهتم بصحته كثيرا، لكن وفاة والدته كان لها الأثر الأكبر في وفاته اليوم.

ويضيف أن "اللحظة التي تبلغ فيها بوفاة والدته كانت لحظة صادمة، لم يكن يتوقع أن تموت هذه المرأة."

يروي الجبين اللحظات الأولى التي عاشها النواب عند سماع نبأ وفاتها وكيف أثرت بعد ذلك عليه بحيث أصبح إنسانا مختلفا.

"اتصل ليطمئن عليها في بغداد في أحد أيام عام 2005.. أخبروه أن لا أحد في المنزل.. فسألهم أين ذهبوا، أجابوه أنهم في طريقهم من المقبرة لأنهم كانوا يدفنون والدته ."

يتابع الجبين "مباشرة أصيب بصدمة، وهذه الصدمة حسب وصفه وتعبيره اختارت أضعف ركن من أركان جسمه وهو جهازه العصبي."

بعد تلك الحادثة الحزينة على قلب النواب تم تشخيص إصابته بمرض الشلل الرعاشي وظل عليلا مذاك.

يقول الجبين "هو مات من تلك اللحظة، ولم يعد مظفر الذي اعتدنا عليه، الإنسان الفرح حتى في قصائده الحزينة تتلمس الفرح والاحتفال بالمحبوب والتفاؤل ولا يوجد عنده يأس.. فقدانه لوالدته دمر روحه من الداخل."

الشعر الثوري

بسبب ميوله السياسية وشعره الثوري قضى النواب أكثر من نصف حياته في المنفى بعيدا عن بلده الأم متنقلا بين سوريا ولبنان وليبيا ودول أخرى.

بدأت موهبة النواب الشعرية تظهر منذ أن كان في مرحلة الدراسة الابتدائية وحتى الثانوية قبل أن يدرس في كلية الآداب التي تخرج فيها عام 1956 ويتم تعيينه بعدها مفتشا فنيا بوزارة التربية. انتمى في شبابه إلى الحزب الشيوعي العراقي وناضل في صفوفه.

شهدت تلك الحقبة من تاريخ العراق فترة انقلابات وصراعات شديدة بين الشيوعيين والقوميين الذين سيطروا على الحكم بعد انقلاب عام 1963 لتتم ملاحقة النواب ورفاقه، مما اضطره إلى الهرب لإيران محاولا التوجه للاتحاد السوفيتي السابق في حينه. لكن المخابرات الإيرانية اعتقلته وسلمته للسلطات العراقية ليحكم عليه بالإعدام ومن ثم يخفف الحكم للسجن المؤبد.

دخل السجن في نهاية عام 1963 حيث كتب قصيدته الشهيرة (البراءة) التي تعد واحدة من أهم ما كتب.

احتجز النواب في سجن "نقرة السلمان" سيئ الصيت المخصص في حينه للمعتقلين السياسيين، وبعدها نقل إلى سجن الحلة في محافظة بابل حيث تمكن من الهرب بطريقة مثيرة بعد حفر نفق من زنزانته إلى خارج أسوار السجن.

استمر هاربا حتى عام 1969 عندما صدر عفو عام عن المعارضين السياسيين فغادر بعدها العراق وتنقل بين عدد من العواصم العربية منها بيروت ودمشق وعمان.

الريل وحمد

خلال تلك الفترة أنهى النواب أول دواوينه وكان باللهجة العامية العراقية وحمل عنوان قصيدته الشهيرة "الريل وحمد" والتي بدأ في كتابتها عام 1956 وانتهى منها عام 1958.

خرجت من هذا الديوان أشهر الأغاني العراقية، ومنها "الريل وحمد" و"البنفسج"، التي غناها المطرب العراقي المعروف ياس خضر.

اهتم كثيرا بالقضية الفلسطينية وكتب عنها عشرات القصائد منها قصيدة (القدس عروس عروبتكم) التي هاجم فيها القادة العرب بألفاظ حادة وبسببها منعته معظم الدول العربية من دخول أراضيها فكان يلقب بـ "شاعر القصيدة المهربة."

في عام 1976 أثارت قصيدة "تل الزعتر" عن أحداث مخيم تل الزعتر للاجئين الفلسطينيين في لبنان موجة غضب جديدة ضد الشاعر العراقي مما اضطره للترحال من جديد وانتقل إلى ليبيا.

دأب على انتقاد قمم جامعة الدول العربية فكان يكتب قصيدة عقب كل قمة يهاجم فيها المواقف السياسية لقادة المنطقة ومن هذه القصائد (دوامة النورس الحزين) و(القمة الثانية) و(تكاثرت القمم)

من قصائده أيضا (بنفسج الضباب) و(في الحانة القديمة) و(قراءة في دفتر المطر) و(يا حزن) و (عائلة القطط) و(يا جهيمان). ورغم تأثره بالأوضاع السياسية التي عاصرها وكتب عنها جاءت قصائده الأخرى في الحب والغزل عذبة ورقيقة.

صدام والأسد

بعد صعود حزب البعث إلى السلطة في عام 1968 وإصداره عفوا عاما عن السجناء السياسيين التقى النواب بصدام حسين، الذي كان يشغل في حينه منصب نائب رئيس الجمهورية.

عن هذه الحادثة يقول النواب في مقابلة متلفزة سابقة إن اللقاء استمر لنحو ساعتين في بغداد حيث أبلغه صدام أن الشيوعيين يجب أن يتعاونوا مع البعثيين وعرض عليه تولي منصب رسمي لكنه رفض.هرب النواب بعدها لخارج العراق ولم يعد للبلاد حتى عام 2011 لبضعة أيام ومن ثم غادرها مجددا.

من قصائد الشاعر الراحل (مظفر النواب): أُنبيكَ، عليّاً...

ما زِلنا نتوضّأُ بالذلّ ونمسحُ بالخِرقةِ حدَّ السيفِ
ما زِلنا نتحجَّجُ بالبردِ، وحرِّ الصيفِ
ما زالتْ عورةُ ابنِ العاصِ مُعاصرةً
وتُقبِّحُ وجهَ التاريخِ
ما زالَ كتابُ اللهِ يُعلَّقُ بالرمحِ العربيَّة
ما زالَ أبو سفيانَ بلحيتِهِ الصفراءَ
يُؤلِّبُ باسمِ اللاتِ
العصبياتِ القبليَّةَ
ما زالتْ شُورى التجارِ ترى عثمانَ خليفتَها
وتراكَ زعيمَ السوقيَّة
لو جِئتَ اليومَ
لحاربَكَ الداعونَ إليكَ
وسمّوكَ شيوعيًّا...

يقول الروائي السوري إبراهيم الجبين إن النواب أبلغه ذات مرة أن أحد المقربين من صدام حسين انشق عن النظام وروى كيف كان الرئيس العراقي السابق يستمع لقصائد النواب الشعبية ويبكي.

ويضيف أن "هذه الحادثة أثرت بمظفر كثيرا على اعتبار ان أحد ألد أعدائه والذي حكم عليه بالإعدام، يستمع لأشرطته الممنوعة في العراق ويبكي متأثرا." ليس هذا فحسب إذ يشير الجبين إلى أن النواب كان له موقف مع الرئيس السوري السابق حافظ الأسد، إذ يؤكد أنه رفض مقابلته على الرغم من أنه كان يعيش في دمشق، في ظل نظام سياسي دكتاتوري وشمولي.

يقول الجبين إن النواب "قبل الضيافة والبقاء في سوريا لكنه رفض الدعوة الرسمية، التي جاءته لزيارة القصر الجمهوري ولقاء الأسد."

يشير الجبين إلى أن النواب كان "يتمتع بطاقة هائلة يريد تفريغها بالشعر والسياسة والعمل النضالي ومناوءة الأنظمة الدكتاتورية."

ويرى الجبين أن "النواب أثر كثيرا على الشعر العربي، بمستوى لا يقل عن تأثير الشاعر الكبير نزار قباني، بل ربما أكثر لأنه كان يكتب بالفصحى والعامية معا."

يختتم الجبين بالقول "أنا لست حزينا اليوم لوفاته، لأني مدرك تماما أن تأثيره باق ومستمر وسيصل أكثر لمن عرفه ولمن لم يعرفه من الأجيال القادمة."

الحرة / خاص - واشنطن 20 مايو 2022

أين مظفر؟

إنعام كجه جي

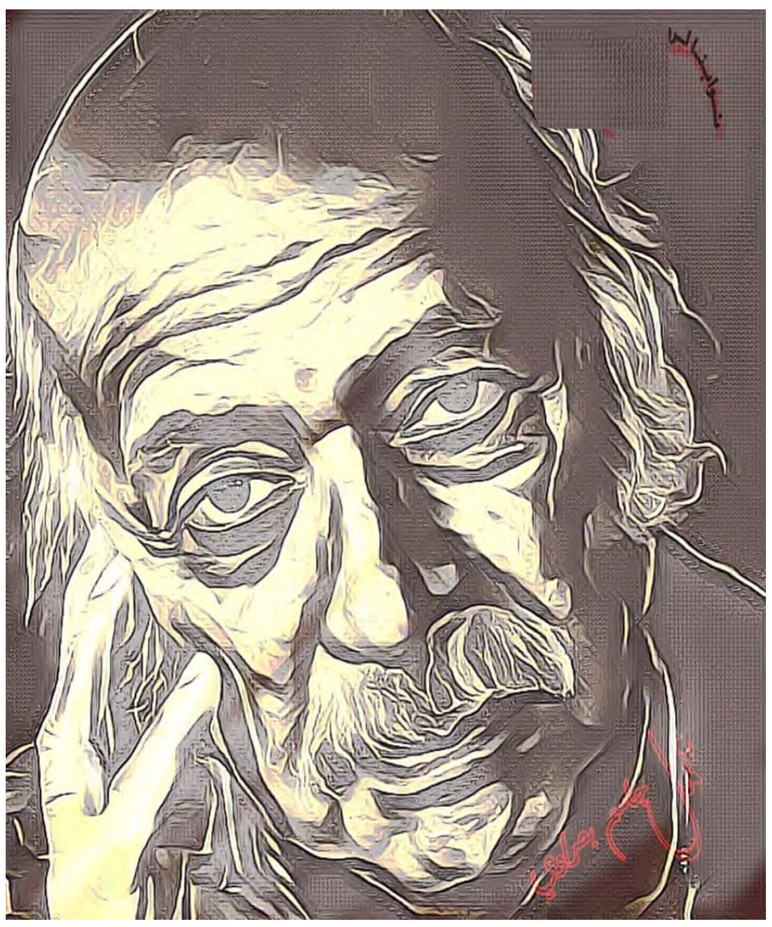

مظفر النوّاب رحيلٌ موجعٌ في الغربة
وتشييعٌ شعبي و وطنيٌّ مهيب

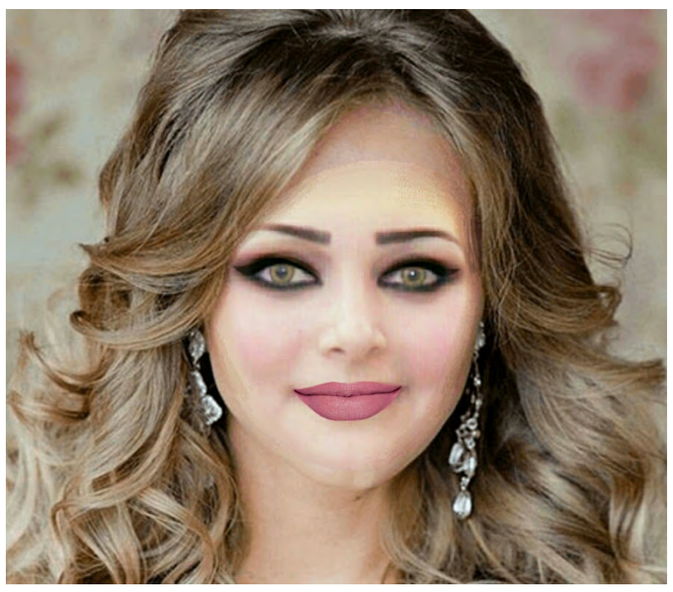

منال الحسن/
هولندا

لم نكن نعرف أين نشتري دواوينه، لكنّ قصائده كانت تصلنا منسوخة بخطّ اليد ومخبأة في جيوب زملائنا في كلية الآداب، مثل المنشورات السريّة. ففي تلك الظهيرات الساطعة لبغداد 1970، حين كانت الثنائيات العاشقة تتمشّى تحت الأشجار الرؤوم لحي الوزيرية، بين كلية التربية وأكاديمية الفنون، فإنّ البنات لم يكنّ ينتظرن سماع كلمات غزل تقليدية بل أبياتاً عامية لم يطرق الآذان مثلها من قبل. من الشاعر؟ مظفر النواب.

كنا نحفظ عن ظهر قلب أبياتاً للرصافي والجواهري والسياب، إلى أن جاءنا زميلنا رياض الوادي، في جيب قميصه الملاصق للقلب، بتلك القصيدة الملعونة المباركة الشتّامة المقذعة المارقة الغاضبة الجارحة المتمرّدة السافرة المحرّضة والمختلفة. مختلفة عن كلّ ما عرفنا من شعر، وخارجة عن كلّ اللياقات والنصوص. ومن يومها، انزرعت (القدس عروس عروبتكم) على الألسن وأخذت مكانها بين المحفوظات.

كان سعيد العويناتي، زميلنا البحريني في قسم الصحافة، أكثر المأخوذين بالقصيدة. دفع حياته ثمناً لانتمائه لليسار. ثم صارت قصائد مظفر النواب تأتينا على الحنجرة الملتاعة الياس خضر، مغنّي (للريل وحمد) الذي يستحق أن يكتبوا في هويته، في خانة المهنة: مقطّع نياط القلوب.

ثم جاءت (جنح غنيدة، و ألمح عمتي من بعيد/ وتضمني بعبايتها/ عمّة الشمس ماتت وأنت ما ردّيت/ عمة الشمس ماتت وآنا ما ردّيت/ رديلي الفرح/ ردّيت/ معضد باب يبجّيني وأحن حنّة حمامة بيت .«كم كررناها بالغناء حيناً، وبالهمس الرهيب تارة، وبالدمع مرّات.

صار مظفر النواب أسطورة أول الشباب، نتلفّت نبحث عنه، فنسمع أنه في بيروت، في دمشق، في عدن، مع ثوار إريتريا، مع فدائيي فلسطين، هو في الخرطوم... المنافي تدور والسنوات تترى والشاعر الذي عبر ثلاثينه على (جنح عصفور) بلغ الثمانين ولم يعد (العمر طوفة طين)، كما كتب لغنيدة، حلوة الحلوات. وبغداد دخلها الأميركان وبابها كان مردوداً وقفله مستعصياً و (ما رهمن ولا مفتاح).في بيته الريفي في النورماندي، أهداني الرسام أرداش كاكافيان نسخته المهترئة من ديوان مظفر. كان ثملاً دامع العينين وهو يروي وقائع اعتقالهما في بغداد، مع حشد من الرفاق. لم يكن الفنان الأرمني يومها سوى فتى بسروال قصير، راح مع رفاقه الكبار (بين الرجلين) وفي ذلك البيت الذي استضاف شعراء كثيرين، قرأنا قصيدة بلند الحيدري التي يسأل فيها: (أصحيح يا مظفر/ ظل ذاك الغصن رغم الموت/ أخضر؟). فقد ظلّ مظفر النواب الغائب الحاضر في كل مكان.

كم ارتفعت قامتي، وأنا أصل إلى باريس للدراسة، أن أجد زملائي من تونس وموريتانيا والجزائر وسوريا يحفظون قصائد مظفر النواب ويتغنون بها في الجلسات. هذا شاعر من عندنا منح لمفرداتنا العامية فصاحة نابعة من بلاغتها. وكانت صديقة عراقية تفرش أمامي، رسائل ومناديل ورقية موقعة بخط الشاعر، كتب لها فيها ما يقوله الرجل وهو يبحث عن المرأة المستحيلة والوطن المستحيل. لماذا لا تنشرين هذه المخطوطات؟ تلملم (فاء) كنزها الصغير وتسكت كما سكتت شهرزاد عن الكلام المباح.

ما أيسر القفز من باريس إلى لندن. نسمع أن مظفر النواب سيقيم أمسية هناك فنسرع ونحجز أماكننا في القطار السريع. قطار حديث يعبر تحت بحر «المانش» في ساعتين ونيف، لا يشبه «الريل» المذكور في القصيدة المشهورة إلا في طيف الشجن الذي يرافق قاطع المسافات، السارح وراء النافذة. نصل ونتوجه من المحطة إلى القاعة الفخمة للجمعية الملكية. نجلس في المقاهي ننتظر موعد الحفل. لم نأتِ لنتفرج على المدينة بل من أجله وحده. نصغي إلى الشاعر الذي عثر على الحنجرة المثقفة للباحث سعدي الحديثي، دكتور برتبة مُنشد، وشكّل معه ثنائياً لطيف الانسجام. لم يعد يقرأ شعره كما نحيب النادبين. يلقيه بصوت أجش تاركاً لحادي العيس التغزل بـ (زين الأوصاف) في البادية.

لست أفضل من يكتب عن مظفر النواب ولم أعرفه عن قرب. لكنني مثل كلّ العراقيين أحببت شعره وشغلتني صورة الشاعر المنفلت الضارب في المتاهات.

في المنامة، سمعته مع سعدي الحديثي لآخر مرة، وقد احتشدت الصالة بجمهور خليط. وجهاء جدد وسياسيون معتزلون ومناضلون مخضرمون ومثقفون توّابون تطربهم الكلمة وتشجيهم أصداء ما فات. وعندما ارتفع صوت الشاعر بمطلع (مرينا بيكم حمد)، انفجر التصفيق وصرخة الاستحسان. كنا كلّنا نحفظ القصيدة، وننتبه لمفارقات الاسم.

.....
* روائية عراقيّة

على الرغم من علمنا، إن الشاعر والمناضل الكبير مظفر النوّاب، يمرُّ بأزمة صحيّة قاسية منذ مدة ليست بالقصيرة، إلا أن رحيله آلمنا وأفجعنا جميعا نحن متابعيه ومحبيه والمعجبين بأشعاره وسيرته المليئة بالنضال وصدق الموقف وشرف الكلمة ورهافتها أيضاً...

ومن لحظة قراءتي نبأ رحيله، وهياج المشاعر الذي عصف ليس بين جمهوره في العراق حسب, وإنما في كل أرجاء العالم العربي, وأنا أستحضر البيت الشعري المعبّر لأبي الطيب المتنبي وهو يقول فيه :

إذا ترحّلتَ عن قومٍ وقد قدروا
ألاّ تفارقهم ...فالراحلونُ همُ

وأيّ رحيلٍ هذا، وأية حياة عاشها الشاعر، الذي لم يعرف مستقرّاً له، بعد أن أصرَّ على المضيّ في طريق الانتماء للجرح الوطني والعربي، وهموم الناس الفقراء، وهم ينشدون بكل نقاء وتلقائية، ليكون لسان حالهم المعبّر عنهم، بلهجتهم المحببة التي أجادها بشكل مدهش وتعامل معها بحساسيّة عالية وكأنه ابن بيئة الهور والجنوب والمشاحيف والعشاق وظلم الإقطاعيين للفلاحين ومعاناة العشّاق وهم يحلمون بلقاءاتهم تحت همس القمر وبريق النجوم...

أيّ رحيل هذا وأيّ وجع تركه فينا وكنا نتمنى أن يكون بين أهله ومحبيه، بعد أن وصل إلى سنّ وتجربة تحتاج الاستقرار والهدوء ومتابعة الشأن الصحي والحياتي فهو قد أفنى شبابه في النضال من أجل الحرية وفي الدفاع عن حقوق المظلومين، وفي الانتصار لكلمة الحق ومع كل هذه الهواجس الانسانية والفكرية العميقة ظل مرهفا رقيقا في غزله عذبا في كلماته التي أصبحت أغنيات هي من أهم الأعمال الفنية التي مازال عشّاقه يرددونها بذات اللهفة والشغف والإعجاب وذات التأثير الوجداني لأنها ارتبطت ببيئة وطنية خالصة، كما ارتبطت بزمن غنيّ بالعطاء، لذلك بقيت خالدة خلود شاعرها الذي إذا أردنا أن نتحدث عن حياته وتنقلاته وسجونه ومواقفه وقيمة ما قدّم من أعمال ورؤى فإننا سنستفيض في حديث يبدأ ولا ينتهي لأن فصول حياته التي رُصدت في كتب ومؤلفات، تدل على غنى التجربة وعمقها وأصالتها وكبريائها وعدم إذعانها لأيّ ضغط مهما كان...

وها هو يفارقنا، جسداً لا روحًا، وها أنا من غربتي أطل عليه من نافذة نقل تشييعه المهيب الذي جرى بحضور حشود هائلة من محبيه، ومن كبار رجال الحكومة يتقدمهم رئيس الوزراء، ومن مبنى الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، الذي يكنّ له كل تقدير ومحبة، وكما أظن فهو واحد من أهم مؤسسيه إضافة إلى عمالقة الفكر والأدب الذين جايلوه ومنهم الجواهري الكبير، فقد شهدت ساحة الاندلس حيث مقر الاتحاد، تظاهرة هائلة في وداع شاعر الشعب والكلمة الحرة مظفر النواب. لم يستطع الكثير من المشيعين السيطرة على مشاعرهم وهم يشاهدون نعش الراحل الكبير في موكب مهيب، لم نشهد مثيلا له أبدا، فقد هرع محبوه من كل أنحاء العراق ولو استطعت أنا لكنتُ أول الحاضرين لكنني في بلاد الغربة أتابع وأتألم وأبكي بحرقة وأنا أراه محمولا على أكتاف الوطن في يوم عراقي حزين حقًا.

وإذا كانت هناك كلمات حقّ تقال في مثل هذا اليوم فهي أولاً الشكر والإشادة بموقف الحكومة العراقية ورئيس الوزراء واستجابتهم للمناشدة التي قدمها الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق, في تخصيص طائرة لنقل جثمانه من الشارقة حيث كان يرقد في مستشفاها, ولفظ أنفاسه الأخيرة فيها, من أجل أن يشيّع بين أهله ومحبيه وعشّاق أدبه وفنه ونضاله, أما كلمة الحق الثانية فهي إشادة بالحشود الهائلة التي ملأت المكان بعفوية وتلقائية أدّت إلى فقدان البعض السيطرة على انفعاله, وهي قضية لا يمكن أن نعدّها مثلبة, بل هي نتاج الحزن والحسرة ووجع الفقدان

لقد كان تشييع الراحل الكبير مظفر النواب حدثا تاريخيا مهما في حياة العراق, وكان لائقا بقامة وطنية ورمز إنساني ترك آثاراً لايمكن لها إلا أن تظل خالدة, الرحمة والمغفرة وجنان الخالد للراحل الكبير مظفر النواب.

مظفّر النوّاب ..

مصطفى عثمان

نُفاجأ حين نعثر، بالصدفة، على الأعمال الكاملة لـ مظفّر النوّاب (1934 - 2022) في مكتبة دمشقية أو في معرض كتابٍ بيروتيّ. أعمالٌ كاملة نراها، فوق ذلك، في أكثر من طبعة وعن أكثر من دار نشر: طبعاتٌ بأغلفة مصمّمة على عجَل، كما يبدو، أو بشكلٍ هاوٍ، مطبوعة على ورقٍ رخيص، ومغلّفة بكرتون تلمع طبقةُ البلاستيك الشفّافة عليه. كيف يمكن لشاعر لم ينشر، حسب علمنا، إلّا ديواناً عامّياً ("للريل وحمد") وآخرَ فصيحاً (هو عبارة عن قصيدة واحدة طويلة - "وتريّات ليليّة")، أن يُصبح من هؤلاء الذين تَجمع دور النشر أعمال حياتهم وتقترحها على القرّاء؟

ليس التساؤل إنكارياً. فالقصائد التي وضعها النوّاب كثيرة، وهي حَريّة بديوان كامل. نُفاجأ، فقط، لأننا لا نتخيّل الشاعر العراقي - الذي رحل عن عالمنا أوّل أمس الجمعة عن 88 عاماً - واقفاً في صورة جماعية بين الشعراء الذين عادةً ما تُطبع أعمالهم الكاملة؛ الشعراء الجدّيين، المؤنّقين، الذين يستيقظون كلّ يوم عند ساعة معيّنة، يتناولون فطورهم ويبدأون بالكتابة - عند ساعة معيّنة أيضاً - قبل أن ينتقلوا إلى مهامّ أُخرى في برنامجهم اليومي. صورته في بالنا، وفي بال كثيرين ممّن عرفوه وعرفوا تجربته، هي صورة شاعر هامشيّ، يصعب جمع آثاره. وللشاعر الهامشيّ اسمٌ في التراث الشعريّ العربيّ: صعلوك. ليس في الكلمة تحقير. فالصعلوك، كما عرفته العرب، وكما نعرفه اليوم، هو ذاك الخارج عن أعراف أقرانه، وهو، بلغة كولن ويلسن، ولغة المثقّفين العرب في الستّينيات والسبعينيات، غير منتمٍ.

رغم المكانة التي وصلَ إليها النوّاب بدءاً من ثمانينيات القرن الماضي عند قوسٍ من المستمعين والقرّاء العرب، إلّا أنه لم يكن، بالمعنى الحرفيّ، منتمياً إلى أقرانه من الشعراء. لا نتخيّله، بالتأكيد، جالساً إلى طاولة، عند ساعة معيّنة، ليكتب. ولا نتخيّله جالساً أمام ناشر أو ممضياً ساعة معه على الهاتف للحديث عمّا سيُصدره. بل قد لا نتخيّله كاتباً أبداً.

ما نراه، هو شاعر يتكلّم، يقول ما يريد قوله، يلقيه ربّما أمام آلة تسجيل أو يُفضي به إلى أحدٍ ما من أصدقائه ومريديه الشباب، كي يدوّنه عنه. وإذا صارَ وكتب، فقد يكون واقفاً، في غرفةٍ أو في الشارع؛ قد يكتب على يده ربّما، على منديل ورقيّ، أو على وصفة طبّية يُسندها إلى ركبته أو إلى كتابٍ ما، كي لا تتمزّق تحت رأس القلم.

لا نتخيّله جالساً إلى طاولة ليكتب، بل شاعراً يتكلّم ويقول:: ذلك أنّ الشاعر الراحل كان، قبل كلّ شيء، شاعراً شفاهياً. لا نقول هذا لأنه قال شعراً عامّياً - ربّما عُرف به ونال استحساناً أكثر من شعره الفصيح - بل لأنّ علاقته بالقصيدة، حتّى تلك التي وضعها بالفصحى، هي علاقة كلامٍ وحديث، كما لدى قدماء العرب.

والحديث، كما يعلّمنا الفلاسفة، أقلُّ ضبطاً للعواطف من الكتابة. إنّه ابن الحدث، ابن اللحظة، بما يعنيه ذلك من فوريّةٍ وفوَران، من عفويّة ومن غيابٍ لسُلطة الوقت وإعادة القراءة (إن لم نقلْ لسلطة العقل). إنّه أقلّ دبلوماسيةً من الكتابة. وهو، قبل كلّ شيء، أكثر رنيناً، غنائيةً ولحناً. لهذا ربّما، ولأسباب أُخرى بلا شكّ، لم يجد عدد من المغنّين العراقيّين صعوبةً في تلقُّف قصائده. "مرّينا بيكم حمد"، التي غنّاها ياس خضر، بدت أغنيةً حتى قبل أن تُلَحَّن وتتحوّل إلى أغنية.

لا نبالغ هنا في الحديث عن شفاهية صاحب "للريل وحمد"، ولا نريد بذلك اختزال تجربته أو التقليل منها. نلاحظ، فقط، اختلافاً في مسيرته الشعرية عن كثيرٍ من

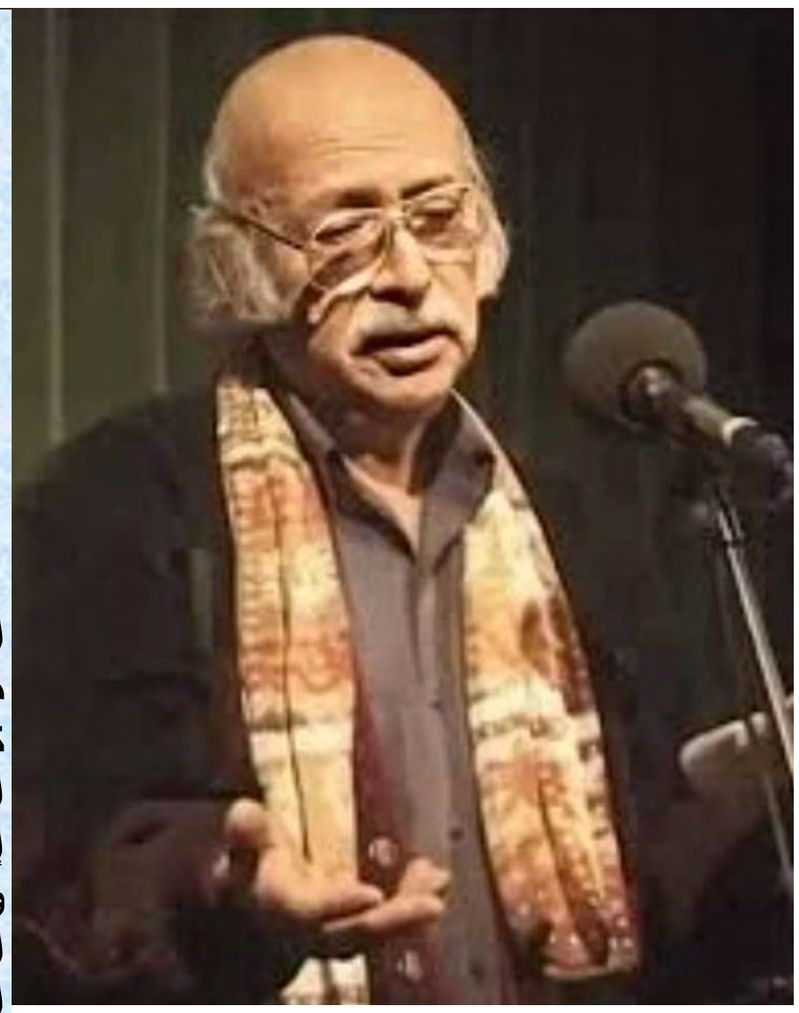

مجايليه. ليس فقط لأنه جمع، طيلة مسيرته، بين الفصحى والعامّية، ضمن مستوى شعريّ واحد - وهو شيءٌ نادر لدى الشعراء العرب البارزين في وقتنا. بل لأنّ تجربته تدين قبل ذلك، في رأينا، إلى الفم والأذن، فمه وآذان مَن يصغون إليه، أو إلى تسجيلاته، قبل دَينها إلى النظَر الذي ترتبط به الكتابة والقراءة عادةً.

فالشاعر، الذي لوحق في بلده، وسُجن فيه، ومُنع شعرُه فيه، وحُكم فيه بالإعدام، ونُفي منه، بسبب معارضته وشيوعيّته، ظلّ حاضراً في العراق عبر صوته. كما أنه ذهب بصوته إلى سورية، ولبنان، وليبيا، وغيرها من البلدان العربية، حتى قبل أن يقيم فيها. كان يزور كلّ هذه البلدان بأشرطة كاسيت سُجّلت عليها قصائده الشعبية، وقصائده السياسية أو الغزلية. وكانت تلك الأشرطة مادّةً شائعة في العراق، وكذلك في سورية، وفي غيرهما.

الصورة

الأعمال الشعرية الكاملة لمظفر النواب - القسم الثقافي

في سهراتهم، يشرب المثقّفون، يتحدّثون عن الشعر والكتابة والسياسة، وليس غريباً، في مشهدٍ كهذا، أن يكون داخل المسجّلة، على طاولة في زاوية الصالون، شريطٌ لـ"القدس عروس عروبتكم"، لـ"للريل وحمد"، لـ"تلّ الزعتر"، لـ"الحانة القديمة" أو حتى شريط أغانٍ لمطربين عراقيّين يؤدّون قصائده.

مظفّر النوّاب كان هكذا، شاعراً تسمعه وتقرأه الأغلبية: "سواد" الشعب، كما يُقال، والنخبة - أو قسمٌ منها على الأقلّ. بالتأكيد، لم تكن قصائده تروق للجميع. فثمّة مَن قد يرى مباشرةً سياسيةً في كثيرٍ منها، وثمّة مَن قد يرى، في قصائد أُخرى، غنائيةً وإنشاءً سهلَيْن. قد يكون هذا هو الثمن الذي يدفعه شاعرٌ لم يشأ الفصل بين قصيدته والواقع الساخن - سياسياً كان أو شخصياً.

بدت بعض قصائده أغنياتٍ حتى قبل أن تُلَحَّن وتُغنّى لكنْ، عندما كان النوّاب يلقي، في أحد مقاهي دمشق، قصيدته التي شاعت بين المثقّفين السوريّين ("دمشقُ عدتُ بلا حزني ولا فرحي/ يقودني شبحٌ مضنىً إلى شبحِ")، كان الجوّ بعيداً عن نقد النخبة، بل لحظة يصل فيها الشعر إلى ذات المستمع من دون حواجز العقل والأسئلة. فالتجربة، بعُريها، تمثُل هنا، في هذه الاعترافات:

"دمشق عدتُ وقلبي كلُّه قُرَحٌ
وأين كان غريبٌ غير ذي قرحِ
هذي الحقيبة عادت وحدها وطَني
ورحلة العمر عادت وحدها قدحي
أُصابحُ الليل مصلوباً على أملٍ
ألّا أموتَ غريباً ميتةَ الشبحِ"

شفافيةٌ تذكّر، على سوداويّتها، بقصائده الأُولى التي تغنّى فيها بلحظاتٍ من شبابه العراقي: مثلاً، قطار الليل الرخيص ذاك،

مظفر النواب ..

الظاهرة الاستثنائية

ريسان الخزعلي

مظفر النواب .. الظاهرة الاستثنائية، عنوانٌ موحٍ يُحيل الى بريق السطح وصفاء العمق على السواء. عنوان لم يكن من اشتقاقاتي اللغوية، وإنما هو عنوان كتاب الشاعر المبدع/ كاظم غيلان/ الصادر عن دار ومكتبة عدنان؛ وقد ضمَّ الكتاب: دراسات، مقابلات، قصائد، وكتابات بخط النواب.

إنَّ / النواب / ظاهرة استثنائية متحققة، نضالياً وشعرياً وفنياً وانسانياً، وحضورًا ذاكراتياً يتجدد بإستمرار في الذاكرة العراقية والعربية وجهاً وقفا رغم : سنوات النفي الاضطراري والترحال بين العواصم والمدن، ومحاولات التغييب القصدية التي مارسها النظام السابق، الّا أنه لم يكن غائباً لا (هنا) ولا (هناك)..، إنه الحضور المتجدد ثوباً وجسدًا، ومثل هذا الحضور من علامات الذين ليسوا كسواهم

.

حرص الشاعر/ كاظم غيلان / كثيراً على طبيعة كتابه كي يكون مغايراً لما صدر من دراسات وكُتب عن النواب؛ وهكذا تنوّعت فصوله بين الدراسات والحوارات والقصائد والوثائق والصّور، مما يضفي على الكتاب صفته الكتابية الدراسية التوثيقية.

إنَّ الكتاب هدية وفاء من غيلان الى النواب ، حيث شُغل غيلان بظاهرة النواب مبكّراً، وكتبَ عنه مبكراً، وتابعه مبكراً.

التقاهُ وصَحبهُ بعد عام 2003 صحبةً انسانية وابداعية.

يقول غيلان في مقدمته: لا أدري، لربما قد أوفيت بعض الشيء لأخي وصديقي ورفيقي وقدوتي قبل كل شيء - مظفر النواب - عبر هذه المحاولة، ولربما المغامرة، فالكتابة عن مظفر ليست بالأمر الممكن حد السهولة.

إنَّ الكتابة عن هذا الكتاب لا تسعها الاشارة الراكضة هذه والتي أردت منها التحية للإثنين، النواب وهو في سرير الشفاء، وغيلان في بحثه عن المسرّات.

من عيّنات الاستشهاد، يقول النواب : رحلتُ الى اهوار العمارة - في عام 1956 - جنوب العراق والتقيت بمغنين في المنطقة هم (غرير وجويسم وسيد فالح)..، وقد ذُهلت فعلاً للغنى الموجود في غنائهم، وتكشّف لي منهم عالماً مهملاً، ولكنه عالم مملوء بالجمال، من الصعب أن تجد عالماً بديلاً عنه.

كنت أمام عجينة حيّة تماماً تنتظر احداً ممن لديه فهم للعناصر الشعرية الحديثة لينتبه اليها ويشتغل على هذه المادة الخام الهائلة التي لا تنضب منابعها.

وهكذا أشعلت اللهجة الجنوبية والغناء الجنوبي في العمارة حرائق شعرية تجديدية، كان النواب موقِدَ نارها.

ومن التوافقات المكانية الجمالية أن يأتي هذا الكتاب من مكان ومناخ شُغفَ بهما النواب، حيث أنَّ غيلان هو الآخر أقام ويُقيم على الضفة اليسرى من دجلة في العمارة، إنها توافقات الابداع الكامنة في جماليات المكان، ولا يسعني هنا غير أن أُكرر قول النواب عن العمارة:

حمد كَلب ابنيّه.. ،
لو حنّ السلف وأْهلَه
إو ذجر هور الدبن والليل واسوالف وليفه
ايحن (للمعيّل) حمد
و (المجر) و(الهدّام)
وأْهله الشيّلوا بالليل كل بيت الخليفه.

كتاب (مظفر النواب الظاهرة الاستثنائية) مراودة عن قرب وعن بُعد في عالم مظفر النواب المسحور ...

ما كتبه احد عمالقة الطب والفن الدكتور علاء بشير
في رثاء القمة الشامخة مظفر النواب : رسالة الى مظفر النواب

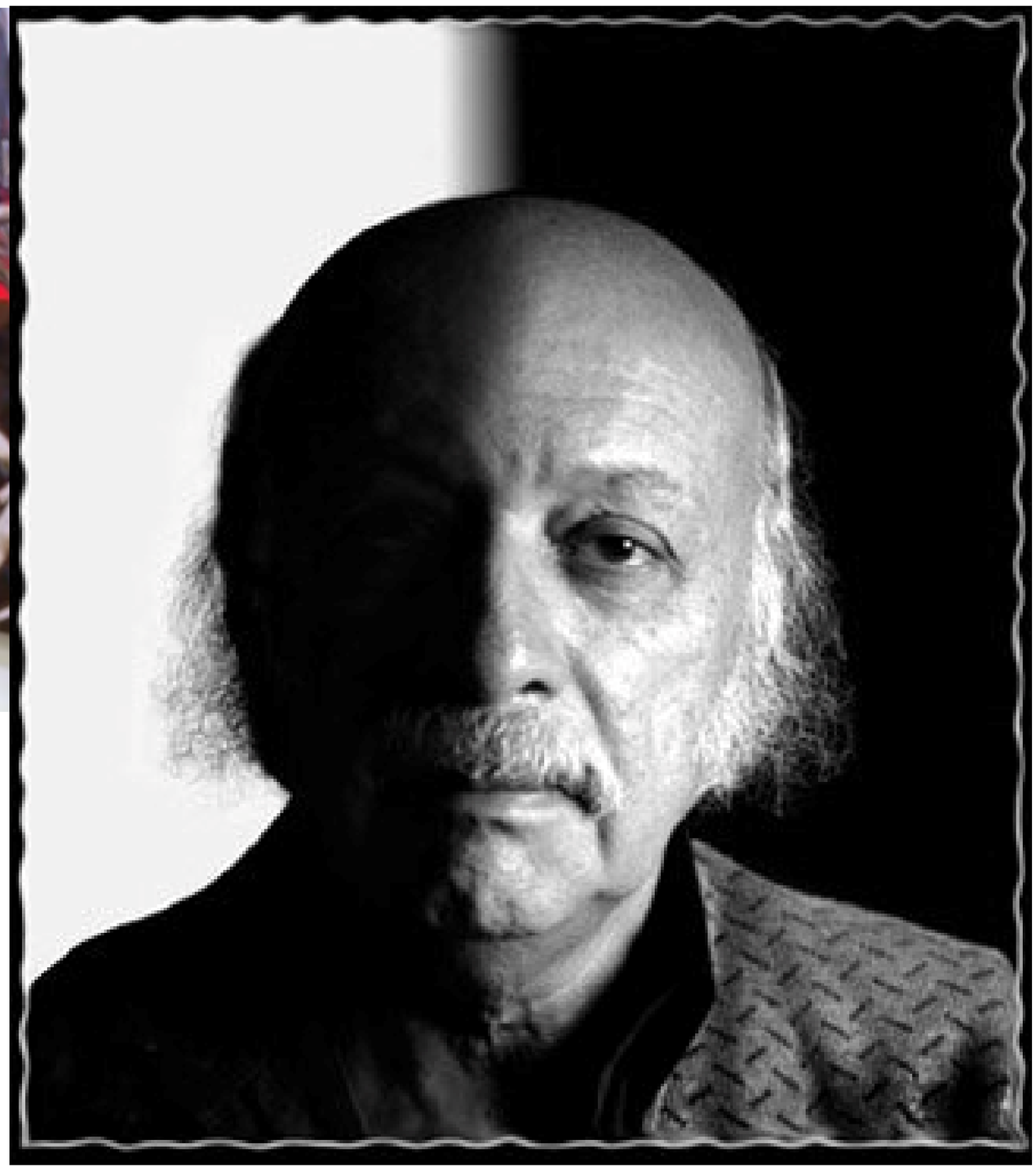

يا مظفر، منذ أكثر من ستين عام، أتفقنا أن لا يحزننا الموت. لكني، اليوم يا مظفر، أشعر بالوحشة في الزمان والمكان. لن لأتسى كم حملتني على ظهرك وكم غنيت لي وكم أسعدتني بوفائك وصدقك وامانتك ومحبتك.
حقاً موحش الزمن الذي أنت لست فيه.
في احد ايام شتاء 1960، اصطحبتك بسيارتي من داركم في كرادة مريم وذهبنا الى دار صديقنا الكبير حافظ الدروبي في الكرادة الشرقية كعادتنا كل يوم اثنين وخميس. يومها قررت الا اذهب معكم لرسم الطبيعة او رسم البورتريه او الحياة الجامدة، وقتها بينت الاسباب التي دعتني لذلك.
انت نهضت وقبلتني مؤيدا موقفي من الفن. ذلك اليوم ما مكثنا طويلا كعادتنا في دار المرحوم حافظ الدروبي. اوصلتك لداركم في كرادة مريم وانا رجعت لدارنا في العطيفية.

في الطريق انت سالتني مرات بانني ابدوا غير مرتاح، وكنت صائبا كعادتك حول مزاجي. وصلت دارنا قبل منتصف الليل بقليل . سمعت رنين التلفون وكنت انت على التلفون تسألني ان لا زال مزاجي ليس طبيعيا كما وصفته انت. انتهت المكالمة بامنياتنا في صباح يحمل الخيرات. مرت نصف ساعة وسمعت صوت جرس باب الدار كانت الساعة قد قاربت الواحدة الا ربع بعد منتصف الليل. فتحت الباب وكان مظفر النواب جاء بسيارة أجرة .دخلنا غرفتي. سألتك ما الذي دعاك للمجيء في هذه الساعة من الليل؟؟ قلت: شعرت ان مزاجك ليس كما هو فقررت المجيء لاكون بقربك لاغني لك من اغنيات أم كلثوم التي تحبها، واقرأ لك من اشعاري التي تحبها.

الصورة في سجن نگرة السلمان 1963

وهي لنخبه أدبية لن تتكرر ولا تتكرر، قامات عراقية شامخة بالادب والثقافة والسياسية

من اليمين وقوف
الناقد : فاضل ثامر
الشاعر : يوسف الصائغ
المترجم د. سلمان العقيدي
القاص : جاسم الجري
الشاعر : مظفر النواب
جلوس الوسط من اليمين
الشاعر : هاشم صاحب
الكاتب : نعيم بدوي
الشاعر : الفريد سمعان
جلوس الصف الأسفل من اليمين
الشاعر : سالم قدير الخباز
الكاتب :هاشم الطعان
الروائي : زهدي الداوودي

من يفعل ما فعلت يا مظفر؟؟؟
وحقا تغير مزاجي ليس بالاغنيات لكن بوجوده الغني الذي ينضح منه الصدق والوفاء والكرم والامانة وسمو الاخلاق النقية من الكراهية والحقد.
وقتها اخبرتك عن رؤيتي عن الفن في رصد رحلة الانسان، من رحم الام الى رحم الارض. وقلت لك ان رحم الام يشبه في شكله شكل القبر (رحم الارض). والرحلة بينهما وهم. ونحن لا ندرك كيف كنا في رحم الام كذلك لن ندرك ماذا سنكون في رحم الارض. قلت اذن : من يذهب اولا يبعث اشارات للثاني.
اليوم اقول لك وانت في القبر. يا مظفر انت اغنيت حياتي حيا وميتا، وتركت فراغا بعمق الحياة والموت.

رحمك الله وطيب ثراك واحسن اليك. وتبقى معي مادمت حيا.

وداعاً شاعر البنفسج

مظفر النواب يتلألأ في ضمائرنا

عبد الحسين شعبان

غادرنا أخيراً شاعر البنفسج مظفّر النواب، الذي كتب أكثر القصائد عذوبة ورقة وجمالاً. ظلّ حالماً، بل مشروع حلم كبير على الرغم من أن بعض أحلامنا كما يقول هناك من رماها على قارعة الطريق، لكنّه ظلّ منحازاً إلى الفقراء والحريّة والعدالة.

عاش مظفّر النواب زاهداً أقرب إلى قدّيس، مستقيماً وصادقاً وشجاعاً في مواجهة الزيف والكذب والخنوع، وقد نذر نفسه للجمال والإبداع والأغنية الشعبية.

أي حزن يمتلك المرء حين يرحل صديقه، فما بالك بصديق بوزن مظفّر. هاتفني العديد من الأصدقاء العرب والعراقيين وهاتفت عدداً منهم، كانت كلماتهم أو كلماتي تتسابق مع بعضها: نعزّيكم ونعزّي أنفسنا. و كأن الكل كان يتفق على أن مثل هذا الحزن العارم أخذ يلفّ الجميع مع أن مظفّر لم يرحل، فإنه يبقى فينا ومعنا ولنا وللمستقبل والأجيال القادمة، صوتاً هادراً ومعطاءً ومتفانياً وجميلاً مثل قصيدته... لكنه الحزن يتمكّن منا، حتى ولو جاهدنا لنقبل الصبر الجميل:

مو حزن ..لكن حزين
مثل ما تنكطع تحت المطر شدّة ياسمين
مو حزن لكن حزين
مثل صندوق العرس
ينباع خردةْ عشك
من تمضي السنينْ
مو حزن لكن حزين
مثل بلبل كعد متأخر
لكه البستان كلها
بلايا تـــين

****

جدير بالذكر أن هذه اللقطة كانت عبر اتصال هاتفي مع الكاتب، والذي أرسل لنا مشكوراً دراسة كان قد قدّمها إلى مؤتمر كلاويش الثقافي في السليمانية احتفاءً بمظفّر النواب تحت عنوان "مظفّر النواب يتلألأ في ضمائرنا".

ويسرّنا نشرها بمناسبة رحيل شاعر البنفسج كما يسميه د. شعبان.

مظفر النواب يتلألأ في ضمائرنا *

عبد الحسين شعبان
أكاديمي وأديب

أن تحتفل مدينة السليمانية الكردية وكردستان العراق عموماً بالشاعر العربي الكبير مظفر النواب، فهذا حدث مهم، بل بالغ الأهمية، وهو يدلّل على عمق الترابط الوثيق بين العرب والكرد، وخصوصاً بين المثقفين، وهو تأكيد جديد على أن العلاقة العربية - الكردية، ببعدها الثقافي والإنساني تحكمها أهداف مشتركة وتستند إلى قيم مشتركة وجامعة أيضاً، وهي قيم الحرّية والجمال والمساواة والشراكة والعدل والسلام والتسامح .

ولعلّه منذ وقت مبكر عبّر اليسار العراقي وعلى نحو أثير ومتميّز منذ أواسط الثلاثينات عن صميمية تلك العلاقة حين رفع شعار " على صخرة الأخوة العربية - الكردية تتحطّم مؤامرات الاستعمار والرجعية"، وأظنّه الشعار الأكثر مضاءً وواقعية حتى الآن في العيش المشترك والاعتراف المتبادل بحق تقرير المصير واحترام الخصوصيات والهويّات الفرعية في إطار الهويّة العامة .

وتتأتّى أهمية حدث الاحتفاء بمظفر النواب من محاولة إنعاش الذاكرة المشتركة لنا جميعاً كمثقفين عرباً وكرداً ومن سائر المجموعات الثقافية المتعدّدة المشارب والألوان المختلفة والمؤتلفة في آن، لاسيّما بالسعي لتعظيم الجوامع وتقليص الفوارق، خصوصاً وإن محاولات عديدة أريد لها فصم عرى العلاقة الوثيقة لأسباب موضوعية أو ذاتية، خارجية أو داخلية، لكن تلك العلاقة التي تعمّدت بروح المحبة والتآخي ظلّت متّقدة ولم تخبُ أو تنطفئ بالرغم من عاديات الزمن.

وحسناً فعل "مركز كلاويژ" حين اختار عنواناً للمناسبة له أكثر من رمزية ألا وهو " مظفر النواب يتلألأ في ضمائرنا". إنه باختصار يريد القول إن النواب يحتلّ جزءًا حيويّاً من وجداننا وذاكرتنا الثقافية المشتركة ، لما يمثّله من رحلة إبداعية ونضالية وإنسانية، ناهيك عن صدقية جمالية شفيفة ورائعة.

ما أحوجنا اليوم، ولاسيّما في الوسط الثقافي لتجسيد ذلك عملياً، فشاعر كبير بقامة مظفر النواب مثّل بروحيته الإيجابية وانفتاحه ورؤيته الإنسانية، هذا التفاعل والتواصل والترابط العضوي في العلاقة بين المثقفين العرب والكرد، مثلما مثّل شاعر كردستان الكبير شيركو بيكه س ذلك بإعلائه روح التآخي والتواصل الثقافي الكردي - العربي، وعبّر كلاهما عن نبض الروح الإبداعية وجمالها الإنساني الباهر، فالأدب بعامة والشعر بخاصة يمكنه أن يجسّد تلك الحقيقة بسطوع وصميمية وبراءة وعمق وامتداد .

*****

أحياناً حين تلتقي مبدعاً كبيراً كنتَ قد تعرّفت عليه من خلال نصّه أو منجزه الثقافي، فتقول مع نفسك: يا ليتني لم ألتقِ به، كي تبقى صورة منجزه مشرقة أنيقة جميلة، فثمة تناقض كبير، بل وصارخ أحياناً بين السلوك اليومي والاجتماعي وبين التحضّر والتخلّف وبين المعرفة والثقافة، وخلافاً لذلك حين تلتقي مبدعاً آخر وتكون قد قرأت له أو اطّلعت على منجزه الإبداعي، تتمنّى ألّا تفارقه، بل تزداد محبة له، لأن ثمة انسجام بين ما يقول وما يفعل، فالصورة الفائقة المبهرة لشخصه التي بناها من خلال ما كتبه أو صرّح عنه أو قام به ومن خلال أفعاله ومواقفه ظلّت منسجمة ومتّسقة على نحو مشرق ورائع بين القول والعمل، فليس ثمّة هوّة بين الإثنين.

ومبدعنا المحتفى به " مظفر النواب"، من الصنف الثاني، الذي ما إن تتعرّف عليه حتى تنجذب إليه، وقد أتاحت لي الفرصة لفترة خمسة عقود ونيّف من الزمان أن أقترب من مظفر النواب، فأزداد تعلّقاً وإعجاباً به ومودّة ومحبة له، فهو من طينة من تحلو لك رفقته، حيث تأنس بصحبته وتكتشف يوماً بعد آخر الكثير من الخصال والسجايا الإنسانية الفريدة والأخلاقية النبيلة التي تمثّل قيماً عليا يسعى البشر لتجسيدها أو تمثّلها.

ولم أعرف مبدعاً كبيراً كان يُحكِمُ الصلة على نحو فائق بين الأقوال والأفعال وبين الإبداع والسلوك والأخلاق والسياسة والثورة والجمال والصلابة المبدأية والمرونة العملية والكبرياء والتواضع وحب الحياة والزهد بها مثل مظفر النواب، ولعلّ ذلك ميزان ذهبي من العدل ظلّ مرافقاً له طيلة مسيرته الإبداعية والنضالية وعلى المستويين الشخصي والعام حيث كان رقيب نفسه باستمرار، وظلّ كلّ متاعه من هذه الدنيا الفانية، حزمة قصائد ورسوم وكأس نبيذ وذاكرة خصبة وضمير يقظ لم يخدر أبداً، وكان برفقة ذلك أيضاً محبّة الناس واحترامهم له لشعورهم بنقاء سريرته وطهريّته وترفّعه عن الصغائر، وهو ما صنع مجده ورفعته وعلو كعبه، فأضحى أقرب إلى "القديس" بتعابير المؤمنين و"المعبود" بتعبير العاشقين.

وخلال مسيرته حافظ النواب على صوته الخاص وإيقاعه المتميّز ونبرته الشائقة، وسط ضوضاء هائلة، وحسب الروائي الغواتيمالي أستورياس الحائز على جائزة نوبل في الآداب العام 1967 "الإنسان إله بسبب من صوته"، فالصوت يذهب إلى الإذن مباشرة، ومنها إلى الدماغ، ومن هذا الأخير إلى القلب، فيعطي الإحساس، وهكذا هي الموسيقى تذهب إلى القلب والروح، وذلك هو صوت مظفر النواب الشديد الإحساس والتأثير الحسّي، لاسيّما وهو يسعى للمحسوس من الأشياء، حيث تمتزج أوتار صوته بالروح، فيخرج ملياً ونافذاً، والحسيّة هي ما مثّله الفيلسوف الانثربولوجي الألماني لودفيغ فيورباخ.

وإذا كان مظفر النواب قد انشغل بالحريّة باعتبارها القيمة العليا في الحياة، فثمّة عشق صوفي يتماهى مع حيرته وقلقه الإنساني، "فالمكان زمان سائل والزمان مكان متجمد" حسب ابن عربي، وهكذا كانت غربته في المكان والزمان تنتقل معه وتعيش فيه وتسافر إليه:

"هل في الدور من عشق لهذا
المبتلى ترياق
نقطة في العشق تكفي
فلا تكثر عليك الحبر والأوراق"
(من قصيدة قل لأهل الحي)

أية شيفرة سرّية خاصة تلك التي تحتويها لغة مظفر النواب ومفرداته الإبداعية الباذخة:

" لا تسل عنّي لماذا جنّتي في
النار
جنّتي في النار
فالهوى أسرار
والذي بغضي على جمر الغضا
أسرار
يا الذي تطفي الهوى بالصبر لا
بالله
كيف النار تطفي النار؟
يا غريب الدار
إنها أقدار
كل ما في الكون مقدار وأيام له
إلّا الهوى
ما يومه يوم...ولا مقداره مقدار
(من قصيدة المساورة أمام الباب
الثاني)

في سهله الممتنع ثمّة صور غير مألوفة في الشعر الشعبي العراقي من قبل، ولنلاحظ هذه الصورة :

" آنه يعجبني أدوّر عالكَمر
بالغيم ..
ما أحبّ الكَمر كلّش كَمر
(من قصيدة الشناشيل)

*****

حين نشر النواب قصيدة " الريل وحمد" في العام 1959 وكانت بمبادرة من علي الشوك وتلقفها بالتقييم والترحيب والإعجاب عدد من مجايليه منهم : سعدي يوسف وبلند الحيدري والفريد سمعان ورشدي العامل وعبد الرزاق عبد الواحد، برز على الفور بصفته شاعراً جديداً يملك كل شروط الحداثة ومواصفات التجديد، وجاءت الإشارة بقدر غموضها ورمزيتها، واضحة جليّة، فقد كان أمام النقاد نوع من الأدب الجديد المكتوب بالعامية العراقية أو باللهجة الشعبية الجنوبية الحميمة، فهو لا يشبه حسين قسّام والحاج زاير والملّا عبود الكرخي، على الرغم من إعجابه بهم ، وخصوصاً الحاج زاير، ولم يسع لتقليدهم، بل عمل للخروج على التقليد مثلما سبقه إلى ذلك نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وبلند الحيدري وعبد الوهاب البياتي في قصيدة الفصحى الجديدة التي تمرّدت على القوالب.

وحجزت قصائد " يا ريحان" و"حسن الشموس" و " حجّام البريس" و"زرازير البراري" و" ابن ديرتنه حمد" و " حِنْ وآنه حَنْ" و"روحي" و" البنفسج" مكاناً خاصاً لمظفر النواب في صدارة الشعر الشعبي العراقي، إضافة إلى قصائد أخرى، وفي منفاه ارتقى مظفر إلى المكانة التي يستحقها في سلّم قصيدة الإبداعي القصيدة الشعبية بشكل عام إلّا باستثناءات محدودة، وهكذا توزّعت قصائده حيث احتلّت المرحلة العراقية 1959-1969 القصائد العامية، ومن أهم انجازاتها مجموعتين هما " الريل وحمد" و"حجّام" ، أما المرحلة العربية أي من العام 1969 وعلى مدى نحو 50 عاماً فقد عرفت قصائد الفصحى وضمتها مجموعات أساسية هي " وتريات ليلية" و"أربع قصائد" و"المساورة أمام الباب الثاني"، إضافة إلى عشرات القصائد غير المنشورة والمسجلة على أشرطة كاسيت.

وامتازت قصيدة النواب باللغة الآسرة والمفردة الحيّة، بل إن بعضها استخدم لأول مرّة، لاسيّما برمزيتها وبُعدها عن المباشرة، حيث كان يفيض عليها من روحه، فتصبح كائناً حياً تشبه عطاءه وتمرّده وصدقه ، ففي قصيدة "الريل وحمد" يقول :

"أرد أشري جنجل
وألبس الليل خزامة
وأرسم بدمع الضحج
نجمة
وهوه
وشامه
ويا حلوة بين النجم
طبّاكَة لحزامه
وهودر هواهم
ولك
حدر السنابل كَطه
كضبة دفو، يا نهد
لملمك ... برد الصبح
ويرجفتْك فراكين الهوه ... يا سرح
يا ريل....
لا.. لا تفزّزهن
تهيّج الجرح
خلهن يهودرن..
حدر الحرار كَطه"

*****

لقد اكتشف النواب المدى الذي تحمله المفردة العامية فدفع به إلى القصوى ووظفه بريادية بحيث أصبح مفتاحه كما يقول إلى "الفضاء الإبداعي الأوسع"، بما تملكه تلك المفردة من رمزية وطاقة حسيّة ولنلاحظ الاستخدام غير المألوف مثل:

افيش.. شمني ..
بشهيك الروح،
شكَة طلع
فُوج بحنين الصدر ،
طوفان دك ورصع
ليش آنه وانته بعطش؟
موش احنه نبعه ونبع
(من قصيدة فوك التبرزل)

وكلمة "أفيّش" تدلّ على رائحة الشّم ذات البعد الحسّي وكأنها رائحة محسوسة، أي أنها مبهرة وذات تأثير على المتلقي.

أطرن هورها امصكك
واصيحهن عليك اجروح
يجحلن چالمطبجات الزرگ
صلهن يشوغ الروح
واجيك اشراع ...ماهو اشراع
عريانه سفينة نوح
اصيح اشّاه ... مابياش
يبني جحلت يبني
ويجيني امن الرضاع الحيل
موش امك واندهلك...
أشيلن حملك امگابل أنگلنه
وأشيلك شيل
أكابر... وانه اطر الهور
وأعدل ظهري للشمات
چني امگابل ويه الريل
أصدن لليصد ليه ابشماته
وفوگ اشيلن بيرغ الدفنه
عمد للسيل
كلها اولا شماتة عدو...
يتشمشم خبر موتك وراي ابليل
يازين الذي ابطرواك
دلتنه الچبيره اتگوم للخطار...
(من قصيدة حسن الشموس)

وهكذا يستخدم مظفر النواب مفردة حسّية مثل كلمة "اشّاه" التي هي دليل على البرد ويمكن أن تُقال في لحظة تأثر أو مفاجأة. كما يستخدم عبارة "أحّاه" - التي هي دليل على الألم أو تعبير عن الحزن أحياناً، حتى أن النسوة اللواتي يلطمن على فقدان أحبتهن يردّدن أحّاه.. أحّاه بما فيها في المناسبات الحسينية، وبالتعبير العامي فكلمة "أحّاه" هي أقرب إلى كلمة "آخ"، وهي تقال حين يعتصر الإنسان الألم للفراق أو للصدمة أو لما يحصل له من ضغط يتعرض فيه للأذى والألم فيصرخ "آخ".

" أحاه، شوسع جرحك ما يسدّه
الثار يصويحب
وحكّ الدم ودمك حار
من بعدك ، مناجل غيظ ايحصدن
نار
شيل بيارغ الدم فوكَ يلساعي
صويحب من يموت المنجل يداعي
(من قصيدة مضايف هيل)

ويهمّني أن أشير إلى أن قصيدة مضايف هيل "جرح صويحب" كان قد لحّنها الفنان سامي كمال وحين قام بتأديتها (التمهيدية) في سهرة خاصة في منزل شقيقتي سلمى شعبان في العام 1984 في دمشق، أعجب الجواهري بكلماتها وآدائها الفني وردّد "يا صويحب..." مع آهات خرجت منه في حين كان يداعب حبّات مسبحته، واحدة واحدة، واثنتان اثنتان، ويشرد قليلاً، وكأنه يستذكر قصيدته " أخي جعفر"، وهو ما دعا طارق الدليمي الذي كان يجلس بجانبه إلى استعادة القصيدة المذكورة وكأنه يريد أن يرسم أحداثها إلى صديقنا داوود التلحمي رئيس تحرير مجلة الحرية الفلسطينية (الجبهة الديمقراطية)، والتي يقول في مطلعها:

أَتَعْلَمُ أَمْ أنتَ لا تَعْلَمُ
بأنَّ جِراحَ الضحايا فمُ
فَمٌ ليس كالمَدعي قولةً
وليس كآخَرَ يَسترحِم
يصيحُ على المُدْقِعينَ الجياع
أريقوا دماءكُمُ تُطعَموا
ويهْتِفُ بالنَّفَرِ المُهطِعين
أهينوا لِئامكمُ تُكْرَموا
أتعلَمُ أنَّ رِقابَ الطُغاة
أثقَلَها الغُنْمُ والمأثَم
وأنّ بطونَ العُتاةِ التي
مِن السُحتِ تَهضِمُ ما تهضم
إلى أن يقول
أخي " جعفراً " يا رُواء الربيع

إلى عَفنِ باردٍ يُسلَم

وداعاً شاعر البنفسج

عبد الحسين شعبان

مظفر النواب يتلألأ في ضمائرنا

ويا زَهرةً من رياض الخُلود
تَغوَّلها عاصفٌ مُرزِم
وكان الجواهري قد نظم هذه القصيدة في العام 1948 التي تعتبر بحق ملحمة شعرية بنحو مئة بيت، إثر استشهاد شقيقه جعفر في المظاهرات الاحتجاجية الشعبية التي سمّيت فيما بعد "وثبة كانون" ضد " معاهدة بورتسموث" (جبر- بيفن)، وألقاها في محيط جامع الحيدر خانة ببغداد بمناسبة مرور سبعة أيام على استشهاد شقيقه.
أما "إش" فهي تعني طلب الصمت أو الرغبة في السكون والهدوء، وأحياناً تصدر بلغة الأمر أي "صه"، ولنلاحظ استخدامه الأولي:
إش، لا توعّي المزنة
وتسودن حنيني بعذرك
أنه كربت بور الفلا
وطشيت صبري وصبرك
وسكيت ، وضميت الشمس لليل
عود انتظرك
تاليها ريحان وملح
جا هذا كَدري وكَدرك؟
(من قصيدة أيام المزبّن)
*****
الغربة والحزن مترابطان في شعر النواب على نحو عضوي، حيث يُعتبر النواب الشاعر الأكثر اغتراباً، فقد مضى على منفاه 51 عاماً، وأقصد بذلك المنفى البيولوجي، وقبل ذلك اغترابه الروحي وليس المكاني " Alianation" وربما كان الأطول لأنه يمثل جلّ عمره الإبداعي، أي منذ أن وعى على الحياة وانخرط في التعبير عن جمالياتها وإنسانيتها، وقد عاش مظفر في المنفى حسيّاً وتآلف معه وأصبح واحداً من أهل بيته وصار صديقاً ورفيقاً له ينتقل معه ويلازمه مثل ظلّه في البلدان والمدن والمرافئ والمطارات والقطارات والحدود والجوازات، وترك المنفى بصمته عليه، تلك التي زادته حزناً فالمنفى كالحب "يسافر في كل قطار أركبه في كل العربات... أمامي".
تعبتُ ومن دوخة رأسي في الدنيا .. أبكي
لا تكسرني الريحُ
فماذا يكسرني بعد الريح.. وأبكي
القصّةُ بلّلها الليلُ ،
وليسَ هناكَ مَنْ يحكيها ،
فلنذهب فالريحُ ستحكي
المأخورُ يضيءُ وجوه الزانين
فلا تخجل يا حزني أنْ تصبحَ زاني
يا قلبي
يا بنَ الشكّ
أرحني من أحزاني
تعبتُ ولمْ أصلِ المنفى
المنفى يمشي في قلبي ،
في خطواتي .. في أيّامي ،
يسافرُ في كلّ قطارٍ أركبهُ ،
في كلّ العرباتِ أراهُ
حتّى في نومي
يمشي كالطرقاتِ أمامي

وكما يقول عن الحزن :
مو حزن لكن حزين
مثل ما تنقطع جوّا المطر
شدّة ياسمين
مو حزن لكن حزين
مثل صندوق العرس ينباع خردة
عشق من تمضي السنين
مو حزن لكن حزين
مثل بلبل كَعد متأخر
لكَه البستان كلها بلاي تين
مو حزن لكن حزين
لكن أحبك من كنت يا أسمر جنين

سألت الجواهري يوماً وهو الذي لم يكفّ يتحدّث عن المنفى والسبع العجاف (سنوات غربته الأولى 1961-1968) وماذا كان في المنفى يا أبا فرات: أهو زمهرير الغربة أم فردوس الحرية؟ وبعد أن سحب نفساً عميقاً وطويلاً من سيجارته أجابني : الإثنان معاً.. إي والله، أي والله. وصدقَ بذلك، فمن عاش المنفى واغترب يعرف ما الذي يقصده الجواهري وماذا قصد مظفر النواب؟
قدّر لي أن ألتقي مظفر النواب مرّة واحدة بعد خروجه إلى العلن بُعيد انقلاب 17 تموز (يوليو) 1968، وخصوصاً بعد تسوية قضية هروبه من سجن الحلّة وإسقاط الأحكام التي صدرت بحقه بعد اعتقاله في إيران وتسليمه إلى الحكومة العراقية، حيث حوكم وصدر حكم بإعدامه ، ثم خُفِّض الحكم إلى المؤبّد، وكانت التنظيمات الشيوعية قد نظّمت عملية هروب جماعية من سجن الحلّة في خريف العام 1967، حيث تم حفر نفق طويل بحدود 20 متراً بملاعق الطعام وأدوات بسيطة للغاية، كما روى لي ذلك حسين سلطان في السبعينات، وقد كنت باستمرار أطالبه بتدوين ذلك وتوثيقه، وبالفعل أنجز جزءًا منه وقام خالد حسين سلطان بنشره لاحقاً.
وكان من بين الهاربين مظفر النواب، علماً بأنه تم اعتقال قسماً منهم ونجح الآخرون في الإفلات بعد أن قضوا بضعة أيام في الريف. وقد رويت كيف نظّمنا سفرة طلابية (حيث كنت في الصف المنتهي في الكلية) لإنقاذ سعدون الهاشمي ورفيقه من سدّة الهندية إلى بغداد، كما جاء في مقالة لي عن سنان الشبيبي والموسومة: سنان محمد رضا الشبيبي والبنك المركزي- قضية رأي عام المنشورة في صحيفة الخليج (الإماراتية) بتاريخ 31/10/2012، جدير بالذكر الإشارة إلى أن سعدون الهاشمي هو شقيق سامي الهاشمي الذي استشهد غدراً في أيلول (سبتمبر)1968 في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية.
وكنتُ قبل أن ألتقي مظفر أحفظ الكثير من قصائده، ولاسيّما تلك المهرّبة من سجن نقرة السلمان وسجن الحلة فيما بعد، واستمعت إلى الكثير من التفاصيل عنه من عدد غير قليل من الأصدقاء منهم مهدي عدنان الشديدي والمحامي هاشم صاحب والمحامي محمد أمين الأسدي وابراهيم الحريري وصاحب الحكيم وآخرين.
وكان اللقاء الثاني الذي وثّق الصداقة في براغ العام 1970، ثم تواصلت اللقاءات بعدها في دمشق حيث تعمّقت علاقتي به وكنت ألتقيه على نحو مستمر تقريباً، سواء في منزل طارق الدليمي أو في منزلي أو في مقهى الهافانا الذي كنّا نرتاده أحياناً، أو في حانة " قصر البلّور" في "باب توما" لعدّة مرات رفقة طارق الدليمي وآخرين. وحين غادرت دمشق لم تكتمل زيارتي لها إلّا حين ألتقي مظفر النواب، وكان غالباً ما يأتيني بصحبة الشاعر رياض النعماني أو حامد العاني قبل لجوئه إلى هولندا أو شفيق الياسري (هاشم) أو باقر ياسين الذي استضافنا عدة مرات في مزرعته خارج دمشق.
والتقينا أكثر من مرّة مع بعض الأدباء والمثقفين السوريين، منهم صادق جلال العظم وممدوح عدوان وزوجته إلهام وحميد مرعي وأبيّة حمزة ومنى الأتاسي وعمر أميرلاي وهيثم حقي ومحمد ملص وزوجته انتصار ملص.
وأتذكّر إن في إحدى اللقاءات وكان بدعوة من الصديقة رُلى فيصل ركبي دار الحوار والجدل حول علاقة الشعر بالفلسفة والمسرح والرسم بخاصة والفن التشكيلي بعامة والسينما والتلفزيون والإعلام بشكل عام، باستعراض تجارب المتنبي والمعرّي والجواهري وبعض الأعمال المعاصرة ، إضافة إلى الرواد في الحركة التجديدية الحديثة مثل بدر ونازك والحيدري والبياتي وسعيد عقل وأدونيس ومحمد الماغوط ، ودور مجلة الآداب ف ي الخمسينات والستينات. وكان مسك الختام حين أسمعنا مظفر الشعر مغنّى، وهكذا امتزجت علاقة الصوت والعين والأذن والروح والقلب والعقل، وللأسف لم نتمكن من تسجيل تلك السهرة الثقافية الفكرية بامتياز، وهو ما سبق أن حصل مرّة مع الجواهري حين حاولنا تسجيل كاسيت له ، لكن آلة التسجيل لم تكن على ما يرام.
كما التقيت به أكثر من مرة في الثمانينات في طرابلس . وقد أخبرني الصديق عاطف أبو بكر كيف حاول أن يطفئ النيران بينه وبين " أبو نضال" (صبري البنّا) ، وقد عقد بينهما أكثر من اجتماع في طرابلس أواخر الثمانينات، وبذل جهداً كبيراً لفضّ الاشتباك، وكان حريصاً ألّا يتعرّض عاطف أبو بكر ومن معه للأذى أو للانتقام.
وفي التسعينات حين انتقلت إلى لندن، لم يكن مظفر النواب يزورها إلّا ويشرّفني بزيارة خاصة وكانت أول زيارة له بدعوة من النادي العربي ورئيسه ضياء الفلكي الذي نظّم له أمسية عامة لم تشهد لها لندن مثيلاً، وقد طلب مني في حينها اللقاء بـ صلاح عمر العلي وحصل اللقاء على نحو حميم، وعاد بعد عدّة سنوات ونظّم له أمسية ثانية، وأتذكر أن مشعان الجبوري قدم من اسطنبول أو مدينة تركية أخرى لحضور الأمسية، ولم تكن ثمة تذاكر وقد اتصل بي، فأمنّت له تذكرة خاصة، وحين استعيد تلك التفاصيل فلأنني أريد إظهار الاهتمام العام بمظفر النواب ومحبة الناس له، خارج دائرة الاصطفافات والاستقطابات التقليدية.
وكنت أعتبر كل زيارة له فرصة مناسبة ومهمة للتواصل الشخصي من جهة ومن جهة أخرى لتنظيم أمسية محدودة له مع نخبة عربية كنت أدعوها إلى منزلي، وفي لندن كان رفيق دربه الفنان سعدي الحديثي، وغالباً ما كانت ترافقه المهندسة المعمارية ميسون الدملوجي، والموسيقي أحمد المختار. وحين أصدرت كتابي عن الروائي والصحافي شمران الياسري "أبو كاطع" الموسوم "على ضفاف السخرية الحزينة"، لندن، 1998 (دار الكتاب العربي) أهديته إلى مظفر النواب وجاء فيه " إلى مظفر النواب ... وضاعت زهرة الصبّار".
وأود أن أشير إلى أن مظفر النواب استمرّ بحمل جواز سفر ليبي لغاية العام 2007، وكان حين يرغب بزيارة بيروت يطلب منّي توجيه دعوة خاصة له كما تقتضي القوانين اللبنانية للحصول على فيزا، عبر تقديم سند الملكية والإقامة وتعهّد باستضافته وتحمل كل ما يتعلق بالتبعات القانونية، وذلك بعد انتقالي إلى بيروت، وكانت آخر زيارة خاصة له بالترتيب المشار إليه ، قبل حصوله على جواز سفر، بوجود والدتي نجاة حمود شعبان التي سرّت بلقائه وشجعتها على قراءة ما كانت تردّده من أقوال وتعتبرها شعراً.
أتذكّر لقاءنا في أواخر العام 1970 وكنتُ قد وصلتُ لتوّي إلى براغ للدراسة العليا، وحينها كنت لا أزال في كورس اللغة، وصادف أنني كنت أتهيأ للسفر إلى القاهرة لحضور مؤتمر دولي بمناسبة ميلاد الزعيم الراحل جمال عبد الناصر (بعد وفاته)، ضمتنا جلسة في مطعم " أوفليكو" المكان الذي زاره نابليون واحتسى فيه "البيرة السوداء" (أوائل القرن التاسع عشر) والطريف أن الساعة التي تزيّن واجهة المطعم قد أوقفت عقاربها وظلّت هكذا لتحمل توقيت احتلال نابليون للعاصمة التشيكية.
وهناك صدح صوت النواب وشاركه فيه جعفر ياسين، وكان يقرأ النواب البيت الأول أو المقطع الأول ليجيبه ياسين بصوته الشجي بالمقطع الثاني.
وفي براغ التقى المبدعان الكبيران الجواهري والنواب خلال تلك الزيارة الأثيرة. وفي مقهى سلوفانسكي دوم الشهير الذي كان مقرّاً للجواهري يرتاده كل يوم تقريباً، واللقاء غير التعارف، فقد كان التعارف قد حصل من قبل، حين كان الجواهري رئيساً لاتحاد الأدباء في العام 1959، وكان مظفر النواب عضواً فيه منذ التأسيس، ويتردّد على نادي اتحاد الأدباء لحضور بعض الأماسي والمناسبات، لكن اللقاء بمعناه الصميمي والخاص وعلى انفراد وحرّية ومحبة كان في براغ حسبما أعرف.
حين أبدى مظفر النواب إعجابه ببراغ ،التي زارها لأول مرّة، وبجمالها ونسائها وأجوائها، كان الجواهري مفتوناً بها ومتولهاً بحبها، فتلك المدينة التي كلّما ازددتَ معرفةً بها وبخباياها وزواياها وخفاياها ازددتَ عشقاً لها وتعلقاً بها، وكان الجواهري قد نظم لها في العام 1973 قصيدته الشهيرة الموسومة " آهات" التي يقول فيها:
قفْ على براها وجب أرباضها
وسلْ المصطاف والمرتبعا
أعلى الحسن ازدهاء وقعتْ
أم عليها الحسن زهواً وقعا

وسل الخلاق هل في وسعه
فوق ما أبدعه أن يبدعا

مرّت الأسراب تترى ..مقطع
من نشيد الصيف يتلو المقطعا
يا لصيفٍ ممتعٍ لو لم يكنْ
غيره كانَ الفصُول الأربعا
ممطرٌ آنا.. وريان الضحى
مزهرٌ آنا.. وذاوٍ سرعا
وفي مقهى سلوفانسكي دوم علقت فاتنة من اللواتي يعشقهن الجواهري بالشاعر مظفر النواب.. وهنا انتبه الجواهري للحكاية فسأل النواب.. بأي لغة تتكلّم معها؟ فأجاب النواب: بفرشاة الرسم، وبالمناسبة فالنواب رسّام وله إذن موسيقية مثلما تحمل مفردته نغماً، وبعد يومين اقتحم الجواهري خلوة النواب مداعباً إياه بمملّحة شهيرة كانت بعنوان "فاتنةً ورسّام" مهداة إلى "محمد المصباح" الذي عُرف في الحال " مظفر النواب"
وقال " محمد المصباح " يوماً لفاتنة من الغيد الحسان
من " الجيك" لست أدري
بهن المحصّنات من الزواني
هلّمي أرسمنك غداً.. فقالت
غداة غد وفي المقهى الفلاني
فقال بمرسمي حيث استتمت
من الرسم المعاني والمباني
فقالت لا ومن أعطاك ذهناً
وعلّمك التفنّن في البيان
أداة الرسم تحملها سلاحاً..
بين فخذيك مشحون السنان
ولكن كل ما تبغيه منّي
خفوت الضوء في ضنك المكان

وفي دمشق التقى الجواهري النواب لأكثر من مرّة، لكن لقاءً مميّزاً كان بينهما قد حصل في طرابلس (ليبيا) بعد سنوات طويلة (1988) من لقاء براغ المميّز، وظلّت العلاقة حميمة وتمتاز بالمودّة والإعجاب وفي كتابي " الجواهري جدل الشعر والحياة"، كنت قد سألت الجواهري عن إبداع عدد من الشعراء العراقيين والعرب بمن فيهم مظفر النوّاب، فقال مقيّماً إبداع النواب بما يفيد أنه يعتبر من أبرز الشعراء الشعبيين المجدّدين، ناهيك عن إعجابه بنضاليته وشجاعته، فضلاً عن روحه الإنسانية ونبل أخلاقه، وظلّت العلاقة الحميمة قائمة على الرغم من شحّ اللقاءات لاختلاف حياة المبدعين وطريقة تعبير كل منهما عن ذلك في حياتهما الخاصة.
*****
وإذا كانت لهجة التعبير الشعرية لدى مظفر النواب جنوبية، إلّا أنه شاعر بغدادي المولد والجذور والبيئة والثقافة وهو لم يسكن جنوب العراق ولم يتعرّف على لهجة أهله إلّا في أواسط الخمسينات، حين ذهب إلى زيارة الأهوار في سفرة دامت لأسبوع واحد، وبمرافقة صلاح خالص وابراهيم كبّة ويوسف العاني فأسرته المنطقة وأهلها وأغانيها وطبيعتها ولهجتها، فقد كانت زيارته الأولى إلى العمارة عن طريق الكحلاء حيث عشائر "ألبو محمد" و"الشموس"، سبباً في تعلّقه باللهجة الجنوبية كما أشار في أكثر من مناسبة وزاد أنه وقع في عشقها، وفي حديث له مع كاظم غيلان (دوّنه في كتابه عن مظفر النواب - الظاهرة الاستثنائية ، دار مكتبة عدنان ، بغداد، 2015) عن كيفية تمكّنه من اللهجة يقول:
"إنها مثل امرأة منحتني هي نفسها ومكنتني منها... المرأة لا تستطيع أن تعشقك دون أن تمكّنك منها.. العامية سلسة مطواعة لا تستعصي على النحت والاشتقاق منها.. الصورة عنها أجمل وأكثر وضوحاً..."
ويقول مظفر النواب أنهم اكتشفوا غناء غير الذي يغنّى بالإذاعة على حد تعبير حسين الهنداوي ، فلأول مرّة يسمع ويطرب للمحمداوي الذي كان يجيده جويسم، حتى أنه ظل في سهراته الخاصة يؤديه بطريقة مؤثرة .
ومن أغاني الهور شعر بالغنى الروحي لعالم جديد لم يألفه من قبل، بأبعاده وأحزانه وأشجانه ومعاناته وأفراحه، وهكذا ميّز "عامية المدينة " عن " عامية الأهوار" التي انحاز إليها لما تمتلكه من صور ورهافة وفضاء وألوان. حيث يقول " الهور ليس مجرد مكان، إنما هو زمن وروح أيضاً، وهكذا أخذ الصوت يتفجّر في داخله من منولوج جوّاني إلى وسيلة تعبير برّانية، وكأنه الموازي الخارجي للقصب والبردي والطيور والماء والمجاذيف والفضاء الواسع والغناء الحميم. وكانت رحلته الثانية في العام 1958 حيث نظّم اتحاد الأدباء عدة زيارات إلى الأهوار وقام هو بتغطية صحفية عنها بما تحمل من جمال سومري وقرمطي .
لقد وقع النواب في عشق اللهجة العامية الجنوبية من أول نظرة كما يقال، فبعد أسبوع من المعايشة قرّر الاقتران بها ، خصوصاً وكان قد تعلّق بها، فالأهوار هذا الفضاء المائي الشاسع يعطيه مثل هذه الصور المائية المتحرّكة المزدانة بالطيور بأنواعها والأسماك والحيوانات المتعددة والمدى اللّامحدود، وقد وجد في ذلك ضالته وخميرة أولية لإبداعه، لاسيّما والبيئة تمثّل رؤية تشكيلية متكاملة بذائقتها الجمالية ومفردات لغتها كما يقول محمد مبارك، وبذلك أحدث انعطافة موازية لما في الشعر الشعبي لما أحدثه رواد الحداثة الشعرية في الشعر الفصيح (محمد مبارك- الوعي الشعري، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2003) وما زاد في عشق مظفر اللكنة الجنوبية ولهجتها الجذابة هو اللقاء بعدد من المغنين مثل "غرير" و"جوسيم" و"سيد فالح" حيث اكتشف الثراء في الأصوات والأجواء والعوالم الجميلة. والهور بالنسبة لمظفر النواب " جسد ولغة من ماء" بكل ما فيها من أسرار وخبايا وجمال، إنها روح وثقافة مبلّلة بالماء، ولعلّ الماء يعني الحياة و"جعلنا من الماء كل شيء حي" كما في القرآن (سورة الأنبياء ، الآية 30)
*****
وإذا كان مظفر النواب قد أحدث مثل هذا التأثير والامتداد على صعيد العالم العربي من أقصاه حتى أقصاه ومن المحيط إلى الخليج كما يقال، لاسيّما بعد اغترابه منذ العام 1969، إلّا أنه لم يلق مثل هذا من جانب اليسار العراقي الرسمي وهو الذي يمثل بيئته الأولى ومنطلقه الأول، بل كان التعامل معه سلبياً ، سواء بالإهمال من جهة أو بمحاولة الانتقاص منه من جهة ثانية، على الصعيدين الشخصي والإبداعي،

العراقية الاسترالية

Wednesday
AL-IRAQIA No. 824
01 Jun 22 • Year 17

وداعاً شاعر البنفسج

عبد الحسين شعبان

مظفر النواب يتلألأ في ضمائرنا

فتارة بزعم نضوب وسيلته الإبداعية بعد أن تحوّل إلى الفصحى، وتارة أخرى لمؤاخذات سياسية ، لاسيّما في أواسط السبعينات وقد يكون جزء منها "إرضاءً" لحزب البعث "الحليف"، خصوصاً وأنه انحاز إلى القيادة المركزية في الصراع الداخلي، ولم تكتب أي دراسة أو بحث أو نقد جاد لإبداعه طيلة سنوات السبعينات والثمانينات، في حين كان الاهتمام العربي به يزداد ويتّسع من جانب حركة المقاومة الفلسطينية أو من جانب المثقفين العرب بشكل عام، حيث أصبح مظفر النواب ظاهرة وتظاهرة شعرية أينما حلّ وحيثما رحل يحتشد لسماعه الآلاف من الشابات والشبان المتعطش للتغيير، وكانت الأمسيات التي تسجل على كاسيتات بمثابة منشور سري مبشر بالعشق والثورة والجمال يتناقله المعجبون به وبشعره.

لقد وضع مظفر النواب مسافة بينه وبين العمل الحزبي والسياسي الروتيني اليومي، لكنه لم يتوانَ من النقد الفكري والثقافي للمواقف والتوجهات ضمن اجتهادات وقناعات ظلّ متمسكاً بها، وعبّر عنها في العديد من القصائد، وإذا كانت مرحلة المنفى الأولى أقرب إلى المباشرة كما عكست " وتريات ليلية" فإن المرحلة الثانية امتازت بالرمزية وغير المباشرة واتسمت بمسحة صوفية وظهرت تلك واضحة في مجموعته " المساورة أمام الباب الثاني".

ولعلّ المواقف السلبية من جانب اليسار العراقي الرسمي، إزاء مظفر النواب، ألحقت ضرراً باليسار نفسه، ودلّت على قصر نظر العديد من الإدارات الحزبية، لاسيّما بتعاطيها مع شؤون الثقافة والمثقفين وهي مواقف ظلّت مستمرة في ما يتعلّق بالسياسة الثقافية والمثقفين والمبدعين، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر المواقف من كل من الروائي ذو النون أيوب والشاعر بدر شاكر السياب والكاتب والأكاديمي صلاح خالص وعشرات الأسماء الكبيرة، من ضمنهم مؤخراً الشاعر سعدي يوسف، بل إن قسماً غير قليل منهم تعرّضوا للتنكيل وجرت محاولات لحجب نصوصهم عن النشر، ناهيك عن المحاربة بالأرزاق والأمثلة عديدة لا يتّسع المجال لذكرها.

وباستعارة مجازيّة من تجارب كونية يسارية أم يمينية يمكننا القول أن أسماء الحكّام الظالمين والمتسلطين من السياسيين وغيرهم لا تجد مكانها الإيجابي من التاريخ، في حين أن أسماء المبدعين تبقى تتلألأ على امتداده، مثل بيتهوفن وكانط وفولتير ومونتسكيو وروسو وشكسبير وغوته وموزارت وباخ وتولستوي وتشيخوف ورامبو وسواهم، في الوقت الذي لا أحد يتذكّر من كان رئيس وزراء أو ملكاً أو وزير خارجية هذا البلد أو ذاك وهم من مجايلي هؤلاء المبدعين.

ومَنْ أنفع وأهم وأكثر تعبيراً عن تطلعات الناس وهمومهم شارلي شابلن وتشايكوفسكي وكافكا وفيليني وفرانك سيناترا وسارتر والبير كامو وكولن ولسون وأراغون وغرامشي وأدونيس ومحمود درويش وأنستاس الكرملي وفيروز وسعدالله ونوس وأم كلثوم وعلي عيد الرازق ومحمد عبده أم وزراء داخلية أم دفاع أم مسؤولين أمنيين، عاصروا أولئك المبدعين؟ ومن أقرب إلى الشيوعية روزا لكسمبورغ وبريخيت وبيكاسو وجوليا كوري أم ستالين ودرجنسكي وبيريه وجدانوف وسواهم؟

ويمكننا القول أيهما أهم علي الوردي والجواهري وعبد الجبار عبدالله ومحمد مهدي المخزومي وعلي جواد الطاهر وغائب طعمه فرمان وبدر شاكر السياب ويوسف العاني وناهدة الرماح وزينب (فخرية عبد الكريم) ولميعة عباس عمارة وأبو كَاطع (شمران الياسري) ومظفر النواب وكاظم السماوي وسعدي يوسف أم عقل بيروقراطي متسلط وفكر متحجر يؤثّم ويحرّم ويجرّم في إطار منظومته التعسفية ولا أرغب في التسميات، ففي المعنى تكمن الدلالة.

وإذا كان خروج بعض المثقفين من الأحزاب الشمولية يضيق أمامهم فرص النشر والانتشار، إلّا أن خروج بعضهم الآخر من أمثال مظفر النواب فيه خسارة للأحزاب ذاتها، لا يمكن تعويضها بآلاف المنتسبين، وذلك درس لا غنى عنه للمشتغلين في عالم السياسة بلحاظ علاقته بعالم الثقافة والإبداع، ناهيك عن "وصايا" الرفيق فهد التي طالما يتم ترديدها بطريقة أقرب إلى التعاويذ والأدعية ، خصوصاً حين تتحوّل إلى مجرّد نصوص صمّاء وعظية وذات سمة نمطية أقرب إلى المحفوظات، لاسيّما بإهمالها عند التطبيق، بل العمل بالضد منها وأنقلها هنا للاستذكار والفائدة "أيها الرفيق كن تقدمياً... في نظرتك نحو العلم والفن والأدب والثقافة، ودافع عنها باعتبارها ملك شعبنا.. وملك الإنسانية التقدمية.. واحترام العلماء والفنانين والأدباء دون الالتفات إلى قومياتهم وأجناسهم...".

وباستثناء ما نشره كاظم غيلان من دراسة أولية في "مجلة الثقافة" التي كان يرأسها صلاح خالص والموسومة "مع قصائد مظفر النواب خارج ديوان الريل وحمد"، آب (أغسطس) 1975 يكاد يكون مظفر النواب قد اختفى من الصحافة الشيوعية الرسمية، واستمرّ الأمر حتى حين انتقلت هذه الصحافة إلى المعارضة في أواخر السبعينات وإن ظلّ جمهور اليسار العراقي بشكل عام متشبثاً بمظفر النواب، ويتابع أخباره ونشاطاته ويتناقل قصائده ويدونها ويوزّعها فيما بينه، بل ويتبادل قصصاً أقرب إلى المتخيّل عنها مثل المشاركة في الثورة الإرتيرية مروراً بالثورة الظفارية إلى الكفاح المسلح في فلسطين، ولعلّ ذلك نابع من التسريبات عن زياراته لحركات التحرر الوطني حينها وفي مواقعها المتقدمة، ولكن حين أصبح مظفر النواب منارة شامخة في الوسط الثقافي العربي، بدأت المؤسسة الحزبية الرسمية هي التي تتقرّب منه وتجامله حد "التملّق" في مسعى لتعزيز مكانتها.

وكنت قد سمعت الكثير من الحكايا من مظفر النواب شخصياً، كما أعرف تفاصيل عن مواقف البعض للنيل منه، وحين أتعرّض إلى هذا الموضوع، فليس الهدف منه نكأ الجراح، بل لأخذ الدروس والعبر،"فذكّر إن نفعت الذكرى" (القرآن، سورة الأعلى 87 ، الآية 9).

وأتذكّر أن شريط كاسيت وصلني كان فيه النواب يهجو الوضع السياسي في العراق في أواسط السبعينات بما فيه مواقفنا، ولم أعثر على تلك القصيدة التي وردت فيه طيلة الفترة الماضية حتى وجدتها لدى حسين الهنداوي في مقالته "فتى العراق مظفر النواب" والقصيدة بعنوان " سالوفة أبو سرهيد" وهي ستة سوالف كما يقول وقد نشرت حينها في " جبل شاخ رش" في كردستان أوائل نيسان (ابريل) 1974 كما يذكر:

أسولفلك
أسولفلك
وسوالف ليل
وحصيني نفط
وأحزاب إجاهه الموت
طرك الله وكراسي بالوزارة
ولبست النفنوف
خل يكعد فهد ويشوف
يغاتي بغيبتك كام الشكنك والبتل
والزبل والخريط
وانته تكلي لو خيط الفجر بيّن
إلزموا الخيط ولتعوفوه
لكن كلّي وين الخيط ؟
وين الخيط؟

وقد اطّلعت على دراسة ثانية للصديق حسين الهنداوي الذي كان على ملاك القيادة المركزية (الجناح الشيوعي الآخر) نشرها في "مجلة أصوات" في باريس التي كان يرأس تحريرها. وأود أن أشير إلى أن من الكتب المهمة الأولى التي أرّخت لمظفر النواب هو ما نشره باقر ياسين في دمشق العام 1988 وقد تحاورت معه بشأنه مطولاً عدّة مرات والموسوم "مظفر النواب حياته وشعره"، كما جرت محاولات لجمع قصائده ونشرها وأحياناً دون موافقة منه ، حيث كانت تُجمع من بعض الكاسيتات لأماسي كان النواب يعقدها في دمشق أو السلميّة أو طرابلس أو بيروت أو أوروبا أو أمريكا وكندا، لكنها كما قال لأكثر من مرة لا تعبّر عنه ولا تمثله، علماً بأن ما صدر عنه هو ديوان "الريل وحمد" العام 1969 الذي صمم غلافه الفنان ضياء العزاوي و"وتريات ليلية" طبع في الجزائر في أواخر السبعينات والطبعة الثالثة العام 1983، و"حجّام" و" المساورة أمام الباب الثاني "...

وقد بذلتُ مع دار الكنوز الأدبية التي كان صاحبها عبد الرحمن النعيمي (سعيد سيف) ورفاقه محاولة جادة لطبع "الأعمال الكاملة"، وذلك بالاتفاق مع مظفر النواب، وتعهدت الدار بإخراجها بأحسن حلّة وتدقيقها والحصول على موافقته الخطية قبل طبعها، لكن ذلك لم يتحقق لأسباب موضوعية وذاتية، ومنها عودة أصحابها إلى البحرين بعد الانفراج الذي حصل فيها العام 2000، وعدم استكمال جميع أعماله الموزعة في كاستيات عديدة.

وكان عبد الرحمن النعيمي أميناً عاماً للجبهة الشعبية في البحرين وسبق له أن التقى مظفر في عدن وظفار في السبعينات، ومعه رفيقه عبد النبي العكري (حسين موسى) وظلّت علاقة الجبهة، وفيما بعد جمعية العمل الوطني "وعد" التي انبثقت عنها، بمظفر متينة ووثيقة وقد منحه "منتدى عبد الرحمن النعيمي الفكري" في العام 2016 وساماً ودرعاً خاصاً ، علماً بان المنتدى تأسس بعد رحيل النعيمي، وبسبب ظروف مظفر الصحية تسلمته نيابة عنه، وكنت قد تعرّفت على النعيمي في عدن أيضاً خلال وجودي لإلقاء محاضرة عن " ديمقراطية التعليم والإصلاح الجامعي " في العام 1974، وقد دوّنت في سردية موسّعة علاقتي التاريخية به في كتاب أصدرته عنه بعد رحيله والموسوم " عبد الرحمن النعيمي – الرائي والمرئي وما بينهما، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 2016".

تجدر الإشارة إلى أن دراستين مهمتين كانتا قد صدرتا عن الشاعر الأولى في العام 1996 والموسومة "مظفر النواب شاعر المعارضة السياسية" لـ عبد القادر الحسني وهاني الخير، والثانية لـ حسين سرمك حسن التي هي بعنوان" الثورة النوابية" العام 2010 وقد أشرت إليها في مقالتي عن مظفر النواب المنشورة في صحيفة الاقتصادية (السعودية) بتاريخ 13/5/2011 بعنوان "بعد سنوات من التمرد.. مظفر النواب يعود إلى بغداد".

وقبل أن أختتم هذا المقطع أود أن أشير إلى أن مظفر النواب من مواليد 1934، وهناك من يقول 1932 استناداً إلى الطبيبة التشيكية فلاستا كالالوفا التي عاشت في العراق منذ أوسط العشرينات وغادرته في العام 1932، وأستند في هذا التاريخ إلى الرواية التي أصدرتها ايلونا بورسكا عنها وهي بعنوان " طبيبة في بيت البرزنجي" وقام بترجمتها حسين العامل في أواخر التسعينات ونشرتها دار المدى في دمشق العام 2000، وحسب ما يذكر مظفر النواب أنها هي التي ولّدته وهذا يعني أنه ولد في مطلع العام 1932، وقد دققت ذلك بتنبيه من الصديق عصام الحافظ الزند.

وإذا كانت حياة مظفر النواب التي تقارب التسعة عقود من الزمان مليئة بالحيوية والمغامرة والترحال والشموخ والأحلام والمعاكسة للتيار السائد، فإنه اليوم يعاني منذ عقد من الزمان تقريباً من مرض الباركنسون وحيداً في خلوة أقرب إلى خلوة رابعة العدوية ولقائها بمعشوقها الخالق وهي عودة إلى رحم الأشياء ، وكما يقول : عودة إلى الهور والعصفور وأعواد القصب
أسمع خلوة العصفور/ جنه ريش
ونقطة نور

ولم تنفع قطع غربته بزيارة عابرة إلى الوطن في العام 2011 بدعوة من جلال الطالباني رئيس الجمهورية حينها، إلّا أنه فضّل البقاء معتّقاً في منفاه، وكان مكتب رئيس الوزراء نوري المالكي قد بذل عدّة محاولات للتواصل معه وأجرى عدّة اتصالات معي، وكذلك السفارة العراقية في بيروت، لكنه ظلّ معتكفاً في صومعته لائذاً بعزلته المجيدة، خصوصاً بعد التدهور الشديد في صحته، وهذا ما دفعني لعدم اللقاء به لكي أحتفظ بصورته المتألقة في ذهني لاعتبارات نفسية وعاطفية، وهو ما اتبعته أيضاً مع الجواهري وأديب الجادر ومحمود البياتي وكوثر الواعظ وصالح دكّله ومحمد بحر العلوم ومحمد حسين فضل الله وغيرهم من أصدقاء وشخصيات عامة، علماً بأنني كنت دائم السؤال من محيطهم عن أوضاعهم الصحية ومتابعاً لأخبارهم.

*****

أشعر أحياناً وربما معي كثيرون أننا حين نستمع إلى مظفر النواب فإن الكلمات لا تخرج من فمه، بل يتحدث بفؤاده، وهكذا يطغى عنده حب اللغة لدرجة العشق والتولّه، وهو الذي يجمع بين جوانحه عفوية طفل ودهشته وتلقائيته وصدقه ومشاكسته وتمرده، مثلما يجمع تجربة شيخ مجرب وحكيم خبِر الحياة ودروبها الوعرة، ونتعجب كيف استطاع أن يوائم بين النقيضين، بساطة الطفل وحكمة الحكيم.

وكان مظفر النواب حريصاً على جودة ما ينتج حتى لتبدو متوافقة مع قيم الجمال والخير والحرية، وتلك باقة أحلامه، وهو لا يكتفي بالعابر أو العيش في اللحظة الراهنة، بل إن عقله يعيش في المستقبل، باستعارة من الروائي الروسي مكسيم غوركي حين وصف أحد ثوريّ عصره بقوله: أن نصف عقله يعيش في المستقبل، وبقدر ما كان مظفر باستمرار مع الناس، لكنه كان يميّز نفسه عنهم، إنه يشبه المجموع، لكنه ليس على شاكلة أي واحد منهم.

ولعلّ ما يكتبه هو أقرب إلى صيحة انبهار، لأنه يرى ما لا يراه الإنسان العادي، وكثيراً ما يتوقف وتسترعي انتباهه وتشغل تفكيره قضايا يمرّ عليها البشر العاديون دون أن تلفت انتباههم، فعينه وذاكرته البصرية كانت شديدة الملاحظة، حيث صوّر الهور بكل ما فيه واستمع إلى أنغامه من لهجة أهله ، فمظفر راصد وقارئ ومصوّر وموسيقي يحسّ بالأشياء ويشمّها ويسمع نبضها، ويقوم بتفكيك الظواهر وإعادة تركيبها لاستجلاء قدراتها وإظهار دلالاتها، بالمألوف واللاّمألوف، وهو لا يستسهل كتابة قصيدته لساعة أو ساعتين ، وأحياناً تطول بيده حياكتها لأشهر أو حتى لسنوات، فلم ينجز قصيدته للريل وحمد دون عملية هضم وتمثّل للحالة الجديدة التي دخلها منذ زيارته الأولى للأهوار، حتى نضجت عنده القصيدة على نار هادئة دامت أكثر من سنتين، أي منذ العام 1956 إلى العام 1958، فخرجت من التنّور طازجة شهية، وهذا هو الفرق بين الشاعر الجيد والشاعر الرديء، وكذلك الكاتب الجيد والكاتب الرديء لأن البحث عن الجودة ينبغي أن يبقي الكاتب والشاعر والمبدع بشكل عام ضنيناً بنفسه واسمه وقلمه وريشته وصوته وأداته، لذلك يبقى على قلق كما يقول المتنبي :
فما حاولت في أرض مقاماً
ولا أزمعت عن أرض زوالا
على قلق كأن الريح تحتي
أوجهها جنوباً أو شمالاً

ولذلك بقي مظفر النواب كثير التردّد في النشر لأنه يعيد ويصقل ويحسّن ويضيف ويحذف ساعياً للرقي والجودة، وكل شاعر جيد أو مبدع جيد بشكل عام هو قارئ جيد، يجيد الإصغاء بكل حواسه، ناهيك عن ضرورة أن يكون خياله خصباً، فلا شاعر أو مبدع بدون خيال أو حتى يوتوبيا، ففي كل فلسفة هناك شيئاً في اليوتوبيا، والمبدع لا يصبح مبدعاً إلّا بالقارئ، حيث ينمو ويتطور ويتجدّد معه، ولذلك تراه غير قابل على نفسه ولا قناعة له بما ينتج لأنه يريد الأفضل والأحسن والأبهى، خصوصاً إذا ما قرأ نصوصه بعين الناقد، لاسيّما إذا اختلى بنفسه.

ومظفر النواب لم يتوقف ولم ينضب حبر قلمه طيلة ما يزيد عن ستة عقود من الزمان، لأن قلمه سيصاب بالصدأ لو استكان لما أنجز، فالكسل والرضا عن النفس هو عدو الشاعر بشكل خاص والكاتب بشكل عام.

ثمة خيط رفيع بين العبقرية والجنون، ولعلّ هذا ينطبق على الشعر والموسيقى والفنون بشكل عام أكثر من غيرها، لذلك يقال أحياناً جنون الشاعر أو عبقريته، شيطانه أو رحمانه ، بمعنى الإلهام والإيحاء الذي يأتيه من مصادر غامضة، وكنت قد سألت الجواهري عن "اللحظة الإبداعية" وكيف ينزل عليه أو يفاجئه الإلهام؟ فقال: شيئاً ما يوشوشني ويهمس في أذني فأستجيب إليه، ولاسيّما حينما يستحثه على الخطى ويحفّزه ويستفزه ليأتي بطلعته البهية وصوته الجميل ورشاقة حركته.

هناك قوة خفية وشحنة جاذبة مع شيء من الشجن والتوجّع والتحدّي في لغة مظفر النواب فهي لغة مركبة كيمياوياً، فقد تنفجر في المواجهة وقد تتحوّل إلى سمفونية بهارموني في المحسوسات والصوفيات، حيث يختفي الصخب والضوضاء الذي تحدثه قصيدة التحدي والمباشرة، فلكل حرف صوت وإذا اجتمعت الحروف تشكلت كلمات وجمل ومعان ودلالات، فما بالك حين تكتسب مسحة موسيقية، وهكذا هو شعر مظفر، إنه يضع حواسك كلّها في حالة تأهب، لاسيّما الأذن والعين، فشعر مظفر مغنّي ومطرّب ومسموع على طريقة القدامى.

وقد سألته مرّة من تفضّل أن يغني شعرك، فذكر المطربين الياس خضر وسعدون جابر، وسألته عن آخرين، فلم يحبّذ ذلك، وكان أحد المطربين قد استمات في الحصول على موافقة لنص يغنيه، فلم يستجب له مظفر النواب، مع أنه يحمل صوتاً جميلاً، وقال لي: إن طبقات صوته لا تتناسب مع قصائدي، وهناك علاقة بين دلالات الحروف والنقطة والفارزة والوقوف والانطلاق والسكون والصعود، وكلها تشعر بها مع روح مظفر حين يتلو قصيدته، فجذوة الشعر في قصائده مبثوثة في خلاياه، وكل ما يلزمها شرارة صغيرة ليشتعل السهل كله على حد تعبير ماوتسي تونغ، وتلك بصمة

وداعاً شاعر البنفسج

عبد الحسين شعبان

فتارة بزعم نضوب وسيلته الإبداعية بعد أن تحوّل إلى الفصحى، وتارة أخرى لمؤاخذات سياسية ، لاسيّما في أواسط السبعينات وقد يكون جزء منها "إرضاءً" لحزب البعث "الحليف"، خصوصاً وأنه انحاز إلى القيادة المركزية في الصراع الداخلي، ولم تكتب أي دراسة أو بحث أو نقد جاد لإبداعه طيلة سنوات السبعينات والثمانينات، في حين كان الاهتمام العربي به يزداد ويتّسع من جانب حركة المقاومة الفلسطينية أو من جانب المثقفين العرب بشكل عام، حيث أصبح مظفر النواب ظاهرة وتظاهرة شعرية أينما حلّ وحيثما رحل يحتشد لسماعه الآلاف من الشابات والشبان المتعطش للتغيير، وكانت الأمسيات التي تسجل على كاسيتات بمثابة منشور سري مبشر بالعشق والثورة والجمال يتناقله المعجبون به وبشعره.

لقد وضع مظفر النواب مسافة بينه وبين العمل الحزبي والسياسي الروتيني اليومي، لكنه لم يتوانَ من النقد الفكري والثقافي للمواقف والتوجهات ضمن اجتهادات وقناعات ظلّ متمسكاً بها، وعبّر عنها في العديد من القصائد، وإذا كانت مرحلة المنفى الأولى أقرب إلى المباشرة كما عكست " وتريات ليلية" فإن المرحلة الثانية امتازت بالرمزية وغير المباشرة واتسمت بمسحة صوفية وظهرت تلك واضحة في مجموعته " المساورة أمام الباب الثاني".

ولعلّ المواقف السلبية من جانب اليسار العراقي الرسمي، إزاء مظفر النواب، ألحقت ضرراً باليسار نفسه، ودلّت على قصر نظر العديد من الإدارات الحزبية، لاسيّما بتعاطيها مع شؤون الثقافة والمثقفين وهي مواقف ظلّت مستمرة في ما يتعلّق بالسياسة الثقافية والمثقفين والمبدعين، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر المواقف من كل من الروائي ذو النون أيوب والشاعر بدر شاكر السياب والكاتب والأكاديمي صلاح خالص وعشرات الأسماء الكبيرة، من ضمنهم مؤخراً الشاعر سعدي يوسف، بل إن قسماً غير قليل منهم تعرّضوا للتنكيل وجرت محاولات لحجب نصوصهم عن النشر، ناهيك عن المحاربة بالأرزاق والأمثلة عديدة لا يتّسع المجال لذكرها.

وباستعارة مجازيّة من تجارب كونية يسارية أم يمينية يمكننا القول أن أسماء الحكّام الظالمين والمتسلطين من السياسيين وغيرهم لا تجد مكانها الإيجابي من التاريخ، في حين أن أسماء المبدعين تبقى تتلألأ على امتداده، مثل بيتهوفن وكانط وفولتير ومونتسكيو وروسو وشكسبير وغوته وموزارت وباخ وتولستوي وتشيخوف ورامبو وسواهم، في الوقت الذي لا أحد يتذكّر من كان رئيس وزراء أو ملكاً أو وزير خارجية هذا البلد أو ذاك وهم من مجايلي هؤلاء المبدعين.

ومَنْ أنفع وأهم وأكثر تعبيراً عن تطلعات الناس وهمومهم شارلي شابلن وتشايكوفسكي وكافكا وفيليني وفرانك سيناترا وسارتر والبير كامو وكولن ولسون وأراغون وغرامشي وأدونيس ومحمود درويش وأنستاس الكرملي وفيروز وسعدالله ونوس وأم كلثوم وعلي عبد الرازق ومحمد عبده أم وزراء داخلية أم دفاع أم مسؤولين أمنيين، عاصروا أولئك المبدعين؟ ومن أقرب إلى الشيوعية روزا لكسمبورغ وبريخيت وبيكاسو وجوليا كوري أم ستالين ودرجنسكي وبيريه وجدانوف وسواهم؟

ويمكننا القول أيهما أهم علي الوردي والجواهري وعبد الجبار عبدالله ومحمد مهدي المخزومي وعلي جواد الطاهر وغائب طعمه فرمان وبدر شاكر السياب ويوسف العاني وناهدة الرماح وزينب (فخرية عبد الكريم) ولميعة عباس عمارة وأبو كَاطع (شمران الياسري) ومظفر النواب وكاظم السماوي وسعدي يوسف أم عقل بيروقراطي متسلط وفكر متحجر يؤثّم ويحرّم ويجرّم في إطار منظومته التعسفية ولا أرغب في التسميات، ففي المعنى تكمن الدلالة.

وإذا كان خروج بعض المثقفين من الأحزاب الشمولية يضيق أمامهم فرص النشر والانتشار، إلّا أن خروج بعضهم الآخر من أمثال مظفر النواب فيه خسارة للأحزاب ذاتها، لا يمكن تعويضها بآلاف المنتسبين، وذلك درس لا غنى عنه للمشتغلين في عالم السياسة بلحاظ علاقته بعالم الثقافة والإبداع، ناهيك عن "وصايا" الرفيق فهد التي طالما يتم ترديدها بطريقة أقرب إلى التعاويذ والأدعية ، خصوصاً حين تتحوّل إلى مجرّد نصوص صمّاء وعظية وذات سمة نمطية أقرب إلى المحفوظات، لاسيّما بإهمالها عند التطبيق، بل العمل بالضد منها وأنقلها هنا للاستذكار والفائدة "أيها الرفيق كن تقدمياً... في نظرتك نحو العلم والفن والأدب والثقافة، ودافع عنها باعتبارها ملك شعبنا.. وملك الإنسانية التقدمية.. واحترام العلماء والفنانين والأدباء دون الالتفات إلى قومياتهم وأجناسهم...".

وباستثناء ما نشره كاظم غيلان من دراسة أولية في "مجلة الثقافة" التي كان يرأسها صلاح خالص والموسومة "مع قصائد مظفر النواب خارج ديوان الريل وحمد"، آب (أغسطس) 1975 يكاد يكون مظفر النواب قد اختفى من الصحافة الشيوعية الرسمية، واستمرّ الأمر حتى حين انتقلت هذه الصحافة إلى المعارضة في أواخر السبعينات وإن ظلّ جمهور اليسار العراقي بشكل عام متشبثاً بمظفر النواب، ويتابع أخباره ونشاطاته ويتناقل قصائده ويدونها ويوزّعها فيما بينه، بل ويتبادل قصصاً أقرب إلى المتخيّل عنها مثل المشاركة في الثورة الإرتيرية مروراً بالثورة الظفارية إلى الكفاح المسلح في فلسطين، ولعلّ ذلك نابع من التسريبات عن زياراته لحركات التحرر الوطني حينها وفي مواقعها المتقدمة، ولكن حين أصبح مظفر النواب منارة شامخة في الوسط الثقافي العربي، بدأت المؤسسة الحزبية الرسمية هي التي تتقرّب منه وتجامله حد "التملّق" في مسعى لتعزيز مكانتها.

وكنت قد سمعت الكثير من الحكايا من مظفر النواب شخصياً، كما أعرف تفاصيل عن مواقف البعض للنيل منه، وحين أتعرّض إلى هذا الموضوع، فليس الهدف منه نكأ الجراح، بل لأخذ الدروس والعبر،"فذكّر إن نفعت الذكرى" (القرآن، سورة الأعلى 87 ، الآية 9).

وأتذكّر أن شريط كاسيت وصلني كان فيه النواب يهجو الوضع السياسي في العراق في أواسط السبعينات بما فيه مواقفنا، ولم أعثر على تلك القصيدة التي وردت فيه طيلة الفترة الماضية حتى وجدتها لدى حسين الهنداوي في مقالته "فتى العراق مظفر النواب" والقصيدة بعنوان " سالوفة أبو سرهيد" وهي ستة سوالف كما يقول وقد نشرت حينها في " جبل شاخ رش" في كردستان أوائل نيسان (ابريل) 1974 كما يذكر:

أسولفلك
أسولفلك
وسوالف ليل
وحصيني نفط
وأحزاب إجاهه الموت
طرك الله وكراسي بالوزارة
ولبست النفنوف
خل يكعد فهد ويشوف
يغاتي بغيبتك كام الشكنك والبتل
والزبل والخريط
وانته تكلي لو خيط الفجر بيّن
إلزموا الخيط ولتعوفوه
لكن كلّي وين الخيط ؟
وين الخيط؟

وقد اطّلعت على دراسة ثانية للصديق حسين الهنداوي الذي كان على ملاك القيادة المركزية (الجناح الشيوعي الآخر) نشرها في "مجلة أصوات" في باريس التي كان يرأس تحريرها. وأود أن أشير إلى أن من الكتب المهمة الأولى التي أرّخت لمظفر النواب هو ما نشره باقر ياسين في دمشق العام 1988 وقد تحاورت معه بشأنه مطولاً عدّة مرات والموسوم "مظفر النواب حياته وشعره"، كما جرت محاولات لجمع قصائده ونشرها وأحياناً دون موافقة منه ، حيث كانت تُجمع من بعض الكاسيتات لأماسي كان النواب يعقدها في دمشق أو السلميّة أو طرابلس أو بيروت أو أوروبا أو أمريكا وكندا، لكنها كما قال لأكثر من مرة لا تعبّر عنه ولا تمثله، علماً بأن ما صدر عنه هو ديوان "الريل وحمد" العام 1969 الذي صمم غلافه الفنان ضياء العزاوي و"وتريات ليلية" طبع في الجزائر في أواخر السبعينات والطبعة الثالثة العام 1983، و"حجّام" و" المساورة أمام الباب الثاني "...

وقد بذلتُ مع دار الكنوز الأدبية التي كان صاحبها عبد الرحمن النعيمي (سعيد سيف) ورفاقه محاولة جادة لطبع "الأعمال الكاملة"، وذلك بالاتفاق مع مظفر النواب، وتعهدت الدار بإخراجها بأحسن حلّة وتدقيقها والحصول على موافقته الخطية قبل طبعها، لكن ذلك لم يتحقق لأسباب موضوعية وذاتية، ومنها عودة أصحابها إلى البحرين بعد الانفراج الذي حصل فيها العام 2000، وعدم استكمال جميع أعماله الموزعة في كاستيات عديدة.

وكان عبد الرحمن النعيمي أميناً عاماً للجبهة الشعبية في البحرين وسبق له أن التقى مظفر في عدن وظفار في السبعينات، ومعه رفيقه عبد النبي العكري (حسين موسى) وظلّت علاقة الجبهة، وفيما بعد جمعية العمل الوطني "وعد" التي انبثقت عنها، بمظفر متينة ووثيقة وقد منحه "منتدى عبد الرحمن النعيمي الفكري" في العام 2016 وساماً ودرعاً خاصاً ، علماً بان المنتدى تأسس بعد رحيل النعيمي، وبسبب ظروف مظفر الصحية تسلمته نيابة عنه، وكنت قد تعرّفت على النعيمي في عدن أيضاً خلال وجودي لإلقاء محاضرة عن " ديمقراطية التعليم والإصلاح الجامعي " في العام 1974، وقد دوّنت في سردية موسّعة علاقتي التاريخية به في كتاب أصدرته عنه بعد رحيله والموسوم " عبد الرحمن النعيمي – الرائي والمرئي وما بينهما، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 2016".

تجدر الإشارة إلى أن دراستين مهمتين كانتا قد صدرتا عن الشاعر الأولى في العام 1996 والموسومة "مظفر النواب شاعر المعارضة السياسية" لـ عبد القادر الحسني وهاني الخير، والثانية لـ حسين سرمك حسن التي هي بعنوان" الثورة النوابية" العام 2010 وقد أشرت إليها في مقالتي عن مظفر النواب المنشورة في صحيفة الاقتصادية (السعودية) بتاريخ 13/5/2011 بعنوان "بعد سنوات من التمرد.. مظفر النواب يعود إلى بغداد".

وقبل أن أختتم هذا المقطع أود أن أشير إلى أن مظفر النواب من مواليد 1934، وهناك من يقول 1932 استناداً إلى الطبيبة التشيكية فلاستا كالالوفا التي عاشت في العراق منذ أوسط العشرينات وغادرته في العام 1932، وأستند في هذا التاريخ إلى الرواية التي أصدرتها ايلونا بورسكا عنها وهي بعنوان " طبيبة في بيت البرزنجي" وقام بترجمتها حسين العامل في أواخر التسعينات ونشرتها دار المدى في دمشق العام 2000، وحسب ما يذكر مظفر النواب أنها هي التي ولّدته وهذا يعني أنه ولد في مطلع العام 1932، وقد دققت ذلك بتنبيه من الصديق عصام الحافظ الزند.

وإذا كانت حياة مظفر النواب التي تقارب التسعة عقود من الزمان مليئة بالحيوية والمغامرة والترحال والشموخ والأحلام والمعاكسة للتيار السائد، فإنه اليوم يعاني منذ عقد من الزمان تقريباً من مرض الباركنسون وحيداً في خلوة أقرب إلى خلوة رابعة العدوية ولقائها بمعشوقها الخالق وهي عودة إلى رحم الأشياء ، وكما يقول : عودة إلى الهور والعصفور وأعواد القصب

أسمع خلوة العصفور/ جنه ريش ونقطة نور

ولم تنفع قطع غربته بزيارة عابرة إلى الوطن في العام 2011 بدعوة من جلال الطالباني رئيس الجمهورية حينها، إلّا أنه فضّل البقاء معتّقاً في منفاه، وكان مكتب رئيس الوزراء نوري المالكي قد بذل عدّة محاولات للتواصل معه وأجرى عدّة اتصالات معي، وكذلك السفارة العراقية في بيروت، لكنه ظلّ معتكفاً في صومعته لائذاً بعزلته المجيدة، خصوصاً بعد التدهور الشديد في صحته، وهذا ما دفعني لعدم اللقاء به لكي أحتفظ بصورته المتألقة في ذهني لاعتبارات نفسية وعاطفية، وهو ما اتبعته أيضاً مع الجواهري وأديب الجادر ومحمود البياتي وكوثر الواعظ وصالح دكّله ومحمد بحر العلوم ومحمد حسين فضل الله وغيرهم من أصدقاء وشخصيات عامة، علماً بأنني كنت دائم السؤال من محيطهم عن أوضاعهم الصحية ومتابعاً لأخبارهم.

*****

أشعر أحياناً وربما معي كثيرون أننا حين نستمع إلى مظفر النواب فإن الكلمات لا تخرج من فمه، بل يتحدث بفؤاده، وهكذا يطغى عنده حب اللغة لدرجة العشق والتولّه، وهو الذي يجمع بين جوانحه عفوية طفل ودهشته وتلقائيته وصدقه ومشاكسته وتمرده، مثلما يجمع تجربة شيخ مجرب وحكيم خبِر الحياة ودروبها الوعرة، ونتعجب كيف استطاع أن يوائم بين النقيضين، بساطة الطفل وحكمة الحكيم.

وكان مظفر النواب حريصاً على جودة ما ينتج حتى لتبدو متوافقة مع قيم الجمال والخير والحرية، وتلك باقة أحلامه، وهو لا يكتفي بالعابر أو العيش في اللحظة الراهنة، بل إن عقله يعيش في المستقبل، باستعارة من الروائي الروسي مكسيم غوركي حين وصف أحد ثوريّ عصره بقوله: أن نصف عقله يعيش في المستقبل، وبقدر ما كان مظفر باستمرار مع الناس، لكنه كان يميّز نفسه عنهم، إنه يشبه المجموع، لكنه ليس على شاكلة أي واحد منهم.

ولعلّ ما يكتبه هو أقرب إلى صيحة انبهار، لأنه يرى ما لا يراه الإنسان العادي، وكثيراً ما يتوقف وتسترعي انتباهه وتشغل تفكيره قضايا يمرّ عليها البشر العاديون دون أن تلفت انتباههم، فعينه وذاكرته البصرية كانت شديدة الملاحظة، حيث صوّر الهور بكل ما فيه واستمع إلى أنغامه من لهجة أهله ، فمظفر راصد وقارئ ومصوّر وموسيقي يحسّ بالأشياء ويشمّها ويسمع نبضها، ويقوم بتفكيك الظواهر وإعادة تركيبها لاستجلاء قدراتها وإظهار دلالاتها، بالمألوف واللاّمألوف، وهو لا يستسهل كتابة قصيدته لساعة أو ساعتين ، وأحياناً تطول بيده حياكتها لأشهر أو حتى لسنوات، فلم ينجز قصيدته للريل وحمد دون عملية هضم وتمثّل للحالة الجديدة التي دخلها منذ زيارته الأولى للأهوار، حتى نضجت عنده القصيدة على نار هادئة دامت أكثر من سنتين، أي منذ العام 1956 إلى العام 1958، فخرجت من التنّور طازجة شهية، وهذا هو الفرق بين الشاعر الجيد والشاعر الرديء، وكذلك الكاتب الجيد والكاتب الرديء لأن البحث عن الجودة ينبغي أن يبقى الكاتب والشاعر والمبدع بشكل عام ضنيناً بنفسه واسمه وقلمه وريشته وصوته وأداته، لذلك يبقى على قلق كما يقول المتنبي :

فما حاولت في أرض مقاماً
ولا أزمعت عن أرض زوالا
على قلق كأن الريح تحتي
أوجهها جنوباً أو شمالاً

ولذلك بقي مظفر النواب كثير التردّد في النشر لأنه يعيد ويصقل ويحسّن ويضيف ويحذف ساعياً للرقي والجودة، وكل شاعر جيد أو مبدع جيد بشكل عام هو قارئ جيد، يجيد الإصغاء بكل حواسه، ناهيك عن ضرورة أن يكون خياله خصباً، فلا شاعر أو مبدع بدون خيال أو حتى يوتوبيا، ففي كل فلسفة هناك شيئاً في اليوتوبيا، والمبدع لا يصبح مبدعاً إلّا بالقارئ، حيث ينمو ويتطور ويتجدّد معه، ولذلك تراه غير قابل على نفسه ولا قناعة له بما ينتج لأنه يريد الأفضل والأحسن والأبهى، خصوصاً إذا ما قرأ نصوصه بعين الناقد، لاسيّما إذا اختلى بنفسه.

ومظفر النواب لم يتوقف ولم ينضب حبر قلمه طيلة ما يزيد عن ستة عقود من الزمان، لأن قلمه سيصاب بالصدأ لو استكان لما أنجز، فالكسل والرضا عن النفس هو عدو الشاعر بشكل خاص والكاتب بشكل عام.

ثمة خيط رفيع بين العبقرية والجنون، ولعلّ هذا ينطبق على الشعر والموسيقى والفنون بشكل عام أكثر من غيرها، لذلك يقال أحياناً جنون الشاعر أو عبقريته شيطانه أو رحمانه ، بمعنى الإلهام والإيحاء الذي يأتيه من مصادر غامضة، وكنت قد سألت الجواهري عن "اللحظة الإبداعية" وكيف ينزل عليه أو يفاجئه الإلهام؟ فقال شيئاً ما يوشوشني ويهمس في أذني فأستجيب إليه، ولاسيّما حينما يستحثه على الخطى ويحفّز ويستفزه ليأتي بطلعته البهية وصوته الجميل ورشاقة حركته.

هناك قوة خفية وشحنة جاذبة مع شيء من الشجن والتوجّع والتحدّي في لغة مظفر النواب فهو لغة مركبة كيمياوياً، فقد تنفجر في المواجهة وقد تتحوّل إلى سمفونية بهارموني في المحسوسات والصوفيات، حيث يختفي الصخب والضوضاء الذي تحدثه قصيدة التحدي والمباشرة، فلكل حرف صوت وإذا اجتمعت الحروف تشكلت كلمات وجمل ومعان ودلالات، فما بالك حين تكتسب مسحة موسيقية، وهكذا هو شعر مظفر، إنه يضع حواسك كلّها في حالة تأهب، لاسيّما الأذن والعين فشعر مظفر مغنّى ومطرّب ومسموع على طريقة القدامى.

وقد سألته مرّة من تفضّل أن يغني شعرك، فذكر المطربين الياس خضر وسعدون جابر، وسألته عن آخرين، فلم يحبّذ ذلك، وكان أحد المطربين قد استمات في الحصول على موافقة لنص يغنيه، فلم يستجب له مظفر النواب، مع أنه يحمل صوتاً جميلاً، وقال لي: إن طبقات صوته لا تتناسب مع قصائدي، وهناك علاقة بين دلالات الحروف والنقطة والفارز والوقوف والانطلاق والسكون والصعود، وكلها تشعر بها مع روح مظفر حين يتلو قصيدته فجذوة الشعر في قصائده مبثوثة في خلاياه، وكل ما يلزمها شرار صغيرة ليشتعل السهل كله على حد تعبير ماوتسي تونغ، وتلك بصمة مظفر وتميّزه.

وإذا كنّا نقول لا يمكن تعريف الشعر ، فهو عصي على أي وصف، لأنه لغة متفردة داخل اللغة المألوفة على حد تعبير الكاتب سلام خياط في كتابها القيّم والمتميّز "إقرأ" -صناعة الكتاب وأسرار اللغة ، دار رياض الريس بيروت- لندن، 1999، وهو الوصف ذاته الذي تقتبسه من إسحاق الموصلي بشأن النغم إذ أنه من الأشياء التي تحيط بها المعرفة ولا يدركها الوصف.

لقد رسم مظفر النواب الحزن لوحات وألواناً لدرجة فاض به الكيل وهو يعشّق الحزن بالحزن ويعتّق الدنان بخمرته السلسة ويعجن الحروف ويدوف الكلمات منقّعة بقطراتها الصافية النقية وورودها المتفتحة الزكية.

مظفر النواب يتلألأ في ضمائرنا

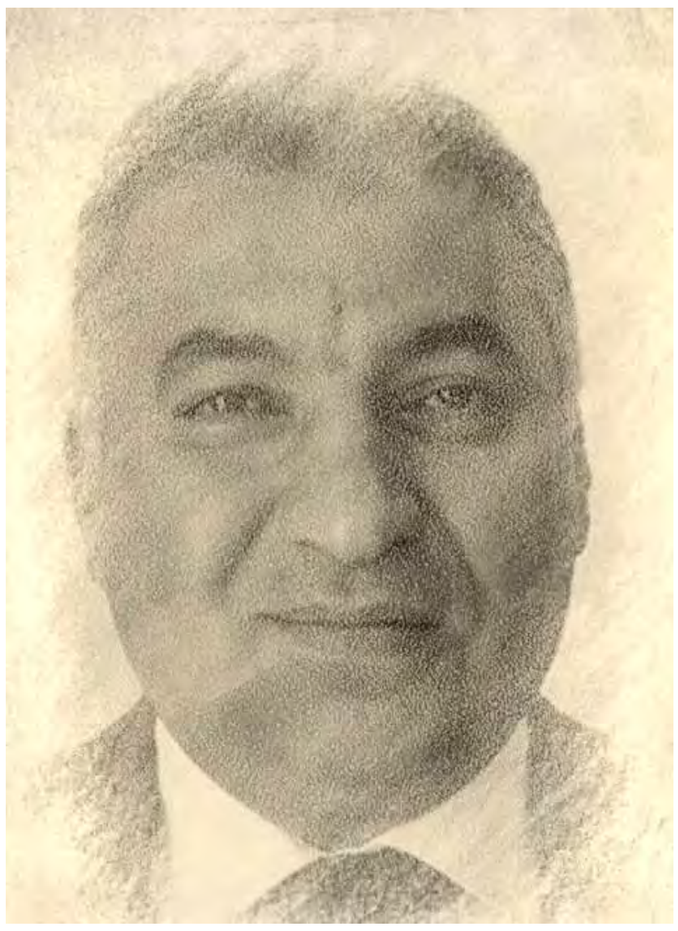

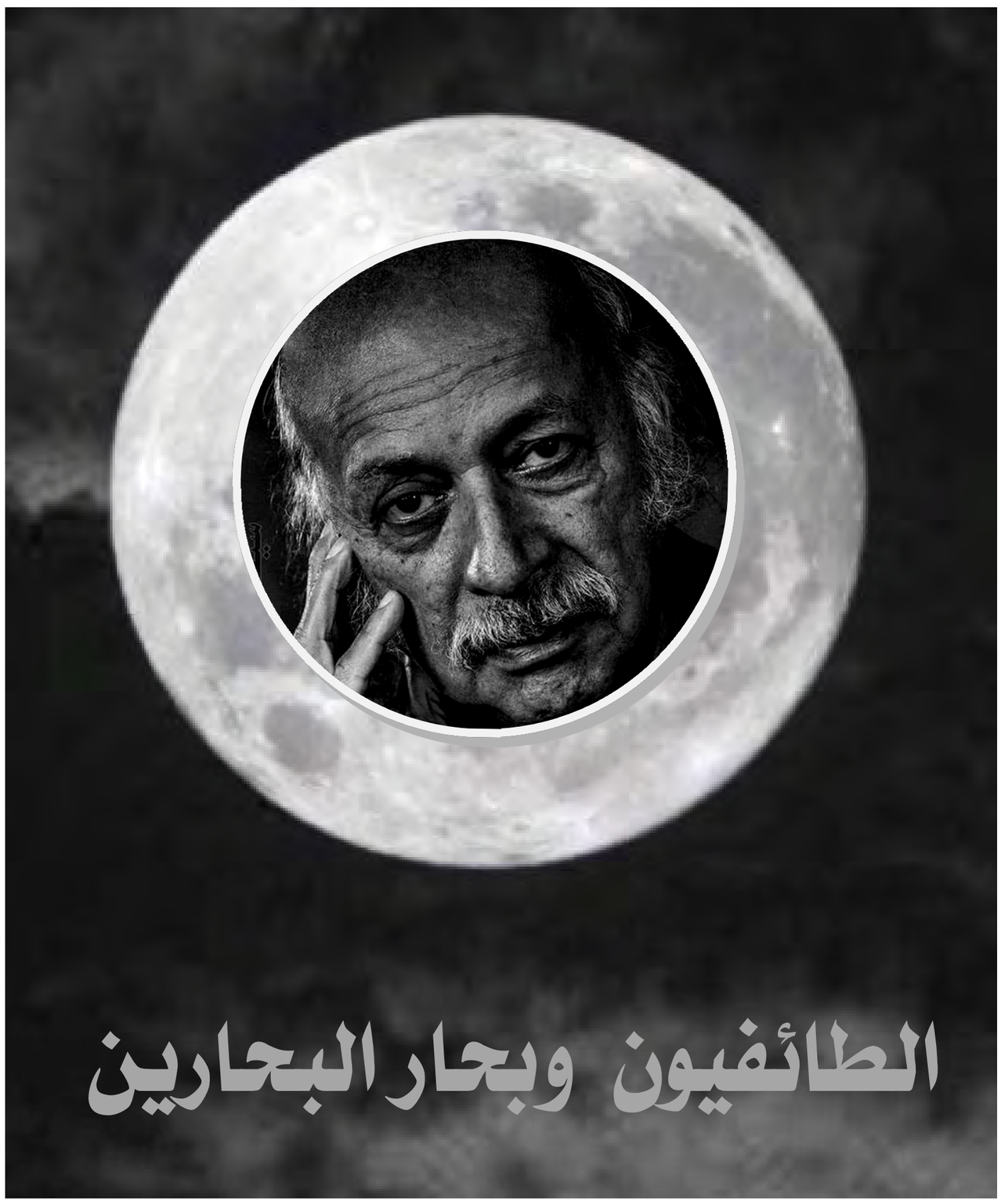

د. جاسم الحلفي/ العراق

لم يسلم الشاعر الكبير مظفر النواب من تطاول الطائفيين، الذين أعماهم التعصب والشوفنية والكراهية فلم يبصروا مواقفه الوطنية، ووصموه بما يميزهم هم من ادران الطائفية فنعتوه بالطائفي.

لقد أعماهم التعصب والشوفينية والكراهية فلم يبصروا مواقف النواب الوطنية.

ويبدو ان اجماع العراقيين بمختلف قومياتهم واديانهم ومذاهبهم واتجاهاتهم السياسية وخلفياتهم الفكرية على تحية شاعرهم وهو يرحل، وعلى التعبير عن الحزن والأسى لرحيله، هو الثائر بوجه المستبدين والشوفينين..

يبدو ان هذا الاجماع أغاظ عموم الطائفيين في العراق. وزادهم غيضا ان العراقيين عدّوه كنزا وطنيا فريدا، وثروة أدبية وثقافية لا تضاهى، وشخصية ملهمة. وهو في الوقت نفسه صوت بسطاء الناس والناطق بهمومهم، وستبقى سيرته نبراسا للمناضلين وبوصلة لربط القول والفعل، ورصيد كفاح ضد الجور والظلم والحرمان، ومن اجل الكرامة والحرية والعدالة الاجتماعية.

وعديدة هي أسباب انزعاج سليلي الاقطاع من مظفر ونتاجه الثقافي، لعل اولها الطبيعة الطبقية التي تعد من ابرز سمات شعره، وتتجلى في انحيازه الجلي للكادحين والمهمشين وقضاياهم. فيما كانت هناك القراءة المادية للتاريخ التي استند عليها في استعارته للأحداث من التاريخ العربي الاسلامي وتضمينها في شعره، والتي كان قد كتب فيها اليساري المصري أحمد عباس صالح، والباحث الفلسطيني بندلي جوزي، واختص بها المفكران الشيوعيان البارزان العراقي الراحل هادي العلوي، واللبناني الشهيد حسين مروة الذي اغتالته الايادي الآثمة الطائفية ايضا في لبنان.

وقد انتج الأخيران مع طلابهم نهجا بحثيا جريئا ومتميزا، مقدمين قراءة أخرى للتاريخ العربي الإسلامي، ومبيّنين من خلالها ان التاريخ ليس سرد احداث متفرقة ولا هو سيرة خلفاء وولاة، وانما هو كشف لصراع بين من يملك ومن لا يملك، وإثبات لكونه صراعا تناحريا، لم يتوان فيه الحكام عن سفك الدم المحرم من اجل التربع على قمة السلطة. فلم يتورعوا من ممارسة كل أساليب البطش والترهيب والترغيب، ولم تردعهم القيم السماوية التي يدعون التمسك بها، من ارتكاب الفواحش من اجل السلطة.

ان مواقف من حبّب لهجة أهلنا بالجنوب لم ترُق لمن انحاز الى مقبور طائش زعم يوما ان سكنة الاهوار تم استيرادهم مع الجاموس، ولن تروق لامثال من حاول تجريد اهلنا من الاصالة السومرية. وكيف يروق لهم شاعر برع في جعل لهجتنا لغة لأغاني ونصوص تغنى بها الكردي والسرياني والكلدواشوري كما العربي في الموصل وتكريت وسامراء والفلوجة، فحولها من مادة لسخرية غلاة الشوفينيين المتعصبين المنغلقين، الى مفردة للرقة والعشق والجمال، بعد ان شحنها بعاطفة صادقة ووضعها في صور شعرية مدهشة لا تتكرر.

والمضحك في كتابات البعض عند تعرضهم الى النواب، هو اعتراضهم على وصيته بالدفن في مقبرة وادي السلام، مصادرين حقه في اختيار موقع رقدته الأخيرة، التي أرادها تجاور الامام القائل »النّاسُ صِنْفانِ: أَخٌ لَكَ في الدِّيْنِ، أو نَظِيرٌ لَكَ في الخَلْقِ .« الامام الذي يؤم مرقده الفقراء والمعوزون حفاةً منهكين يرتدون الاسمال، متضرعين اليه ان ينصرهم على الجوع الكافر، كما كتب الشهيد حسين مروة في احد مقالاته.

ولا رد على مزاعم الطائفيين أبلغ مما اظهره العراقيون من أسى صادق لخسارتهم النواب، والحزن الذي شمل العراق من اقصى جبل في أربيل مرورا ببوادي الأنبار وحتى البصرة العزيزة. ولا نبالغ اذا قلنا ان لكل عراقي قصته وعلاقته الخاصة مع النواب. والنواب يبقى لكل العراقيين، وستظل اشعاره تنعش المناضلين وتطارد الظالمين، ويظل جرح صويحب مفتوحا نازفا، ومنجله يترصد القتلة ويسد عليهم الدروب.

جريدة "طريق الشعب" ص2 الاربعاء 26/ 5/ 2022

هل شح الرجال ..

حتى تلملم (بلاسخارت) أشلاءك يا وطني..

د.رياض موسى سكران

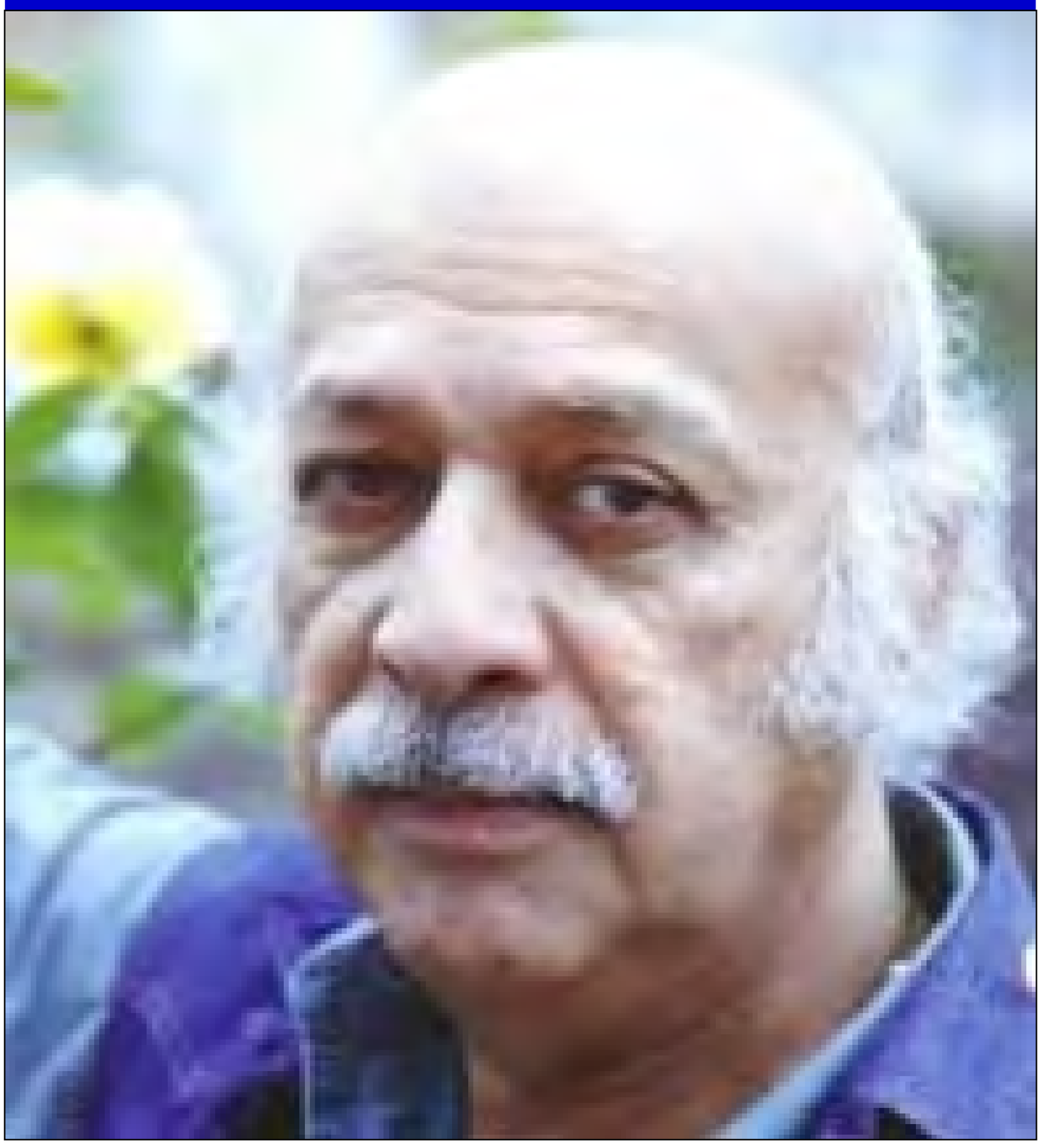

لا يحتاج المراقب للمشهد السياسي العراقي الراهن الى خبرة وجهد ومعرفة, حتى يكتشف, إننا نعيش خارج كل سياقات الدولة, وفي جميع المفاصل, حيث انعدام أدنى مقومات الحياة الإنسانية التي غادرتها البشرية منذ قرون, فالبلد تحول تدريجياً الى حضيرة حيوانات بكل المعاني والدلالات, بسبب سياسات النهب والفساد والمحاصصة والتكتلات, وكل التسميات البعيدة عن الإنتماء الوطني.. أين ادعاءاتكم في امتلاك رؤية وطنية لبناء دولة مؤسسات ودولة قانون ودولة عصرية ودولة حديثة.. وغيرها من التسميات التي أوهمتم بها الناس المغلوبين على أمرهم تحت تهديد مليشياتكم الوقحة التي أضاعت عشرين عاماً من أعمار العراقيين, عدا الأرواح التي صعدت الى السماء قرباناً لمخططاتكم السوداء..

من أبجديات السياسة, هي أن تمتلك الدولة, رؤية خاصة بها, رؤية استراتيجية تعمل على تحقيقها عبر السياسات والمواقف والمشاريع والبرامج والخطط, وتعمل على تطبيقها في إدارة مؤسساتها, ومجمل مفاصل الحياة السياسية والإجتماعية والإقتصادية علمياً وعملياً, وتشكل توجهات أجيالها على ضوء تلك الرؤية التي تؤمن بها وتسعى الى تحقيقها..

الآن, وبعد احتكار كل المواقع القيادية في إدارة مؤسسات الدولة ورسم سياساتها الإدارية والإقتصادية والأمنية والخدمية, لم تستطع الحكومات العراقية المتعاقبة من تحقيق أي أثر إيجابي, على الرغم من الهدر والضياع والفساد والسرقات العلنية في أموال الشعب التي سرقت تحت أبواب صرف وهمية, مثل مشاريع خدمية وبنية تحتية ومؤسسات صحية ومراكز بحثية ومختبرات علمية, وهذه كلها كلفت الدولة والميزانية العامة أموالاً طائلة على مدار عقدين من السنوات..

وبعد ذلك كله, وبعد كل التضحيات, والسنوات العجاف, وأرواح العراقيين المهدورة على مذبح المزايدات والمصالح السياسية الرخيصة, وبعد كل دروس التأريخ والحضارة والثورات, هل نحتاج لأن تضعنا (جينين بلاسخارت) ممثلة الأمم المتحدة, أمام العالم وأمام أنفسنا, وهي تدعو الى لملمة ما تناثر من أشلاء الوطن على يد السياسيين العراقيين الفاسدين الذين سرقوا وطنهم..؟

ستقتلعكم عاصفة الثورة الشعبية الكبرى الوشيكة, وستقتلع معها كل نبت فاسد وطارىء جاءت به الصدفة فوق أرض العراق الطاهرة, (فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) ولن نسمع في مفردات بعض المتحللين السياسيين لغواً وثرثرة متملقة بمفردات مثل المحاصصة والشراكة والإتفاقات والصفقات التي تتستر على القتلة والمسؤولين عن إراقة دماء شبابنا..

تكضن ورد يادیرتي لحضنج وموت عله التبن
شوكي تاج شوك الحب شوك الكطه وموعات الدهن
دونج يحز بلوزتي الخنجر وعيب اون
تاني يادیرة هلي وحطي الرصاص عله الجف
ايام المزين كضن تكظن بأيام اللف
نعم ها انت أيها المظفر المجيد تعود إلى ديرتك محمولا على هامات احرار العراق لتجاور امير الثوار ونصير الفقراء وسيد البلغاء علي بن ابي طالب عليه السلام...
ولابد أن تذهب ايام الفساد والطائفية والفقر من ارض العراق ارض الاحرار والثوار

حميد حميد العراقي

الشاعرية في شعر مظفر النواب، شاعر الألم الإنساني

د. وليد جاسم الزبيدي/العراق

في قراءة الشعر، واستنباط بنية النص، والشعرية، تقف بين اللغة، وادوات الشاعر، وتاريخه، ولعل البحث الأكاديمي، سيضيف أركان أخرى يوظفها في استقراء النصوص وما وراء النّص، وفق منهجيات حداثوية ومابعد الحداثة.

لكن (شاعرنا مظفر النوّاب) لا يمكن أن تتوقف عنده وفق منهج واحد محدد، ولا وفق مدرسةٍ، أو مصطلح، نقرأهُ وفق احساسنا، وهو البوصلة والاسطرلاب الذي يحدّد ثيمة ما نكتب، فالشاعرُ، يشكّل في منجزه الشعري (بوناراما) تأخذُك وفق سياق تاريخي، اجتماعي، ثقافي، وتتلقفك أشكال كتابته وفق مستويات مختلفة:

1- مستوى اللغة : تشكّل اللغة في شعره كائناً، ينمو ويتحرك ويتطور، في بنية الكتابة منذ أول نص (قصيدة) الى آخر كتاباته، فقد طوّع اللغة ليتحكم بها ، لا تتحكم بدلالاته، ويصنع منها بناءً ـ أفقياً ـ وعمودياً وفق مسار الفكرة والموضوع. فكان يجعل من (اللغة المحكية/ العاميّة) لغةً ترتقي من المفهوم المحلي نحو غنائية محببة في اسماع منْ لا يفهمها لتكون الرسالة وصلت من خلال موسيقية اللفظة/ المفردة، وصورتها الشعرية، بل وجعل من اللفظ المهجور أحيانا في اللغة العاميّة له معنىً آخر يتناغم والزمن الذي كُتبَ به النّص، وقد طوّع اللفظ والتراث اللفظي للمفردة في خدمة القصيد، وشكّل إرثاً في اللفظة وقاموساً ابتكره لبناء القصيدة. وفي أفق الفصحى جعلها لغةً من اليومي وكسّر تابوهات عديدة وازال الوهم في قدسية التشكيل والبناء اللغوي لينحو في صياغة لغةٍ تشاكس اليومي وتنحتُ صورا لم تتكرر. وبين المستويين (المحكي/ والفصيح) فقد وظّف اللفظ العامّي في خدمة (النص الفصيح)، ووظّف لغته الفصيحة التي نحتها وفق اسلوبه وموضوعة القصيدة في خدمة (القصيدة الشعبية).

2- المستوى الاجتماعي - الثقافي: شاعرية مظفر النوّاب لا يمكن، ان تندرج وفق المفهوم الواقعي أو وفق سياقات الأغراض الشعرية المستنبطة من الشعر (الغزل، الوصف، المدح، الرثاء..)، أو موازين الشعر الشعبي التي يتخذها مريدوه في وصف أشعارهم أو أشعار الآخر، فأنت تقرأ في النّص غزلاً، وحكمة، ورثاء، وهجاء.. وتتلقف الصورة أحيانا من نبرة صوته لا من المفردة المقروءة. وهكذا نرى البُعد والخزين الثقافي الذي ينثره في النّص الشعري كيفما كان شكله ولونه،

ومن هذا الخزين الثقافي تتلاقح معه اللغة مما يؤدي الى تفجير وانشطار في اللغة التي تلحق بها بناء صورٍ، تؤسس الى مدلولات واشارات أراد بها ايصال رسالة بعيداً عن عين الرقيب، وشفرة يفهمها الفقراء والكادحون. وهنا إشارة الى أخرى الى عظمة وثراء خزينه من التراث وما يعلق بذاكرته من أحداث وحكايا وأغانٍ وأساطير، وألوان (الأبوذيه/ النايل/ العتابة/ ..) بما يحمل المكان من عبق اللفظة والوزن والبحر والايقاع، فضلا عن ثقافة المكان وما به من خصوصية في الشمال والجنوب والشرق والغرب.

3- المستوى الصوتي : حين تقرأ مظفر النوّاب، ليس كما تسمعه، ستجد ذلك الفرق من خلال المتابعة، ففي قراءتك قد تضيع عليك مفردة، أو صورة شعرية، لكن بإلقائه، تجدهُ يجسّد المفردة صورةً باحساسه وتعبيرات يده ووجهه وأحيانا حشرجات الصوت حيث تكون الرسالة أوضح ويكون النص (القصيدة) حواراً مع الجمهور الذي يتفاعل معه، ويفهم ما يعنيه ويعرف دلالاته.

الختام: سيضع النقّاد العراقيون والعرب، مصطلحاتٍ وتسمياتٍ، لقصائده ولسمته الشعرية علىً امتداد حياتِه، فمنهم منْ يقول شاعر الغزل، أو شاعر الواقع والحياة، أو شاعر السخرية، ويعتمدون بذلك على قصائدة في الشكليين الشعريين، لكني أقول أنهُ شاعر الوطن، وشاعر الألم الإنساني أينما كان.

الخلود والمجد للشاعر الكبير.

عُذراً (مُظفّرُ)..!!

د. وليد جاسم الزبيدي

وقرأتُهُ (النوّابَ) عشقاً كالندى
غزلاً وأشواقاً ونهراً خالدا..
وعرفتُهُ في ظلمةٍ صوتاً حَدَا..
وسمعتُهُ من نظرةٍ قمراً بدا..
ورسمتُهُ(ريلاً) يمدّ بأذرعٍ
صوبَ الحبيبةِ إذ تقبّلُ أحمداً..
(حمدُ) الذي مانامَ في ليلٍ غلى
بظليمةٍ وظلامِها تتوحّدا..
ناجى(زرازيرَ البراريَ) سلوةً
وفراشةٌ جفنٌ يجنُّ ويُفتدى..
حتى(البراءةُ) أخجلتْها بحّةٌ
شَرقتْ بدمعِ الأمّ تُنبئُ مولدا..
في السّجنِ أورقَ كالبنفسجِ حُلمُهُ
نَفَقاً لشمسِ اللهِ ينفتحُ المدى..
في الحلةِ الفيحاءِ أسدلَ ليلَهُ
والنجمُ رفقةُ خطوةٍ لنْ تخمدا..
ويمدّ(للسلمانِ) قنديلاً كما
مدّتْ دماءٌ للعقيدةِ موقدا..
يا ثلجَ هذا الصمتِ كيفَ تلومُني؟
فمتى يثورُ الصخرُ يعلنُ موعدا..
أ هيَ الحقيقةُ؟ أنّنا بتبلّدٍ
أ فلمْ يَعُدْ (تشرينُ) حقاً سيّدا..
أ هيَ الحقيقةُ؟ قد نسينا بيننا
صوتَ الشبابِ وما تعسّفَهُ العِدا..
عُذراً(مظفّرُ) فالجراحُ كثيرةٌ
فتقَتْ جِراباً لنْ يُشلّ ويُغمدا..
بعضُ القصائدِ ثورةٌ في أمّةٍ
وقصائدُ(النَّوّابِ) يخشاها الردى..
سنقومُ- وعداً- من منامٍ جائرٍ
ونكونُ للآتينَ صبحاً أو غدا..

غادرتنا روحك كالقوارب التي تسير الى مرفأ الشمس

سميرة مزعل

غادرنا الشاعر المناضل الثوري ابو عادل، خالي الوفاض ولم يكن في جعبته سوى ارث النضال العظيم بعد ان ذبل الغصن الأخير من سني عمره التي قضاها بين جدران السجون الصفراء والنفي والغربة والتشرد بين عواصم العالم.

وكل ما أعرفه عنك رفيقي النواب بأنك لم تسرق بيادر القمح ولا آبار النفط ولم تحمل معك ماتبقى من خزائن البنك المركزي وخزائن البترول، لم تسكن في ابراج العاج ومدن الابراج الشاهقة، عشت عفيفا نقيا، لم يراود خيالك المشحون بهموم الفقراء المحترقين بأتون عذاباتهم حتى حلم قصير مشحون بفسحة نزيرة من الترف، بل ظلت نبضات قلبك الشاحب تحمل كبرياء العراق وسرت بمهابة كورد الصباح في طريق النضال الشائك بالمنعطفات والعراقيل والسجون.

يارفيقي الخالد كنت نبض قلوب الفقراء لانك لم تكن برجوازيا بيروقراطيا، لم تعرف الرشوة والنهب والمضاربات والكسب غير المشروع، وكل ماحلمت به ظل حلما بعد ضاع لمعان الشباب وانكسر عود الاحلام في لفيف الغربة.

كنت ترشح خوفك من المستقبل (القادم أخطر) وقد تحققت نبوءتك لأن هناك اشباح وظلمه لها مخالب وأنياب في هذا العالم المرعب.

حزننا كبير وخسارة فقدانك أكبر، يامن تدثرنا تحت أكمام اشعارك المطرزة بالنجوم منذ ان عرفنا المسير في طريق الثورة والنضال والأحلام لتغيير الحياة والوقوف بجانب طوابير الفقراء والمعدمين من ابناء شعبنا وشعوب العالم قاطبة، كنا نسمع صوتك الهادر كالسيول وهو مثخن بالبكاء لأنين الفقراء الذي يذوب ويتلاشى في العتمة، حين كانت العتمة لغة مبهمة وقساوة فادحة جرب وجعها الشيوعيين في الليالي الحالكة دون ان ترتعش قلوبهم من الخوف.

الخالد ابو عادل كانت اشعارك المرهفة سنديان الأزهار في شرفة القمر تسقيها من عمرك ولهيب احتراقك لتمنح حرية الحياة والأحلام لشغيلة اليد والمعذبين.

سأنعيك يارفيقي بوجع لايطاق وادرك انك شمعة نائمة في قبرها تتحول كل ليلة الى فراشة تزور تمثال سلام عادل وتلتقي هناك برفاقك الشهداء فهد وحازم وصارم والآخرين.

رفيقنا الغالي غادرتنا روحك كالقوارب التي تسير الى مرفأ الشمس في طريقها الى الفردوس الأخير، غادرتنا روحك التي تتقد ضياء لتفزع الظلام، وما يؤلمنا أن روحك الغضة سيزاحمها نعاس الموت ويمر الليل عليك وحيدا بعيدا عن شواطىء دجلة ورفاق الفكر، واقول لترقد روحك الغضة كجنح فراشة بسلام واسكنك الله الفردوس الأعلى.

العظماء لا يموتون

انهم ينتقلون من الارض الى القلوب

سمير شابا

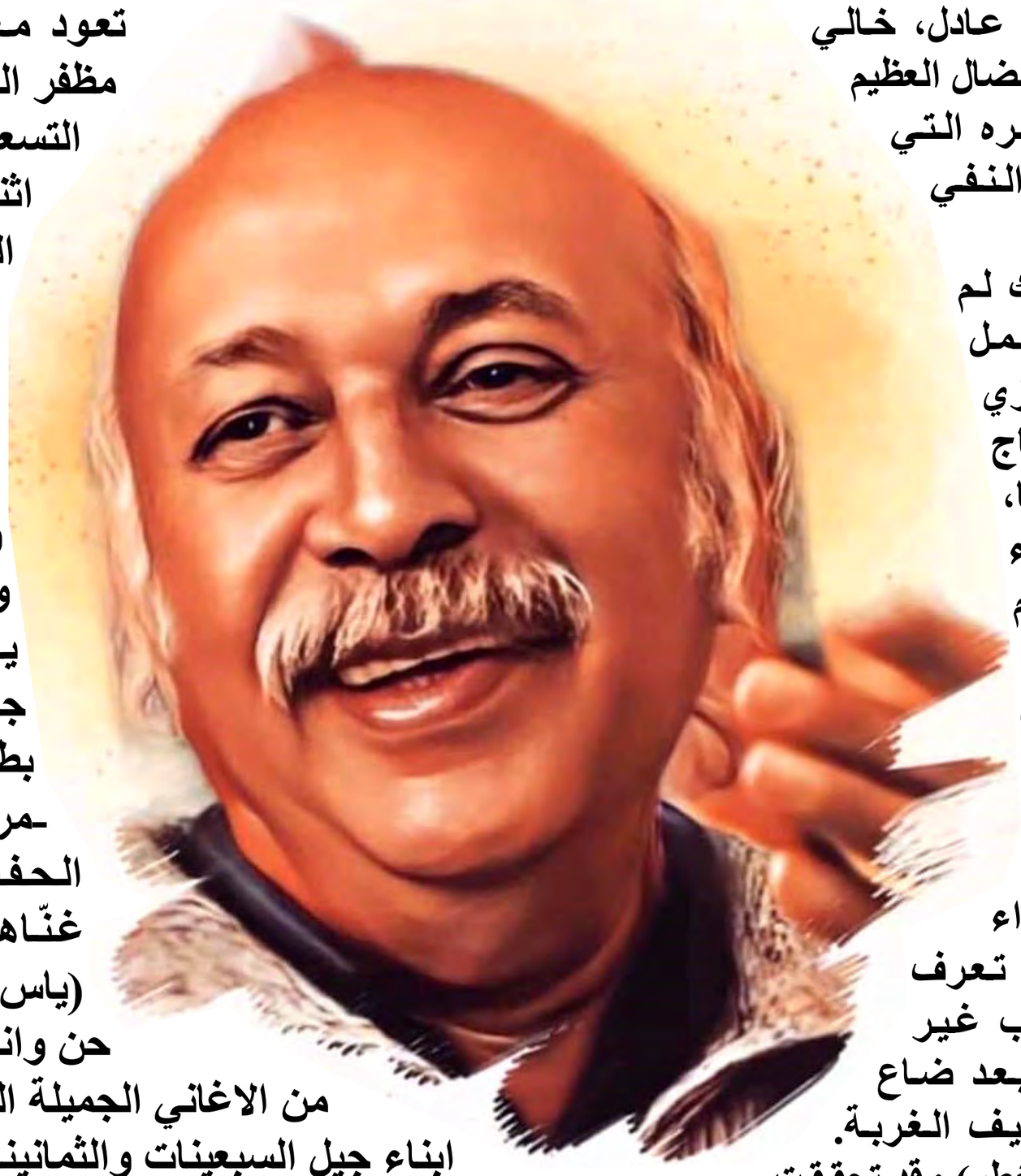

تعود معرفتي بالشاعر الكبير مظفر النواب وشعره الى نهاية التسعينات من القرن الغابر، اثناء بحثي عن مرجعيات الشعر العراقي الحديث وتأثير هذه المرجعيات الفكرية والاجتماعية والبيئية والشعبية والتراثية في هذا الشعر ولاسيما عند السيّاب ومحمود البريكان وسعدي يوسف وحسب الشيخ جعفر.

بطبيعة الحال كنتُ قد سمعتُ -مراراً وتكراراً وصل الى حد الحفظ- قصائده الرائعة وقد غنّاها صاحب صوت الارض (ياس خضر) مثل للريل وحمد، حن وانا حن، البنفسج وغيرها من الاغاني الجميلة التي مازالت عالقة في ذهن ابناء جيل السبعينات والثمانينات، ولكني لم أكن اعرف انها للنواب !وبعد معرفتي لذلك تحفزتُ اكثر لقراءة شعره والجري وراء مفرداته الجنوبية الصعبة علينا وصوره الشعرية الجميلة وذلك الاحساس الشجيّ والنبرة المعجونة بالشجن، الشجن العراقي.

مظفر النواب هو الذي فتح لي ابواب الشعر الشعبي الذي اجده اصدق تعبيرا من الشعر الفصيح عن هموم المواطن العراقي البسيط، واعمق تاثيراً في نفوس سامعيه، فكان أن تعرفت عن طريقه على كاظم اسماعيل كَاطع وعريان السيد خلف اللذين بدورهما يشكّلان مدرستين أخريين من مدارس الشعر الشعبي العراقي الجميل.

مظفر النواب، قامة شعرية سامقة في فضاء الشعر العراقي والعربي (الشعبي والفصيح).

مظفر النواب مدرسة شعرية فذة جمعت بين دفتيها التعبير الجمالي والمضمون الهادف، ذلك المضمون الذي كرّسه للفقراء والطبقات المسحوقة من المجتمع من جهة، ولهجاء الطبقة السياسية والانظمة الحاكمة الفاسدة السالبة للحريات من جهةٍ اخرى.

العظماء لا يموتون. انهم ينتقلون من الارض الى القلوب.

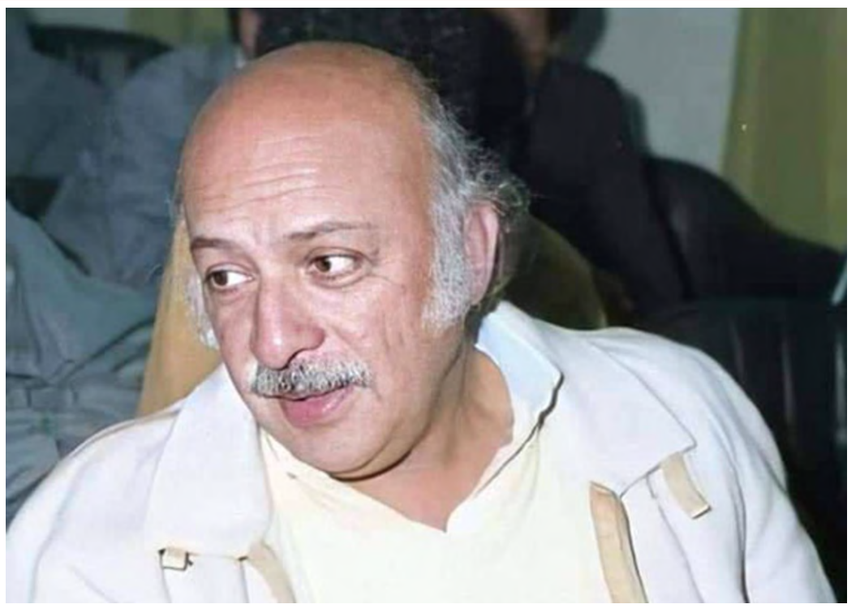

عام 2005 .. الذي كان أحد اثنان درسوني اللغة العربية وعلموني حبها

.....

* بعد اسابيع من انقلاب تموز 1968، وبعد ايام من بدء العام الدراسي (68-69)، صحبني شقيقي الشيوعي معه للقاء مظفر النواب في كازينو الجامعة بالكاظمية.

ربما من الصعب على من لم يلتق النواب في ذلك الزمن تخيل صورته، أي قبل 54 عام من الآن!!.

انا استعيد الآن وجهه الوقور الجميل، بعيونه السوداء الواسعة وصوته الرخيم وطريقة حديثه ودماثته. واستعيد ايضا، كيف اقتحمت جلاوزة ناظم كزار مدرستنا، اعدادية المنصور في الحارثية، (ازيلت لاحقا واصبحت ارضها جزء من قصر السلام)، وألقت القبض على النواب داخل احد الصفوف، وإقتادوه امامنا نحن طلابه الذين لازم بعضنا البكاء، فيما كانت الابتسامة الصفراء تغطي وجه (استاذ اكرم ...) معاون المدير البعثي.

(أفِلَ ضُوءُك والليل بَعدُ طويلُ
وذَوَتْ قبل الهزيع النارُ
أما زلتَ متلسبا حلمكَ؟
تحمل شمساً لاقبيتهم
تنفخُ في صَوّانِهم رُوحُ
انزلْ صواريك ..
أنزل صواريك .. فالبحر غير متسعٍ
لعابرٍ تشكّلِ من عشقٍ ومن عَنَدِ) *

سطور من خطاب وجع ارسلته لمظفر النواب عاد لنا بعد اسبوعين أو أكثر، وليوم واحد فقط، بملامح أخرى، كان (القهرُ) واضحا عليها! .... دخل الصف وألقى علينا التحية بصوت خافت جدا .. وضع محفظته على أول رحلة وإتجه الى النافذة .. ظل على وقفته هناك حتى نهاية الدرس ... ثم ... خرج من الصف ... خرج من المدرسة ... خرج من العراق ولم نره بعدها.

صور وذكريات موجعة غير قليلة يطول الحديث عنها.

قبل المحو

فوز حمزة/ بلغاريا

وأخيرًا..لوحت لي من نافذة حجرتها .. أمل أزهر في قلبي الآن جعلني ألوح لا بيدي فحسب وإنما بجسدي كله .. قفزت في الهواء فاتحًا ذراعي .. قبلت وجه السماء .. كنت فرحًا وفي اللحظة التالية شعرت بالقلق .. تلفتُ يمينًا و شمالًا خشية أن يراني أحد من أهلي أو أهلها لكني حمدت الله بعد تأكدي من عدم وجود أي شخص .. ربما العاشرة صباحًا وقت جيد للتلويح دون أن تحسب حساب أحد.

أخيرًا انتبهت لي .. بعد ستة شهور من المراقبة فعلت فيها كل شيء .. ساعدت فلاح حديقتنا في عمله الذي استغرب لأنني في السابق لم أكن أهتم لتوسلاته عندما يحتاجني لأمر ما .. توليت مهمة تنظيف المرآب التي كانت من شأن أختي الصغرى .. قلبي يتقطع وأنا أراها منشغلة بمشاهدة التلفاز بينما أقف تحت الشمس كالمخبول لا أشعر بلسع الحر..

بدأت أهتم بإطعام الطيور وتنظيف أقفاصها .. الأمر الذي جعل أمي تنظر لي بقلق .. الوحيد الذي ارتاب لأمري وأدرك ثمة سر وراء تغير حالي هو أخي الكبير إذ لاحظ أنني بدأت أذاكر عند عتبة الدار فبدأ بالسخرية و إلقاء التلميحات .. فعلت ما فعلته من أجل أن أحظى برؤيتها لدقيقة واحدة .. قلبي أصبح معلقًا بتلك النافذة التي تطل منها لتنظر إلى الزقاق أو تسقي الورود والنباتات المعلقة بحافتها.. هذه المرة سأكون إيجابيًا كما سمعت في إحدى البرامج.

أحضرت بسرعة ورقةً وقلمًا . سأكتب لها: لقد أحببتكِ منذ المرة الأولى التي رأيتكِ فيها تقفين في النافذة .. كنتِ تشربين البيبسي كولا .. ومن حينها أحببت البيبسي كولا أكثر من المعتاد .. سأعترف أنني في الليل وبعد أن أطفئ ضوء حجرتي أختبئ خلف الستارة اختلس النظر إليكِ . أحيانًا ألمحكِ تتحدثين في الهاتف أو تذاكرين دروسكِ أو توضبين حاجياتكِ .. في إحدى المرات رأيتكِ ترتدين ملابسكِ بعد خروجكِ من الحمام ..

ما هذا الجنون الذي أكتبه ؟!

سأمحو ما كتبته من في الليل... إلى الحمام.

سأقول لها: كنت أتبعكِ كل صباح وأنتِ في طريقكِ إلى المدرسة لأحميكِ من المراهقين الذين لا هم لهم سوى اصطياد الطالبات ومن ثم التشهير بهنّ .. لكن أحذركِ من صديقتكِ البدينة صاحبة الشعر الأحمر ذات الأقراط الثلاثة التي ترسل صورها عبر الواتس آب لصديقي وكنت أتفرج معه على تلك الصور وأقرأ الرسائل المبادلة بينهما ..

من أين لي هذه الأفكار السخيفة ؟

سأمحو ما كتبته من لكن .. إلى بينهما .. ذلك أفضل في الوقت الراهن.

كي تعرف مدى حبي لها.. سأخبرها بمساعدتي لوالدها في حمل اكياس التسوق وهو عائد إلى المنزل و كذلك في أحد الأيام قدمت له المساعدة في دهان سياج بيتهم و ذهابي مع أخيها لشراء كلب حراسة .. ولن أنسى كتابة أنني في إحدى المرات حاولت إصلاح مقبض باب مطبخهم .. اعترف بفشلي في إصلاحه .. لكن فعلت كل ذلك لأجل أن ألمحها ولو مرة واحدة.

بعد أن تعرف مدى حبي .. ستوافق على الخروج معي لتناول الغداء .. سأطلب شطائر الدجاج مع البيبسي كولا.. ستسألني مندهشة: كيف عرفت أني أفضل الدجاج ؟! سأخبرها أنا من جلب لكِ الشطيرة الخميس الماضي بناء على طلب أخوكِ .. ستبتسم بخجل .. سأحاول لمس يدها الناعمة .. بعدها اقترب منها أكثر فاحتضنها و أقوم بتقبيلها .. لا ضير من قبلة واحدة تشعرها بلهيب قلبي ..

ما هذا الغباء الغارق فيه كأنني أهذي؟!

سأمحو ما كتبته من لمس .. إلى قلبي.

سنتبادل أرقام الهواتف وأقبل طلب صداقتها على الفيس بوك والانستغرام وتويتر .. بعد توثيق علاقتي بها سأطلب منها حذف كل الشباب من صفحتها .. جميعهم كاذبون .. لا يؤتمنون على سر.. سأحذرها من جارهم الوسيم ذو العينين الخضراوتين الذي يرتدي قلادة ذهبية وسوارًا من الجلد الأسود .. هذا المغرور يقضي المساء كله في كتابة الرسائل الغرامية وإرسالها لجميع الصديقات مع صورته وهو عاري الصدر .. لذا عليها غلق هاتفها ليلًا والأهم غلق النافذة ..

يمكن للناس العيش دون نوافذ ..

ما الذي أفعله ؟! ما الذي أكتبه؟!

كيف أطلب منها غلق النافذة والهاتف؟!

يالغبائي !! سأمحو من حذف ... إلى النافذة ..

ليبق الأمر على ما هو عليه في الوقت الحالي .. في المستقبل سأجد حلًا للنافذة وستائرها البيضاء الشفافة.

في المرة الثانية .. أرسل لها رسالة نصية أطلب فيها الرفقة معي إلى الكورنيش وبعد أكل الشيبس و شرب البيبسي كولا سأعرض عليها لبس الحجاب و عدم ارتداء الملابس الضيقة وخاصة البنطلون .. الشيء الذي لا أقبل النقاش فيه هو وضع مساحيق التجميل على وجهها .. أنا متأكد من قدرتي على اقناعها وإذا لم ترضخ ستكون القوة الحل الوحيد لحسم الموقف.

ماذا ؟! القوة ؟ يبدو أنني تسرعت في قراري .. سأمحو من لبس.. إلى وجهها.

سأمنعها من الخروج لشراء البيبسي كولا .. فليقم شقيقها الصغير بهذه المهمة..شيء آخر كدت أن أنساه، الامتناع عن زيارة الصديقات التي لا تجلب سوى المشاكل.. موضوع الجامعة لن نتجادل فيه بعد حسم أمري بشأنه .. ما حاجتها للدراسة حينما تتزوجني؟ أنا وأولادي أولى بالرعاية .. المرأة لم تخلق إلا للبيت .. ومنعًا لتدخل أهلها في حياتنا فعليها الاختيار بيني وبينهم .. ذلك أفضل للجميع.

بعد لحظات من التفكير العميق جدًا وبعد إعادتي قراءة ما كتبت.. وجدتني قد تسرعت قليلًا.. محوت السطور الأخيرة كلها.

سأتصل هاتفيًا وأطلب رؤيتها لأمر هام .. سأقول لها: لقد قررت الزواج منكِ بعد سنتين .. أي بعد تخرجي من الثانوية .. سأكون صريحًا معكِ .. أنتِ حرة بين انتظاري أو فعل ما ترينه مناسبًا لحياتكِ ..

كم أنا أحمق؟ سنتان فقط!! سأضع نفسي في ورطة كبيرة مع أهلي .. حسنًا .. لن أعطيها موعدًا .. سأدعها تنتظر حتى أتخرج وأعمل..

أعلم أنني سأكون قاسيًا عليها و أنها ستبكي .. عليها أن تتقبلني كما أنا وإلا فالفراق منذ البداية أفضل لكلينا ..

سأمحو من لقد ... إلى حياتكِ.

نظرت إلى الورقة الملوثة بفعل ما كتبت ومحوت .. ليس فيها سوى أربع كلمات .. شطائر الدجاج و البيبسي كولا.

رفعت رأسي صوب نافذتها لأنظر إليها ثانية. يا إلهي .. يا إلهي !! ما هذا الذي أراه ؟! من فرط غبائي ظننتها تلوح لي .. إنها تمسح زجاج نافذتها.

جورج الوحيد.. كان يحبّها أيضاً

أ.د.عماد عبد الطيف/ العراق

دَع الروحَ تشتاق
وأبقَ بعيداً.
أنتَ تنتمي إلى ذلكَ الليلِ
الذي غادرتهُ النساء
فلا تنتَظِرْ
أن تضحكَ لكَ امرأةٌ
في هذا النهارِ الغشيم
الذي يتفتّتُ فيهِ قلبكَ
النهار الذي لم يعد يشبهُ ذلكَ اليوم
حيثُ كانَ الورقُ ينبضُ
ويُقبّلُ الحبيباتَ سرّاً
ويُغافِلُ الأخوةَ والوالدين
ويفعلُ أشياءَ عجيبةً .. لا تستحي..
في الرسائلِ البائدة.
*
لماذا تظنُّ إلى الآن
أنّ الحبَّ مُمكِن؟
لا نساءَ تحبُّ الانَ
ولا رجالَ تعشَقُ
ولا حنينٌ كبير
ولا حُزنَ أصغر.
*
لمن تنتمي أنت؟
للاشيء.
أنتَ آخرُ فيلٍ قديم
وآخرُ الذكورِ الكبارِ – السلاحف
وآخرُ حوتٍ "مُقوّسِ الرأسِ"
بينما هُنَّ مثل الفراشات
آمالٌ كبيرةٌ
وألوانٌ كثيرةٌ
وعُمْرٌ قصير.
*
ترفّقْ بنفسِك.

هُنَّ يبحثنَ عن نجمةٍ في السماء
تومِضُ بالكادِ
بينَ كُلِّ قرنٍ وقرن
ويتزَوّجنَ منها
وأنتَ تمشي على هذهِ الأرضِ
مثل "الزَلَنْطَح."
المرأةُ عادةً
لا تقترِن بالقواقعِ
ذواتِ الصَدَفاتِ العميقة.
*
ترفّقْ بروحكَ الراكدة
وأذهبْ .. و نَمْ..
ولا تكتبِ الكلماتَ بحبرِ العيون
لامرأةٍ جاحدة
لا تقرأُ لكَ حرفاً
ولو كانَ إليها
ولا تُغمِضُ نصفِ عينٍ على الأسى
ولا تستطيعُ الردّ عليك
بنصفِ ضِحكةٍ واحدة.
*
ترفّقْ بقلبكَ المُرمّمِ بالأسبرين
وأذهبْ إلى أُمّكَ الآن
وقُل لها..
أريدُ سلامي القديم.
ترفّقْ بحزنكَ "التاجِيّ"
و رَقِّعْ قلبكَ بالحنينِ
الذي يقودُ إليهم
وأذهبْ إلى أُمّكَ الآن
وتبادلَ معها في مدينةِ الملحِ هذه
سيرةَ السَبَخِ السومريّ الطويل
واسرُدْ لها الكثيرَ من قصصِ البَيْضِ
الذي لم تصِل فراخهُ إلى البحر
وكيفَ أنّكَ ستموتُ مثل "لانسوم
جورج*"
وحيداً على الشاطيء
تنقرُ بطنَكَ الفتياتُ الصغيراتُ
الطاعناتُ في الوقتِ
والحَماماتُ ناكراتُ الهديل
حديثاتُ الولادة.
*
هيَ..
مثلُ أيِّ شيءٍ
ما عادَ كما كان.
هيَ..
مثلُ مطرٍ سابقٍ
في بغداد السابقة
على بغداد هذه.
هيَ..
مثلُ العشبِ الذي أحرقهُ الجنود على سفح
"كورك."
مثلُ امرأةٍ في "ديانا"
تشبهُ"مريمَ" في الكنيسة.
هيَ..
مثلُ أسنانِها الأماميّة الباردة
/في فمِ"تنّوركَ" الحارّ/
التي تشبهُ ليلاً بلا أرغفة
قد حَلَّ عليكَ أخيراً.

.....

" *لانسوم جورج"، هو آخرُ سلحفاة من سلاحف "الغالاباغوس "العملاقة. تمّ العثورعليه في جزيرة "بينتا" في الأكوادور في 1-12-1971 .مات"جورج الوحيد" في 24-6-2012 عن أكثر من مائة عام، وأنقرضت سلالتهُ إلى الأبد.
وهذه صورته "شخصيّاً" .. في آخرِ وقتٍ لهُ على رمل الكونِ العظيم.

مقاربة بين نتائج الانتخابات اللبنانية والإنتخابات العراقية!!

صبحي مبارك/ مالبورن

نجري هذه المقاربة لوجود الكثير من التشابة والنقاط المشتركة بين البلدين الشقيقين حيث يواجه الشعب اللبناني والعراقي أزمات سياسية وإقتصادية وإجتماعية متراكمة كما إن طبيعة النظامين السياسيين وطبقتهما السياسية أيضاً متشابه في السلوك والعمل السياسي وبصورة مختصرة نقول بأن شعبي البلدين يعانيان من نظام المحاصصة الطائفية والمناطقية والقومية والسياسية، الأمرين وكما إن الأجواء متشابهة تحت ثقل الفساد والفاسدين و وتوقف النمو الاقتصادي وتدهور تام في الأوضاع الاجتماعية والإنفلات الأمني. كما نلاحظ تبعية الكتل السياسية والسياسيين المخضرمين إلى جهات سياسية ودول من خارج الحدود عالمية وإقليمية وعربية.

ولهذا ونتيجة التراكمات التي أشرنا أليها لم يتحمل الشعبان الكوارث الاقتصادية والإجتماعية والإنفلات الأمني وإنهيار العملة الوطنية لكلا البلدين ولوجود بطالة متصاعدة وإرتفاع خط الفقر ولتدهور أوضاع كل شرائح المجتمع بسبب التضخم وإرتفاع أسعار المواد الغذائية ولعدم وجود موارد ولكن الموارد العراقية أكبر وأكثر بسبب إنتاج النفط، إنطلقت الجماهير الشعبية في تظاهرات وإحتجاجات ثم تفجرت إنتفاضتين كبيرتين في كلا البلدين في شهر تشرين الأول /أكتوبر، حيث تم إسقاط الحكومتين وإجراء انتخابات مبكرة في العراق لأجل التغيير والتعبير عن الرفض للنظامين والمطالبة بالتغيير الجذري. وعندما نقرأ المشهد السياسي بعد الإعلان عن نتائج الانتخابات وما ألت أليه الأوضاع نجد إن الطبقة السياسية سوف تعمل على نفس السيناريو الذي كانت تعمل عليه وهو :-

1-العمل على التوافق بين الكتل السياسية-2- التسويف والمماطلة في تأخير إنتخاب رئيس الجمهورية 3- تأخير تشكيل الحكومة 4- الإستمرار على نهج نظام المحاصصة الطائفية والمناطقية 5- العمل على رفع حدة الخلافات 6- تأخير ومعالجة الوضع المالي وتأخير الموازنة 7- التوجه نحو صندوق النقد الدولي للإقتراض المالي وبفوائد أعلى وبشروط صارمة 8- التركيز والإقناع بالتخلي عن الهوية الوطنية والإستعاضة عنها بالهوية الدينية المذهبية، وبالهوية القومية والطائفية. 9- تعظيم قيادة الزعيم المعني هذا أو ذاك والعمل حسب إجتهاده الشخصي وحسب مزاجه المحصن .

الانتخابات العراقية :- جرت الانتخابات العراقية المبكرة في العاشر من أكتوبر /تشرين الأول 2021 حيث حددت الانتخابات 329 عضواً لمجلس النواب وحسب قانون الانتخابات ،وبدورهم ينتخبون رئيس الجمهورية ويصادقون على تكليف رئيس مجلس الوزراء من الكتلة الأكبر من قبل رئيس الجمهورية وإجراء الإستحقاقات الدستورية المتبقية وقبل ذلك جرى إنتخاب رئيس مجلس النواب ونائبيه، وكانت نسبة المشاركة في هذه الانتخابات 41% ولكن نتائج الانتخابات لم تأت بتغيير ميزان القوى في مجلس النواب، ويمكن القول بأن القوى التشرينية إستطاعت إختراق البرلمان وبمعاونة النواب المستقلين الجدد. كما ظهر بأن الإنقسامات إزدادت بعد الانتخابات وظهر مايسمى الطرف المُعطل الذي تمثل بالقوى الشيعية (الدعوة والحكمة وحلفاؤهم) الإطار التنسيقي والطرف الأخر الكتلة الصدرية أو التيار الصدري الذي حصد أعلى عدد من المقاعد والحزب الديمقراطي الكوردستاني والحلبوسي وخميس الخنجر ولازالتا الكتلتين في صراع تارة وحوار تارة أخرى ونتيجة للخلافات الشيعية الشيعية والكوردية الكوردية والسنية السنية توقف سريان وإستكمال الإستحقاقات الدستورية وبالتالي تضررت مصالح الناس والدولة ولكن الطبقة السياسية الفاسدة لم تعر أهمية لذلك ولم تعترف أو تصارح الشعب ولهذا فآخر التسريبات حسب تصريحات قيس الخزعلي - عصائب الحق - بأنهم يريدون في تشكيل الوزارة تسعة وزارات للإطار التنسيقي. كما حصل آخر لقاء مع مقتدى الصدر زعيم التيار الصدري مع الأطار التنسيقي وربما من أجل حلحلة الوضع المتأزم والوصول إلى نقطة وسط ومحاولة الجمع بين التوافق السياسي ووالنظام المحاصصي وبين مشروع الأغلبية الوطنية والسياسية الذي طرحه السيد مقتدى الصدر. ففي كلا البلدين نفس النظام المحاصصي الظائفي الذي أثبت فشله مما أدى إلى تداعيات أزمت الاستقرار والتقدم إلى الأمام.

الانتخابات اللبنانية :- جرت الانتخابات في لبنان بتأريخ 09/05/2022 في الخارج شملت 58 دولة وإنتخابات الداخل بتأريخ 15/05/2022. الذي أعلن النتائج وزير الداخلية فحسب النظام الإنتخابي اللبناني تكون وزارة الدخلية اللبنانية هي المشرفة في حين في العراق المفوضية العليا المستقلة للإنتخابات هي المشرفة وهذا أفضل من إشراف السلطة التنفيذية .

وكان من أبرز المفاجآت هو الإختراق الكبير الذي حققته قوى التغيير المنبثقة عن إنتفاضة الشارع اللبناني ، في تشرين الأول /أكتوبر 2019 حيث إنتزعت قوى التغيير 13 مقعداً من مقاعد البرلمان الجديد 12منهم يدخلون لأول مرة في البرلمان. عدد أعضاء البرلمان 128 مقعد والأغلبية يكون عددها 65 مقعد . خسرت الأحزاب التقليدية عدد من المقاعد ولكن لم يتغير ميزان القوى. نسبة المشاركة 41.4% مع ملاحظة تغيب تيار المستقبل بزعامة سعد الحريري الذي أعتزل العمل السياسي ودعا للمقاطعة. كما برز حزب القوات اللبنانية بقيادة سمير جعجع الذي حصل على 20 مقعد والتيار الوطني الحر بزعامة ميشيل عون 18 مقعد، مع خسارته عدد من المقاعد ذهبت إلى القوات اللبنانية وحزب الله بزعامة حسن نصر الله 31مقعد والحزب التقدمي الأشتراكي 9 مقعد ،والمجتمع المدني التشريني 13 مقعد، الكتائب 4 حزب الطاشناق 2 وتيار المردة 2. عدد القوائم الانتخابية 103 تضم 718 مرشحاً موزعين على 15 دائرة لإختيار 128 نائباً. وقد لوحظ هناك صراع شديد وتهجم بين حزب القوات اللبنانية وحزب الله حيث حصلت إشتباكات بين الطرفين وفي مناطق متعددة مع تبادل الإتهامات. لبنان المجروح والمبتلى كما في العراق بطبقته السياسية يعيش أزمة إقتصادية ومالية كبرى ويعيش تداعيات إنفجار مرفأ بيروت والذي أدى بحياة 215 شخص وإلى إصابة 6500 جريح وخسائر مادية.

قامت مجموعة من الأساتذة اللبنانيين وهم أساتذة الأقتصاد واكاديميين من جامعة اوتاوا في كندا وجامعة سدني في أستراليا والجامعة اللبنانية الأمريكية في لبنان والذين عملوا كأستشاريين لمختلف الإدارات والوكالات الوطنية والمنظمات الدولية ، قامت هذه المجموعة ببحث وتحليل الوضع الاقتصادي قي لبنان ونتائجه. وفي بحث أصول نظام المحسوبية والوساطة فهي تشير إلى1- منذ الحرب الأهلية اللبنانية 1975 - 1990 م سيطر على الحياة السياسية اللبنانية قادة ميليشياويون وسياسيون شديدو الفساد في عام 1990 مما سهّل إتفاق نهاية الحرب (إتفاق الطائف) وبالتالي وحسب الاتفاق أصبحت البلاد تحت قبضة وسيطرة النخبة السياسية. 2- أنشأ قادة المليشيات وحلفاؤهم السياسيون الذين ينتمون إلى الجماعات الدينية الرئيسية في لبنان، نظاماً أقتصادياً وسياسياً من حكم اللصوصية القائم على إعادة التوزيع للموارد وهو توزيع جزء صغير منها على قاعدتهم السياسية وغالباً ما يكون على شكل وظائف في القطاع العام (ملاحظة الآن القطاع الخاص يبتلع القطاع العام)فهذا النظام أنتج موازين القوى الحالية في لبنان ونظامه الاقتصادي السائد. وهذا الذي يجري في لبنان يجري في العراق فمن التداخل والتشابه بين النظامين ذكرنا في مقالات سابقة عن لبننة العراق ونقل كل نظامه المحاصصي الطائفي وسيطرة المليشيات على مقدرات العراق.

عام 2015 وبوجود الطبقة السياسية الحاكمة، كان مصرف لبنان المركزي يعاني من عجز قدره 4.8مليار دولار أمريكي في صافي إحتياطاته . وقد وردت معلومات في تقرير الصندوق الدولي بأن هناك إنخفاض كبير في ثقة الشعب اللبناني بجميع المؤسسات العامة وردهذا في التقرير سنة 2016 ولكن السلطات اللبنانية أقنعت الصندوق الدولي بإزالة المعلومات أعلاه من تقريره الرسمي والصادر في 2017 نظراً لوضع لبنان السياسي غير المستقر . واجه اللبنانيون معدلات تضخم بنسبة 84.9% في العام 2020 و154.85% في عام 2021 كما إزدادت أسعار المواد الغذائية بنسبة 1000% وفقاً لبرنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة .

وفي تقرير صادر عن وزارة الشؤون الأجتماعية بتأريخ 21 آيار 2022 يبلغ عدد اللبنانيين تحت خط الفقر 1.5 مليون وعدد اللبنانيين فوق خط الفقر 2.5مليون نسمة إضافة إلى 178.200لاجئ فلسطيني تحت الفقر و91.800 لاجئ فلسطيني فوق خط الفقر و720 ألف لاجئ سوري المسجلين لدى الأمم المتحدة تحت خط الفقرو780 ألف لاجئ سوري فوق خط الفقر.

ونتيجة للمقاربة فأن الطبقة السياسية وأحزابها تتحمل المسؤولية الكاملة عن ماحصل في العراق وكذلك مايحصل لشعب لبنان نتيجة التمسك بالنظام المحاصصي الطائفي الذي أثبت فشله وكذلك إستبعاد روح المواطنة والهوية الوطنية التي توحد الشعب. كما أن النظام الديمقراطي سوف لايحقق للشعب إنجازات تحت ظل التزمت والإنتماء الطائفي وبوجود المليشيات المتطرفة. ولهذا سوف تكون الانتخابات مشكوك في نتائجها كما بينت نسب المشاركة في كلا البلدين وفقدان الثقة بالسياسيين. وفقدان الثقة الدولية بمثل هكذا أنظمة أساس عملها نهب المال العام وتجويع الشعب وهدر الأموال من أجل المصالح الشخصية. ولهذا فالصراع سوف يستمر ويحتدم إلى ان يتحقق التغيير الجذري وبإرادة الشعب نفسه.

هاملت منتحراً

شعر:
أديب كمال الدين
أستراليا- أديلايد

حينَ عرفَ هاملت
أنَّ الناسَ في كلِّ مكان
ملّوا حدّ اللعنة
من حيرته السوداء
وتردّده الأسْوَد،
قرّرَ أن يختفي من المسرحِ إلى الأبد.
في اليومِ التالي
عرضتْ مسارحُ الأرض،
في مشارقِ الأرضِ ومغاربها،
ما لا يُحصى من مسرحياتِ أميرِ الدنمارك
مثّلها مجانين وأنصافُ مجانين
وأرباعُ مجانين بالطبع.
وكانتْ أكثرها إدهاشاً للجمهور :
هاملت وكلكامش والأفعى.
هاملت في بابل يتعرّى.
هاملت والسندباد البحريّ.
هاملت الفرعونيّ.
هاملت النفطيّ يتكلّمُ السنسكريتيّة.
هاملت يلعبُ الروليت في الخيمةِ الصحراويّة.
هاملت بالقُبّعةِ المكسيكيّةِ والسيجارِ الكوبيّ.
هاملت بعيونِ القطِّ وشواربِ هتلر.
هاملت يفتتحُ متحفاً سرّيّاً في مدغشقر.
هاملت في اليوتيوب
يبكي اللاجئين الغرقى وسطَ البحر.
هاملت يطلبُ العفوَ من الطغاة.
هاملت يشربُ العرقَ المغشوشَ ليلَ نهار.
هاملت يلقي خطابَ الفيسبوك
بدلاً من خطابِ العرش.
هاملت من دونِ هاء أو تاء.
هاملت برأسين وعينٍ واحدة.
هاملت المُتحوّلُ جنسيّاً.
هاملت مُنتَحِلاً.
هاملت مُنتَحِراً.

إبتسامة شعرية ..
غرفة على السطوح

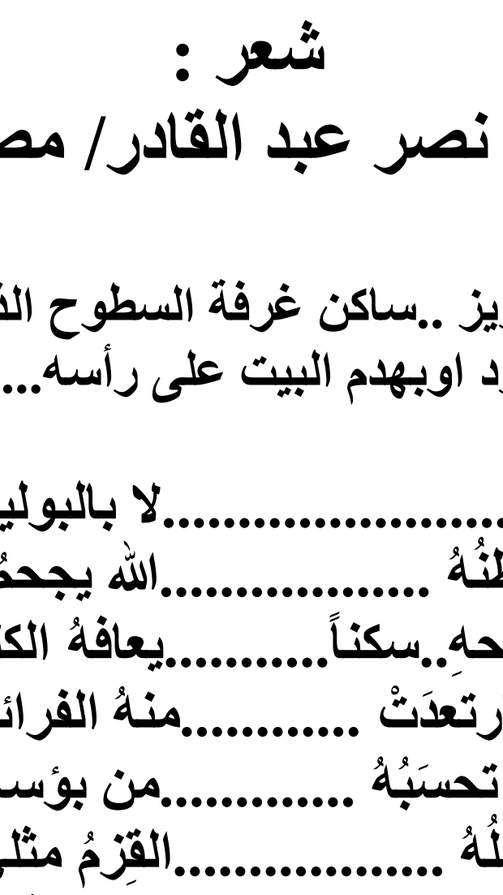

شعر :
د. نصر عبد القادر/ مصر

على لسان صديقنا العزيز ..ساكن غرفة السطوح الذي تهدده صاحبة البيت صباح مساء بالطرد اوبهدم البيت على رأسه....يقول لها متحديا :

لاتهدميه فإني لابدٌ فيهِ .....لا بالبوليسِ ولا بالجنِ أخليهِ
فرعٌ لسجنِ قراميدانَ أقطنُهُ .....اللهُ يحجمُ بانيهِ , وقانيهِ
أخذتُ في روفهِ..أي سطحهِ..سكناً.....يعافهُ الكلبُ لو أسكنتَهُ فيهِ
بيتٌ إذا شافهُ العفريتُ لارتعدَتْ .....منهُ الفرائصُ وارتاعَتْ مآقيهِ
غُفلٌ من الرقمِ والعنوانِ تحسَبُهُ .....من بؤسهِ طللاً شاعَ البلى فيهِ
وبابُهُ مثلُ بابِ القبرِ يدخلُهُ .....القِزمُ مثلي على أطرافِ أيديهِ
وسلَّمٌ حلزونيٌ كمئذنةٍ .....ياطالما قطعتْ أنفاسُ راقيهِ
كفى بهِ كرماً أن ليسَ يعرِفُهُ .....صحْبٌ,ومامن قريبٍ زارني فيهِ
لو همَّ في زورتي خِلٌ له عشَمٌ .....إلى القرافةِ قادتْهُ خطاويهِ
لى بوصلةٌ من ذبابِ الحيِّ أتبعُها.....إليهِ دُغري فلا أخشى من التيهِ
يأتي النسيمُ لخلقِ اللهِ يُنعشُهمْ.....وإن أتاني نسيمٌ قلتُ إفِّيهِ.....
وجيرةُ السعدِ ..سيماهم بأوجههِم.....منْ كلِّ هِلفٍ قبيحِ الوجهِ مشبوهِ
تحلو لهُم في ليالي الصيفِ سهرتهم.....في صدرِ بابي بلا إذنٍ وتنبيهِ
لهم وحايدُ تندي جبهتي عَرَقاً .....والردحُ يخرِقُ في سمعي ويُدميهِ
الهعهعاتُ لوشِّ الفجرِ راعدةٌ .....والسقفُ شرَّخَ من عزْمِ التقهقيهِ
فراخُهم جعلتْ من مرقدي سكَناً.....والبطُ يضربُ غُطساً في مساقيهِ
أمَّا العيالُ فدودُ الأرضِ يحسدُهم..... إذا دخلتُ بسمٍّ لا تُخلِّيهِ
الطفلُ يحبو..وذِكرُ الدِّينِ في فيهِ.....والأمُ من أشنعِ الأوصافِ تُطريهِ
وبالنوافذِ نسوانٌ مصهللةٌ .....وستُّهُ من عيون الناسِ ترقيهِ
وجارةٍ برَشتْ في البابِ عاريةً.....والشحطُ في حجرها راحتْ تُفلِّيهِ
وجارةٍ تركتْ مِفتاحَ عشَّتِها .....للوزِّ أُطعمُهُ ليلاً...وأسقيهِ
وجارةٍ هُرِعتْ للزوجِ تاركةً .....طشتَ الغسيلِ لأُنهي كلَ ما فيهِ
والمِيكرفونُ على رأسي إذا فرحوا.....ومجرمو الفنِّ كالغِربانِ تُحييهِ
ياجارةَ السوِّ خليني وخلّيهِ .....لا ساءكِ اللهُ في جارٍ تحبيهِ
إخصٌ على زمنٍ خلّاكِ مالكةً.....يغورُ بيتُكِ يابنتَ المعاتيهِ.....

كتاب (كائنات تفكر- أنسنة الكائنات في القصص الشعبي العربي)

داود سلمان الشويلي/العراق

داود سلمان الشويلي

كائنات تفكر
أنسنة الكائنات في القصص الشعبي العربي

الفصل التاسع "الإختباء".

في القصة الشعبية الخرافية، العراقية، والعربية، والأجنبية كذلك، مطلوب في بعض الأحيان، أن تختبئ بعض الكائنات، وخاصة البشر، في مكان ما، لحجة عند بعض الشخوص من هذا الإختباء، حيث دائما نجد المارد مثلا هو الذي يخبئ الفتاة التي اختطفها من أهلها في صندوق صغير، كما في الليالي: ((إن هذا العفريت قد إختطفني ليلة عرسي ثم أنه وضعني في علبة وجعل العلبة داخل صندوق ورمى على الصندوق سبعة أقفال وجعلني في قاع البحر العجاج المتلاطم بالأمواج ويعلم ان المرأة منا إذا أرادت أمراً لم يغلبها شيء)) 0 . أو نجد فتاة تخبيء حبيبها في صندوق. أو نجد الدرويش يخبيء فتاته في العصا التي معه. ونجد هذه الثيمة التي اخترعها القاص الشعبي الجمعي في حكايات ألف ليلة وليلة كذلك. ففي قصة الاطار من حكايات الليالي نلتقي بهذه الثيمة. في حكايات "الملك شهريار وأخيه الملك شاه زمان"، نجد الجني الذي طلع من البحر ((طويل القامة عريض الهامة واسع الصدر على رأسه صندوق فطلع إلى البر وأتى الشجرة التي هما فوقها وجلس تحتها وفتح الصندوق وأخرج منه علبة ثم فتحها فخرجت منها صبية بهية كأنها الشمس المضيئة كما قال الشاعر:

أشرقت في الدجى فلاح النهار
واستنارت بنورها الأسحار
تسجد الكائنات بيـــن يديـــها
حين تبدو وتهـــتك الأستار
وإذا أومضت بروق حماهـا
هطلت بالمدامـــع الأمطار

قال: فلما نظر إليها الجني قال: يا سيدة الحرائر التي قد اختطفتك ليلة عرسك أريد أن أنام قليلًا)).

ونجد ذلك في القصة الشعبية "زوجة الصياد"، إذ تخبئ حبيبها في شعرها، كما وردت في موضوعة "الماء الذي يحول الأشياء". وكذلك، يخبئ الدرويش حبيبته في عصا. فيما تخلئ الأخت أخيها الأصغر بعد تحويله إلى قطعة حلوى صغيرة خبأتها في ثوبها في النص السوري "الغزالة" 0

***

- الحبيب المختبئ في مكان صغير، والمكان الصغيرالذي يستوعب الشيء الأكبر منه :

النص العراقي "الهر وبنت الشواك" 0

((مات شواك وترك ثلاث بنات وأمهن في كوخ، وسمعت الأخت الصغرى ان ثمة قصرا فخما في المدينة سيباع فذهبت إلى هناك خلسة وابتاعته بثمن عال جدا وبكت الأم كثيرا لهذه الورطة فمن اين سيدفعون الثمن، وأخيرا ذهبن إلى القصرووجدن فيه قبقابا عتيقا فلبسنه بالتناوب، فأرسل لهن الجار صينية أكل، وعندما دخل الحمال القصر اختبأن لئلا يراهن، وعندما سأل الجيران عن رب العائلة قالت الفتياتان زوج الصغيرة تاجر وهو الآن في سفر.

جاء لهن هر وتركن له بعض الطعام فترك للهن درة، وفي اليوم الثاني كذلك، وهكذا عدة أيام فباعت البنت الصغرى الدرات وأثثت البيت.

فسألت الصغرى نفسها: اين يذهب هذا الهر؟ فتبعته ووجدته يدخل بستان مهجور ويغير ملابسه فبدا شابا جميلا وفتح علبة صغيرة مربوطة في زنده وفتحها وأخرج منها فتاة جميلة وهي زوجته، ووضع رأسه في حضنها حتى نام فتركته وخرجت وتبعتها البنت حتى وصلت إلى خربة وكان ينتظرهاشاب ماجن وشابات ولمنها على تأخرها، ورقصت معهن حتى أعياها التعب فعادت إلى الشاب الهر.

في اليوم الثاني أقام الهر وليمة ودعى الشابات والشاب وكانت البنت مختبئة في امكان وعندما ظهرت زوجة الهر رمتها بعظم وفقأت عينها فتجمع الشباب حولها فهربت البنت.

في اليوم التالي خرج الهر الشاب وأخذ يدور في الشوارع وهو يصيح: من يحجي لي على جرح كلبي أنطيه هذا الخرج كله در.

فجاءت البنت وحدثته بحديثها وكيف فقأت عين زوجته. فأخرج زوجته وحرقها وتزوج من بنت الشواك)).

***

الخاتمة:

يضم القصص الشعبي، في كل المجتمعات، الحكاية الشعبية، والحكاية الخرافية. حيث ان الحكاية الشعبية هي الحكاية المستلة من الواقع. فيما الحكاية الخرافية هي التي تعتمد على المخيال وبما يزوده لها من أمور غير معقولة، وغير منطقية، وغير حقيقية.

الحكايات التي اعتمدناها في فصول هذا الكتاب هي الحكايات الخرافية لما فيها من أمور لا يستسيغها العقل، والمنطق، أمور غير واقعية، وغير حقيقية. وكانت كل حكاية تحتوي على واحد أو أكثر من العناصر التي ناقشناها في فصول هذا الكتاب.

ربما يتساءل قاريء هذه النصوص عن مصداقية ما فيها فأقول ان ما جاء فيها من أمور ذات صلة بالعلم خاصة هو في محل شك، وغير مقبول، لأنها قد ولدت في مجتمع شبه أمي، مجتمع جاهل لا يعرف أي شيء عن العلم.

وقد توصلت فصول هذا الكتاب إلى أمر مهم هو ان الحكاية الخرافية تستطيع أن تطرح أي شيء ممكن أو غير ممكن بكل سهولة ويسر وكأنها تتعامل مع هذه العناصر بغياب العقل والمنطق لأنها تعتقد ان لا أحد يحاسبها، وهذا هو الصحيح، لان السامع أو القارئ لمثل هذه الحكايات لا يفكر بهذه القضايا وكيفية التعامل مع كل عنصر حكائي، بل ما يفكر فيه هو الهدف النهائي، والجمالية إلى حد ما، لان فيها ما هو عجيب وسحري. أما الهدف النهائي فهو تعديل واقعه الذي يعيشة بواسطة تلك الحكايات، فهي تنتهي دائما بواحدة من هذه النهايات السعيدة. فالفقير يصبح غنيا، والضعيف يصبح قويا، ومن كان في آخر درجات سلم المجتمع يصبح ذا مجد، ورفعة، وسؤدد، ومن كان حظه عاثرا يصبح سعيدا، ومن يبحث عن شيء يجده، وهكذا.

وأيضا، ان ما في فصول هذا الكتاب من حكايات ليس هو العدد النهائي والكلي لها بل هناك حكايات أهملها الكاتب لأسباب كثيرة، أو انه لم يطلع عليها. ولكن تبقى هذه الحكايات المذكورة في فصول هذا الكتاب هي المثل النوعي عن الكثير من الحكايات غير المذكورة.

***

* المصادر والمراجع:

- قصص الانبياء – الثعالبي – مكتبة الجمهورية العربية – ب. ت. .
- ألف ليلة وليلة / ج1 – مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده- ب.ت. ..
- قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية – د. نبيلة ابراهيم – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – 1992.
- أشكال التعبير في الأدب الشعبي – د. نبيلة ابراهيم – دار نهضة مصر للطبع والنشر – ب.ت. .
- سيرة ذات الهمة – د. نبيلة ابراهيم – مكتبة الاسرة – 1995.
- الحكاية الشعبية – عبد الحميد يونس – الهيئة العامة لقصور الثقافة – مكتبة الدراسات الشعبية - 1997.
- حكايات شعبية – د. أحمد زياد محبك – اتحاد الكتاب العرب – 1999.
- الحكاية والانسان – وزارة الاعلام العراقية – يوسف أمين قصير – ب. ت.
- حكايات وفلسفة - يوسف أمين قصير – بغداد – 1976.
- الحكايات والأساطير الشعبية في منطقة الخليل - رشدي الأشهب – جمعية الدراسات العربية – 1983.
- الحكاية الشعبية العراقية – كاظم سعد الدين - دار الرشيد للنشر- 1979.
- الحكاية الشعبية العربية – شوقي عبد الحكيم – دار ابن خلدون – 1980.
- حكايات من الفلكلور المغربي – تقديم د. عباس الجراري – ج1 – دار النشر المغربية – ب.ت. .
- الحكاية والأساطير الشعبية في منطقة الخليل- عمر الساريسي –جمعية الدراسات العربية - 1983.
- حكايات شعبية حمصية ج1 - مصطفى محمد الصوفي - موقع أصدقاء القصة السورية.
- الحكاية والاساطير الشعبية الموريتانية - محمد بن محمد علي - مجلة الآداب الموريتانية – مجلة الآداب.
- حكايات شعبية تونسية - عبد التواب يوسف - المجلس الاعلى للثقافة - 2010.
-الحكاية الشعبية الفلسطينية- نمر سرحان- مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - 1974 .
- حكايات من الفلكلور المغربي/ ج1– د. عباس الجراري – دار النشر المغربية – ب.ت..
- الحكاية الشعبية في اللاذقية - أحمد بسام ساعي - دمشق - 1974.
-الحكايات الشعبية العمانية ودلالتها الاجتماعية والثقافية- دراسة أنثروبولوجية - عايدة فؤاد النبلاوي- مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية - جامعة السلطان قابوس – 2015 .
- القصص الشعبي في السودان – عز الدين اسماعيل – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – 1971.
- القصص الشعبي العربي - دراسات وتحليل – داود سلمان الشويلي - دار الشؤون الثقافية العامة – 2020.
- قصص وحكايات شعبية – خليفة السيد – المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث – قطر -2002.
- القصص الشعبي الموريتاني - وزارة الثقافة والصناعة التقليدية والعلاقات مع لبرلمان الموريتانية – بدون معطيات.
- دلائل النبوة - إسماعيل الأصبهاني – بدون معطيات - 2/508.
- البعد النفسي في الحكاية الشعبية – نماذج مختارة من الوطن العربي صفاء خموم ووسلم لوز – رسالة ماستر- الجزائر – 2017.
- أساطير من الشرق – سليمان مظهر – ط1 - دار الشروق – 2000 .
- ملحمة جلجامش – طه باقر – وزارة الاعلام – 1975.

* المواقع الالكترونية:

- صفحة السيدة آمال سويسي الالكترونية.
- موقع الحكواتي -
- موقع المكتبة العامة الالكتروني.
- الموقع الالكتروني "قصص للاطفال".
- موقع ويكيبيديا.
- مدونة واحة الحكايات الشعبية للأطفال الالكترونية.
- موقع "تراثنا الطبيعي".

* أعداد من مجلة التراث الشعبي العراقية:

- ارشيف المركز الفولكلوري العراقي - رقم – 21.
- مجلة التراث الشعبي العراقية- ع/1/ س 9/ 1978.
- مجلة التراث الشعبي العراقية - ع 2 / س3 / 1971.
- مجلة التراث الشعبي العراقية – ع 2 ، 3/ س6 /1975.
- مجلة التراث الشعبي العراقية - ع10 / س5 / 1974.
- مجلة التراث الشعبي العراقية – ع/1- س7 – 1976.
- مجلة التراث الشعبي العراقية -ع 1/ س6 / 1975 .
- مجلة التراث الشعبي العراقية - ع/4/س6 1975 .

***

تجربة الفنان الراحل" رشيد عباس العلي "
تحكي إنهُ كائن حي!!

عبدالجبارنوري/السويد
حزيران 2022

ثمة خاطرة مرّة تنتابني دوماً أشعربها وتوخز ضميري دوما هي صدور (مرثيات) من مراكز القرار الحكومي لرموزنا الثقافية والعلمية عند رحيل تلك النخبة ونسيانهم وهم أحياء، لقد قررت أن أعيد مقالة ثانية عن الفنان الحاضر الغائب " رشيد عباس العلي " عسى ولعل - وهي لغة المحبطين - أن يصل صوتي إلى الجهات العليا المهتمة بالثقافة وبتقييم هذا الفنان الراحل أمتثالا للحديث القدسي {وأذكروا محاسن موتاكم}.
فنان من العراق مقيم في سويسرا الآن مغترب قسراً أنتماءهُ وهويتهُ العراق الذي يسكن في أعماق ذاته المكتوية لتسري بعشقٍ رومانسيٍ ملتهب دوما تسري عبر خليةٍ وخلية ، أبدع هذا الفنان في محطة هجرته في سويسرا بلاد جبال الألب ذات الطبيعة الخلابة التي ألهبت مشاعره لتوقظ موهبته وتحرك ريشته إلى الأبداع في مجال الفن التشكيلي لمستقبل واعد وهو يصارع فايروس الحنين للوطن الأم ومنفاه الجديد الموحش المهاجر إليه قسراً ليعلن للعالم المتمدن ومراكز قرار حقوق الأنسان أنه مواطن ذو آيديولوجية يسارية مكتمل الأهلية ذات شخصية أيجابية سوية محب للسلام والأندماج ومنتج مبدع في مجال عمله الفني ذات البنية الأنسانية ضد الموت والعتمة والظلامية وضد الفاشية .
رشيد عباس العلي رسام بهوية عراقية وطنية، من هذا الأنتماء يقتبس معانيه من أوجاع أغتراب المنافي التي ترافق لوحاته العزلة وأرهاصات فك هذه العزلة الملوثة بداء الحنين للوطن الغائب، تتمحور أحاسيسه الفنية المرهفة بلوحات ومشاهد ومعاني مرتبطة مشيميا بعشق الوطن الأم وهوى الشرق المفعم بعطر التأريخ وجغرافيتها وبأيحاءات شرقية برموز سحرية يوحي للناظر عشق هذا الفنان الأصيل للعراق الذي غادره سنة 1986 إلى سويسرا بلاد جبال الألب ذات البيئة الخلابة فكانت (محطته) الأخيرة التي أدخلت في لوحاته الأمل والتطلع إلى العولمة والنجومية وعدم تغييب المفاهيم السوسيولوجية للبيئة السويسرية، وتشهد معارضه الشخصية وأبداعاته التشكيلية في مدن سويسرا السياحية كالعاصمة جنيف وزيوريخ فهي شاهد كائن حي .
ومن أسرار تعلق الفنان رشيد بهذا الفن يقول : (ما يدفعني إلى المزيد من العمل والبذل هي القيمة الجمالية فيما أنجزتهُ ، ولا يهمني بعد ذلك إن كانت الموضوعة سياسية أو أجتماعية، إنما يفرق بين فنان أصيل مبدع وطفل هاو سعة الثقافة والأطلاع والأحتكاك بالمبدعين الآخرين) .

والآن سوف نقصُ شريط الدخول إلى عالم هذا الفنان الرسام والتشكيلي (المنسي) رشيد عباس العلي -
هل تعرفون الفنان الرسام الراحل "رشيد عباس العلي" ؟ بالتأكيد أن الدولة تتناساه والكثير منا يتجاهلهُ ، فهو كغيره في خبر كان نسياً منسيا من الدولة النفطية الريعية التي تكون قراراتها أنتقائية تخضع للحكومة المركزية بوزاراتها الراديكالية الحاكمة، ومراكز القرار مهمتها اليوم أدوار أستعراضية رمضانية بأقامة المهرجانات --
وهات يا بذخ وفساد أداري .
وسؤالي إلى الدولة ومؤسساتها والجمهور هل أحدٍ منكم يعرف هذا الرسام الموهوب الذي فاز بجائزة الدولة العراقية في 1959 في حكومة الشهيد عبدالكريم قاسم لتصميمه الفني للشعار الجمهوري الذي أعتُمد شعاراً للنظام الجمهوري حتى أنقلاب البعث في 1963 وهو الشعار الوطني المعبر الحقيقي عن الأطياف العراقية وحضارتها؟، وكانت أجابتهم عديدة ومتنوعة بعيدة عن شخصية هذا الرمز العراقي ، فمنهم من قال أنه ربما يكون نائب في البرلمان العراقي !!! وهنا تسكب العبرات حين يكون النائب الذي جاء في زمن الغفلة أشهر من الجواهري وأعظم من علي الوردي وأفهم من المتنبي وأكثر عراقية من نصير شمه .
ربما أعزو سبب هذا النسيان والتجاهل إلى أهمال مراكز القرار الحكومي والهيئات الثقافية والنقابية التي توالت المسؤولية منذ 2003 ولحد الأن والتي غطت بعباءتها السوداء أفق مستقبل الأجيال القادمة ، فأصبحت الدولة العراقية وجمهورها غير معنيين بمعرفة هذا وذاك من أصحاب القلم الشريف والريشة الوطنية ، واليد النظيفة وحتى أن تنخر أجسادهم المنافي – هذا هو مظفر النواب شاعر الكلمة الحرّة فاقداً للذاكرة في تونس و لبنان وتوفي في محطته الأخيرة دولة الأمارات العربية، وكان هو الأخرمنسياً في حياته وبعد رحيله أجريت له مراسيم تشييع مهيبة تليق بعظمة أبداعاته الشعرية الوطنية ومحطاته النضالية ، والآخر البروفيسور شاكر خصباك فقد الذاكرة ومات سريرياً في أمريكا وكذا الجواهري العظيم والعلامة مصطفى جمال الدين والمفكر اليساري هادي العلوي دفنوا في مقبرة (الغرباء) قرب مرقد السيدة زينب في سوريا مقبرة بعيدة عن الذين لا يريدونهم، سموها " مقبرة الغرباء حيث دفنوا في الشتات الجغرافي كشاهد تأريخي على زمن الشتات والنفي والأغتراب في مواسم الموت العراقي في غياب الكبار من الشعراء والأدباء والعلماء، أما الشاعر عبد الوهاب البياتي دفن في مقبرة الأمام زين العابدين عند جبل قاسيون سوريا.
وللأسف أشعر بالأحباط وخواطر مرّة حين أسمع بالدولة والجمهور يحتفيان برموزنا وقاماتنا العلمية والأدبية والثقافية (بعد) مماته وغيابه الأبدي، لماذا بعد غيابه؟ أتستكثرون عليه أن يملأ غرورهُ بالفخر والأحساس بأنهُ قد حصل على أستحقاقه ، فهو تجاهل بعينه ونكران جميل بشحمه ولحمه .

وأخيرا
أرجو أن تمتلك الدولة ومؤسساتها الثقافية أستراتيجية واضحة أزاء المبدعين العراقيين ولتنظر إلى تجربة السويد عند أستبدال عملتها الورقية والمعدنية في 2017 وضعت في كل فئة ورقية أو معدنية صورة أديب أو شاعر أو عالم أو مؤرخ أو كاتب غائباً كان أو حياً يرزق.

شيءٌ من اللغة العربية ... (العدد) ح23

مديح الصادق/ كندا

لقد فضَّلتُ أن يكون موضوع العدد بعد التمييز مباشرة لعلاقته به؛ كما سوف يتبين لنا ذلك.

أقسام العدد:

1- العددان (1)، و(2). واحد وواحدة، اثنان واثنتان.

2- الأعداد المُضافة: من 3 - 10، والمائة والألف ومضاعفاتهما.

3- الأعداد المُركَّبة: من 11 – 19.

4- (العقود) من 20 – 90.

5- الأعداد المعطوفة عليها ألفاظ العقود من 1 - 9.

.....

1- العددان (1)، و(2):

نقول: عندي صديقٌ واحدٌ، وصديقةٌ واحدةٌ.

اشتريتُ قلمينِ اثنينِ، وكراستينِ اثنتينِ.

هذان العددان في حالتي المذكر والمؤنث ليس لهما تمييز؛ بل يُذكَران بعد الشيء للتوكيد، وكل منهما تابع لما قبله في الإعراب.

2- الأعداد المُضافة:

أ- من 3 - 10: تضاف هذه الأعداد إلى معدودها الذي يكون (جمعاً مجروراً بالإضافة).

هذه الأعداد تخالف المعدود بها تذكيراً وتأنيثاً:

عندي ثلاثةُ دواوينَ،{كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ}.

إذا كان المعدود بعدها له (جمع قلةٍ وجمع كثرة)؛ فلا يضاف العدد- غالبا- إلا لجمع القلة، نحو:

في الصالة ستُّ أنفسٍ. كتبتُ ثلاثةَ أحرفٍ.

ملاحظة: جاء في القرآن الكريم:

{وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} في حين هناك جمع قلة، هو (أقراء).

إذا لم يكن للاسم إلا جمع كثرة فلا يضاف إلا إليه، نحو: في القاعةِ عشرةُ رجالٍ.

يُعرب اسم العدد حسب موقعه من الجملة:

في الملعبِ خمسةُ صبيَةٍ، رأينا خمسةَ صبيةٍ، نظرنا إلى خمسةِ صبيةٍ.

ملاحظة: يتبع هذه المجموعة كلمة (بضع)، في كل ما ذكرنا، وهي تدل على الأعداد من 3 – 9.

بضعة رجالٍ، بضع نساءٍ.

.....

ب- المائة ومضاعفاتها: تضاف إلى معدودها الذي يكون (مفرداً) مجروراً بالإضافة، نحو:

قرأتُ مائةَ كتابٍ، حضرَ مائتا شاعرٍ وشاعرةٍ.

ملاحظة: جاء في قراءة (حمزة والكسائي) إضافة مائة إلى جمع:{وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ}؛ وفي ذلك آراء.

.....

ج- الألف ومضاعفاته: تضاف إلى معدودها ويكون (مفرداً) مجروراً بالإضافة، نحو:

تظاهرَ في الساحةِ ألفُ طالبٍ. تخرَّجَ هذا العامَ أربعةُ آلافِ طالبةٍ.

.....

قد يضاف العدد المركب إلى غير تمييزه وفي ذلك ثلاث لغات:

1- مذهب البصريين: بقاء صدر العدد المركب وعجزه مبنيين على الفتح ثم يضاف لما بعده:

حضرَ خمسةَ عشْرَكم، قابلنا خمسةَ عشْرَكم، رحَّبنا بخمسةَ عشْرَكم.

2- مذهب الكوفيين: أن يُعرب الصدر حسب موقعه ويضاف للعجز، ثم يضاف لما بعده.

حضرَ خمسةُ عشْرِكم ، قابلنا خمسةَ عشْرِكم، رحَّبنا بخمسةِ عشْرِكم.

3- ما استحسنه الأخفش وابن عصفور: بقاء الصدر وحده مبنياً على الفتح، وجرّ العجز بالإضافة، وإضافة العجز لما بعده:

حضرَ خمسةَ عشْرِكم، قابلنا خمسةَ عشْرِكم، رحَّبنا بخمسةَ عشْرِكم.

.....

3- الأعداد المركبة من 11 - 19 ويكون العدد (مبنياً على فتح الجزأين)، تمييزه منصوب.

أ- أحدَ عشَرَ، واثنا عشَرَ للمذكر:

{إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا}.{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا}.

استقبلتُ اثنَي عشَرَ ضيفاً.

إحدى عشْرَةَ، واثنتا عشْرَةَ؛ للمؤنث:

{فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً}. قرأتْ إحدى عشْرَةَ شاعرةً.

ب- من 13 - 19 صدرالعدد يخالف التمييز في التذكير والتأنيث، والعجز يوافقه في التذكير والتانيث:

حضرَ تسعةَ عشَرَ شاعراً.

تسعةَ عشَرَ: فاعل مبني على فتح الجزأين، في محل رفع.

شاعراً: تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

استقبلنا ثلاثَ عشْرَةَ شاعرةً.

ثلاثَ عشْرَةَ: مفعول به مبني على فتح الجزأين، في محل نصب.

مرَرْنا بخمسَةَ عشَرَ معرضاً.

خمسَةَ عشَرَ: مبني على فتح الجزأين، في محل جر.

يُعرب العدد المركب مبنياً على فتح الجزأين، في محل رفع أو نصب أو جر؛ حسب موقعه من الإعراب في الجملة.

.....

يُستثنى من مجموعة الأعداد المركبة (اثنا عشَرَ، واثنتا عشْرَةَ)؛ فإنهما يُعربان إعراب المثنى:

حضرَ اثنا عشَرَ طالباً. كرَّمنا اثنَي عشَرَ طالباً، احتفلنا باثنَي عشَرَ فائزاً.

تقدَّمَتْ اثنتَا عشْرَةَ طالبةً، قبلنا اثنتَي عشْرَةَ طالبةً، توجَّهنا إلى اثنتَي عشْرَةَ مدينةً.

يُعرب الجزء الأول بالألف رفعاً، وبالياء نصباً وجرّاً؛ أما الجزء الثاني فمبني على الفتح، لا محل له من الإعراب.

ملاحظة: في كل الأحوال تكون (شين عشَرَ وعشْرَةَ) مفتوحة، ويُفضَّل تسكينها مع المؤنث:

راسَلتْني اثنتَا عشْرَةَ صديقةً.

أما لغة (تميم) فتُجيز كسر (شين) عشرة.

ملاحظة: نقول: بضعةَ عشَرَ رجلاً. بضعَ عشْرَةَ امرأةً.

.....

عشرة، وعاشرة عشر.

عند الإضافة إلى ما سبقه نقول:

(ثالث اثنين) للمذكر ، و(ثالثة اثنتين) للمؤنث، (رابع ثلاثة) للمذكر، و(رابعة ثلاث) للمؤنث.

أجاز النحاة تنوين الأول ونصب الثاني كما نفعل مع اسم الفاعل الناصب مفعولَه: (ثالثٌ اثنين)، (ثالثةٌ اثنتين)، (رابعٌ ثلاثةَ)، (رابعةٌ ثلاثاً)...

.....

ملاحظة: (حادي مقلوب واحد وحادية مقلوب واحدة) ولا يستعملان إلا مع عشر أو مع الفاظ العقود:

حادي عشَرَ، حاديةَ عشْرَةَ، حادي وعشرونَ، حاديةٌ وعشرونَ.

في العدد المركب نقول حادي عشَرَ، حاديةَ عشْرَةً، ثاني عشَرَ، ثانيةَ عشْرَةَ، تاسعَ عشَرَ، تاسعةَ عشْرَةَ؛ بالبناء على فتح الجزأين

.....

(كَمْ، وكأَيٍّ، وكَذَا):

(كمْ) نوعان: 1- (كمْ الاستفهاميَّة) 2- (كمْ الخبريَّة).

1- (كمْ الاستفهاميَّة): اسم لعدد مُبهم؛ لهذا لابد لها من تمييز نحو: كمْ كتاباً عندَكَ؟

أحيانا يُحذف تمييزها عندما يكون مفهوماً من الكلام، نحو:

كمْ صُمْتَ؟ أي (كمْ يوماً صُمْتَ؟).

لها صدر الكلام ويكون تمييزها منصوباً كما هو تمييز الأعداد المركبة، وتمييز العقود من 20 – 90، وتُختم جملتها بعلامة استفهام، وتطلب جواباً.

كمْ طالباً في الفصلِ؟. كمْ وجبةً أكلتَ؟.

يجوز جرّ تمييزها إذا سبقها حرف جرّ، نحو:

بكمْ دينارٍ اشتريتَ الكتابَ؟.

2- (كمْ الخبريَّة): لها صدر الكلام أيضاً، تستعمل للتكثير، وتُميَّز بجمع مجرور، أو مفرد مجرور:

كمْ أشجارٍ زرعْتُ. كمْ صديقٍ كسبْتُ.

المعنى: كثيرٌ من الأشجارِ زرعتُ، وكثيرٌ من الأصدقاءِ كسبْتُ.

.....

(كأيٍّ): مثل (كمْ)؛ تدل على التكثير، ولها صدر الكلام ويكون تمييزها منصوباً أو مجروراً ب(مِنْ) على الأغلب:

{وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ}.

{وكأَيِّنْ مِنْ دابّةٍ لا تَحملُ رِزقَها اللّهُ يرزقُها وإيّاكم}.

كأيٍّ عرْضاً للعملِ رفضتُ.

ملاحظة: وردت الكلمة في خطّ المُصحف (كأيِّنْ)، وفي شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (كأيٍّ).

.....

(كذا): تدل على التكثير مثل (كمْ الخبرية، وكأيٍّ)، تمييزها منصوب، وتستعمل مفردة أو مركبة:

ملكتُ كذا ديواناً. ملكتُ كذا كذا ديواناً.

ملكت كذا وكذا ديواناً.

هذا ما استطعتُ تبسيطه فيما يخص موضوع العدد، أتمنى الاحتفاظ به والاستفادة منه، نلتقي وإيّاكم في الحلقة 24 (الاستثناء).

كندا - الأحد 12 – 12 - 2021

العراقية الاسترالية

لوحات الفنَّان التَشكيلي السُّوري عبد السَّلام عبد الله
وشوشات لونيَّة شاعريَّة مضمَّخة بالواقعيَّة الانطباعيَّة

صبري يوسف
السويد - ستوكهولم (2016)

الفنَّان التَّشكيلي السُّوري الكردي عبد السَّلام عبد الله، حالة فنّيّة باذخة في تدفّقات الجمال والبهاء، عبر تشكيل لوني غارق في لمسات حفاوة الأزاهير والورد. يرسم عوالمه اللَّونيَّة الرَّهيفة بواقعيّة مفعمة بروحٍ انطباعيّة شاعريّة مدهشة، كأنّه في حالةِ عبورٍ واستكشافٍ لأعماقِ مرابع بوح الطَّبيعة أو في حالةِ مناجاة لروحِ الطّبيعة ودقائق الفرح المنبعث من شهقةِ الشَّمسِ وانعكاسها فوق مآقي الزُّهور. يرسم لونًا مسربلًا بأشهى مذاقات الحنين، موشّحًا خدود اللَّوحات بندى الصَّباح المتناثر فوق روعة الأزاهير. تشبه ألوانه موشور فرحٍ منبعثٍ من انسيابات بهجة الأحلام المتهاطلةً فوقَ بياض اللَّوحة.

كم من التَّأمُّل والشَّغف والخيال والبحث في مرامي رحاب الجمال، في بهاء الطَّبيعة والحياة والحبّ والفرح والسَّلام الدّاخلي والصَّفاء والجموح نحو جمال الإنسان الخلّاق، حتَّى تشكَّل عند الفنّان كلّ هذا التَّألُّق اللَّوني بإيقاع تشكيلي شفيف؛ أشبه ما يكون تناغمًا شعريًّا وغنائيًّا وإنسانيًّا وروحيًّا.

ترقصُ ألوانه بهجةً وحبورًا وشوقًا إلى تجسيد لوحات بديعة، بحساسيّة مرهفة وعميقة ومعبّقة بحبق الزُّهور، لمسات في غاية الانسيابيَّة، أشبه ما تكون وشوشات شاعريّة تناغي حنين القلب والرُّوح إلى بهاء الجمال والحبِّ والفرح، فارشًا رؤاه عبر ألوانه، حيث تبدو أزاهيره ووروده، كأنّها كائنات بشريّة جميلة متناغم بعضها مع بعض، يبدو وكأنّه في حالة نزوع عميق لترسيخ دعائم المحبّة والفرح والسَّلام في قلوب مشاهديه، عبر لوحاته الموغلة في الغنائيّة، ويعكس روحه الوئاميّة بين طيّات ألوانه المتراقصة فرحًا وشوقًا إلى حنين الإنسان لأخيه الإنسان.

هل هذه دعوة منه للإنسان؛ كي يعود إلى إنسانيّته السَّامية وجماله وروعته كإنسانٍ سامٍ ومخلوق جميل، وهل هذه الرُّؤية هي ردٌّ على ما يراه من قبْحٍ متفاقمٍ حوله من تصدُّعات في ممارسات الكثيرِ من المآسي والحروب في دنيا الشّرق، فلا يجد أجدى وأفضل من أزاهيره كي يطمسَ القبحَ الّذي يراه، راغبًا في أعماقه أن يقول للمشاهدين، للمتلقّي، للإنسان: لِمَ لا تكون جميلًا وعبقًا ومتناغمًا مع بني جنسك مثل الأزاهير؟!

من خلال ولوجي في فضاءات أعمال الفنّان، تلمَّستُ لديه قدرات عميقة في مسارات تأويل البوح عبر ألوانه، فتبدو لي لوحاته كأنّها في حالة حوار عميق مع المتلقّي؛ ومع عين المتلقّي أولًا، فيقدّم مباشرة لعين المشاهد: الفرح، الحبَّ، الجمال، الوئام، الموسيقى، أشهى موشور الأغاني. تتراقص الألوان على إيقاع ابتهالات الطَّبيعة والكون مع الكائنات. أتلمَّس من لوحاته بهاءً شعريًّا شهيًّا، رؤى مفعمة بالجمال الرُّوحي والدَّاخلي، وشغفًا عميقًا لزرع هذه المشاعر لدى عين المشاهد، كأنّه في حالة شوق عميق لعناق الآخرين عبر لوحته وألوانه وأفكاره الغزيرة المتهاطلة من حنين غيومٍ حُبلى بالمطر إلى أعماق الصَّحارى، حتّى أنّه يرسم -على ما يبدو- لذاته المعبّقة، ويعطي أقصى ما لديه من عطاء خلّاق للآخرين.

هل هي حالة تحدٍّ لبعض حالات القحط وشظف العيش والأحزان والأنين الّذي رافقه في بعض مراحل طفولته وشبابه وحياته، أو هي انعكاس لأوجاعه المتفاقمة؛ وبالتّالي، يسعى إلى تجسيد الجمال، كابحًا غمائم الحزن المتناثرة حوله، ومبلسمًا الجراح الثَّخينة لما ألمَّ به وما يحيط به وبالأوطان الّتي تبدو وكأنّها مصلوبة من خاصراتها، فيدفعه جموحه العشقي للجمال والسَّلام والوئام، إلى رسم ما تحتاجه الرُّوح وما يحنُّ إليه القلب وما يتّسع لرحابة أحلامه المفتوحة على مدى روعةِ وخصوبة الحياة؛ كي يمحقَ حالات القبح المتفاقمة حوله، ويستعيض عنها ما يمور في داخله من جمال؛ كردٍّ مضادٍّ لهذه القباحات الّتي شرخت الإنسان ورمَتْه في مهبِّ الأنين؛ وكي يستعيدَ توازنه وطموحاته وتأمُّلاته وولعه بالموسيقى والجمال والسَّلام؟!

يرسم الفنّان التَّشكيلي عبد السَّلام عبد الله كمَنْ يعبد في محراب العشق شهقات العناق على إيقاع دندنات اللّون، تاركًا روحه وقلبه وإحساسه، تلامس رؤانا وأبصارنا، دامغًا دمغته البهيجة فوق نضارة اللَّوحات، وأسلوبه موغل في الشّاعريّة والتَّعبير المدهش في ترجمة شغفه بالطَّبيعة والأزاهير والورود. تمتّعتُ وأنا أشاهدُ كلّ هذا البهاء والابتهالات اللَّونيّة المنسابة بطريقةٍ مدهشةٍ في تناغمِ الموشورِ اللّوني كأنّه في رحلةٍ فسيحةٍ بين جنانِ الأرضِ ووهجِ الخيالِ الجامحِ نحوَ مرامي انبعاثِ بوحِ القصائد وتراقصاتِ الألوان!

حالما نَعْبُرُ فضاءات لوحاته، نجدنا مقمّطين في حالةِ عناقٍ لوني معبّق بالحنين إلى دفء الرُّوح. تنبجسُ ألوانه من ينابيع روحه المضمّخة برؤية صافية صفاء النّدى المتناثر فوق بتلات أزاهيره ووروده بشكلٍ مبهج للعين؛ حيث نرى تناغمًا أشبه ما يكون تماهيات أنغام موسيقيّة صادحة على مدى ابتهالات بوح الرّوح واخضرار مروج القلب. تبدو اللَّوحات كأنّها مقتطعة من بهجة الطّبيعة في أوجِ حبورِ الرّبيع؛ لما فيها من طاقات لونيّة منعشة للقلب والعين والخيال!

يبدعُ الفنَّان بتوهّجاتٍ مدهشة لونًا مرفرفًا بأجنحة السَّلامِ والحبِّ والجمال، يسطعُ لونه فرحًا وبهجةً، تمنحُ تجلّيات ألقه المتلقّي متعةً غامرةً، ويسربلنا في حالة فرحيّة راقصة، كأنّنا نتلقَّى موسيقى جانحة نحو رقصة القلب، على أنغام شهقة الرُّوح وهي في أوج تجلّياتها نحو أبهى مروج الألوان!

يُشيِّدُ الفنَّان فضاءاته وهو يزهو إلى صفاء السّماء وبهاء الحرف وحفاوة الرُّوح، كأنّه في حالة انتشاءٍ عميقٍ رغم استفحال الغبار فوقَ جفونِ هذا الزَّمان، كأنّه يريد أن يمسحَ سماكاتِ الحزن المرصرصة حولنا ليقدّم لنا بشائر الأمل والفرح والسَّلام عبر رؤاه المحبوكة من ضفائر حلمٍ مستوحى من روعة الغابات والأزاهير والورد وزخّات المطر المتلألئة في بواطنه ومشاعره وخياله المجنّح نحو إشراقة خيوط الصّباح. لوحات الفنّان تنضح ألقًا لونيًّا طافحًا بالأمل والحبِّ والجمالِ والحياة! .. حاملًا بين أجحته آفاق بسمة لونيّة سلاميّة وئاميّة وارفة بالمحبّة وشهقات الأمل في دنيا من بكاء، كأنّه في سياق رحلة شعريّة عبر مزامير لونيّة مبهجة للروح، فيقدّمها لنا على هدهداتِ مزاميرِ التَّجلّي!

يمتلكُ الفنّان تقنيّات لونيّة ومهارات عالية في بناء تشكيل معالم لوحاته، فيتهاطل عالمه على بياضِ اللَّوحة مثل كرنفال لوني معبّق بالدّفء وشهقات الحنين، مترجمًا تأمُّلاته السّارحة في جمال الطّبيعة، دامجًا ترميزاته وإسقاطاته عبر أزاهيره ووروده وطموحاته وآماله الفسيحة، المرتكزة على مراميه الحالمة في بناء إنسان مسالم ضمن مجتمع تتوفَّر فيه علاقات إنسانيّة دافئة، مطرَّزة بالمحبّة والدّفء والتَّعاون الخلّاق؛ تعميقًا لمحبّته اللّامتناهية مع الطّبيعة، معتبرًا نفسه جزءًا لا يتجزّأ من الطَّبيعة، ولديه حنين عميق إليها؛ حيث يقولُ الفنّان معلّقًا حول أحد معارضه (معرض السَّيِّد) في دمشق:

« .. في معرضي هذا أعيش حنين الطَّبيعة؛ لكوني جزءًا منها، فالورود والأشجار والزُّهور ليست مجرّد أشكال في لوحاتي، وإنّما هي شخوصي وأناسي، وأتمنّى هنا -وذلك سعيي ورسالتي- أن نكون مثل الورود ولدينا عبق إنساني .. .»ويضيف الفنّان مُفنِّدًا علاقته الحميمة مع الطّبيعة كأنّها كائنٌ حيٌّ مدهش في انبعاثِ إشراقاته:

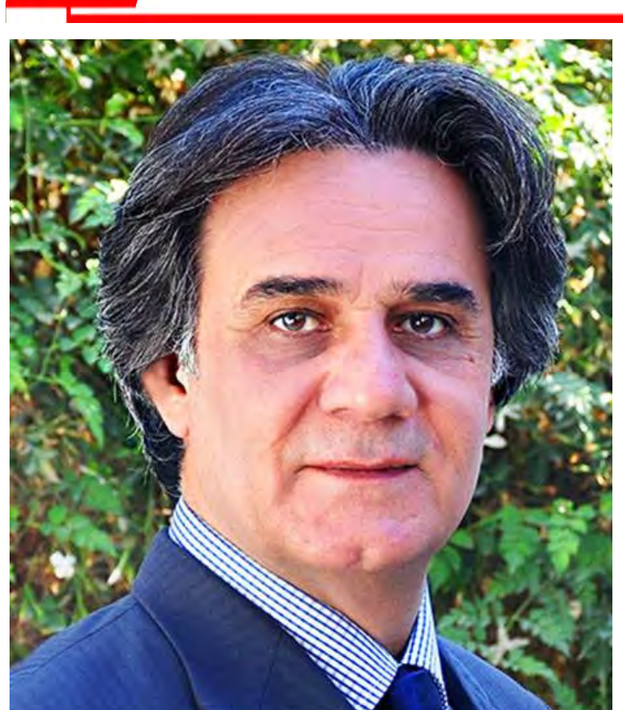

«الطَّبيعة صديقتي، وأنا صيَّاد المشهد الَّذي أشعر أنّه يغريني تشكيليًّا ويقنع عين المشاهد، ويشكِّل قصيدة متكاملة تؤسِّس لخيط ربط بينه وبين الطَّبيعة، وهو المشهد ذاته الَّذي يحرِّك أدواتي للعمل.

لعلّني لا أبالغ إن قلت إنَّ الطَّبيعة وليمة لا تنتهي، وبانوراما مشهد لا يتكرَّر ولا يشبه غيره من المشاهد إلّا في كونه طبيعةً، وكلّ عمل أقدِّمه عن الطَّبيعة هو حالة بحدِّ ذاته.«تتميَّز أعمال الفنّان عبد السَّلام بإبراز العلاقة العميقة بكلِّ جدليَّاتها المنبعثة من سموِّ الحساسيّة الذَّوقيّة عنده وارتقاء تقنيّاته الحرفيّة العالية؛ فاللَّوحة عنده مساحة بانوراميّة لونيّة شاهقة، دافئة، متفائلة، حنونة، ومبهجة، يعيش من خلالها حالة ربيع دائم مع مكوّناته، كما يطرح رؤى واقعيّة ومواقف بصريّة تتماهى مع جماليات الطَّبيعة والورد والإنسان، والَّتي ما هي في حقيقة الأمر، إلّا إسقاط لواقع غير موجود، مغترفًا من أعماقِ مكنوناته ورغباته ما يتعلَّقُ بعلاقة الإنسان مع جمال الطَّبيعة والحياة؛ حيث يقول:

«أميل إلى الانطباعيّة والواقعيّة ودمج المدرستَين؛ فالانطباعيّة تمتاز بالتقاط الزَّمن والمكان والضَّوء وحالة الضَّوء وانعكاساته على العناصر الموجودة الَّتي تمتاز بالألوان الصَّريحة والنَّقيّة؛ فهي من أخطر مدارس الفنِّ التَّشكيلي الَّتي تتطلَّب وليمة لونيّة كبيرة لها تفاعلاتها الكيميائيّة والبصريّة الّتي تتفاعل وتؤثّر في بعضها البعض، وذلك يتطلّب من الفنّان دراية عالية باللّون ومقدرة على تحقيق حواريّة وعلاقة لونيّة منسجمة، وذلك الأمر يمكن إسقاطه على النّاس والبشر؛ فنحن نختلف في الآراء والعقليّة والطِّباع، ولكن في النّهاية يجب أن يكون هناك وفاق جميل مثل الورود.«

نجد عبر فضاءات لوحات الفنّان عبد السَّلام ميلًا عميقًا إلى أنْسنة تجلّيات اللَّون، فيبدع ألوانًا شفيفة تنضحُ أملًا، وأعماله ناطقة بأريج الورد والزُّهور، منتشلًا الإنسان من الواقع المشوَّش إلى عالم الصَّفاء المنبعث من بهاء الطَّبيعة، وهذا ينمُّ على رهافة الحسِّ لديه، وهي أشبه ما تكون ابتهالات لسموِّ السَّماء على روعة ما تنعّمت به على الأرض، ممتنًّا لكلِّ هذا الجمال الَّذي ينعشُ البصر والبصيرة، ومغدقًا على الرّوح أسمى المعاني؛ راغبًا أن يبدعها برهافة فنّية عالية ويوصلها إلينا بروعة تصويره الخلَّاق.

الفنّان التَّشكيلي السّوري الكردي عبد السَّلام عبد الله مجنّح نحو أبجديات جمال الطَّبيعة والأزاهير، يرسّخ أسلوبًا شاعريًّا مضمّخًا بالواقعيّة الانطباعيّة، كأنّه في حالةِ عشقٍ مفتوح مع الحياة بكلِّ تجلّياتها، راغبًا بكلِّ ما لديه من رؤية جماليّة عميقة، وخيالٍ جامحٍ أن يؤنْسنَ الجمالَ والفرحَ والسَّلامَ والحبَّ عبر ريشته المنسابة نحو أرقى فضاءات أبناء الشّمال السّوري، الموغل في إشراقةِ أشهى تجلّيات العطاء والإبداع!

رواية "الطوفان الثاني".. أزمنة وأماكن لم تغادر حتى تبدأ من جديد!!

عصام الياسري/المانيا

سنحت لي الفرصة مؤخرا من قراءة رواية الصحفي والروائي العراقي فاتح عبد السلام الموسومة "الطوفان الثاني"، الطبعة الاولى، الصادرة عن الدار العربية للعلوم ـ بيروت في آب/ اغسطس 2020، والتي تقع في أكثر من ثلاثمائة وخمسين صفحة من الحجم المتوسط وغلاف من تصميم الفنان علي القهوجي.

وعشرين فصلا، تحمل سلسلة من الاحداث الواقعية وصور دراماتيكية تبدو كحكايات من الخيال العلمي. تفاصيل أزمنة وأماكن متغيّرة، ما ان يغادرها القهر حتى يعود اليها من جديد. الرواية عملا دراميا ببصمة فنية، عوالم واضاءات واحداث وتواريخ حقب مؤلمة كادت ان تقضي على خطوات "محو الامية الثقافية" في بلاد الرافدين وتعود بها الى العصور الظلامية..

رواية مثيرة للاهتمام والدراسة، لكن لابد من الاضاءة الى انني في هذه الفسحة الكتابية، لست من المتحمسين لتسمية "الكتابة" فيما يتعلق الامر بالاصدارات الشعرية او الروائية بـ "العمل النقدي"، كما متعارف عليه بين بعض الكتاب العرب،، لفهمي على ان الكتابة تعني "تقييم باستخدام معاييرموضوعية"، اي تمظهر يتيح للقاريء الوقوف على جماليات السرد الروائي، او بالمعنى التقريبي "فحص العمل الادبي" لتكون المسافة بين الروائي والمتلقي ثنائية ومباشرة، لا "انشاءً إعلامياً" غير قادر على وصف الرواية في تنوعها وتميزها عن الاشكال الاخرى في ممارسة الكتابة وفن التعبير "لغويا". بمعنى آخر اثارة فضول المتلقي، للبحث عن مصدر لاستكشاف الرواية، بدل رأي الناقد "كناقد"، وهو في أغلب الاحيان رأي مجازي او نسبي ان جاز التعبير، واحيانا مرتبط بالموقف الشخصي في مجتمعاتنا العربية.

فاتح عبد السلام كاتب وروائي وصحفي عراقي ولد بمدينة الموصل، ويقيم حاليا في لندن، تخرج من قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة الموصل، حصل على درجة الماجستير في الأدب العربي عن دراسة قدمها بعنوان »الشخصية الريفية في قصص يوسف أدريس«، ثم حصل على درجة الدكتوراه عن رسالة قدمها بعنوان "الحوار في الرواية العراقية". عمل في العراق استاذا مشاركا في مادة الأدب العربي الحديث. صدر له العديد من الاعمال الروائية والقصصية والفكرية والنقدية والدراسات الاكاديمية.

روايته الجديدة "الطوفان الثاني" تجمع بين الواقع والخيال، فصلها الاول الذي تبدأ عنده رحلة الرواية، يثير تساولات جوهرية لم تتوقف عند حدود الخاتمة "الفصل العشرون". بل كشف لنا الكاتب عبد السلام من خلال امكانياته الابداعية والتجريبية واسلوبه السردي عن "جوهرة" النص الادبي الذي يمثل الأساس، وما تمتاز به الرواية ـ وعن مفاهيم وانماط جمالية بطريقة واضحة وأنيقة.. ((ثنت رقبتها على ركبتيها، وأحاطت بذراعيها ساقيها المنطويتين على شكل هرم. غطس رأسها بين ركبتيها، ولم يبق ظاهرا منه سوى جزء من شعرها. بدت كمَن تمارس تمرينا رياضيا يقتضي حبس انفاسها))..

يبدو ان الكاتب عندما بدأ كتابة هذا النص في مستهل روايته (ص 5)، اراد ان يبقي الباب موصودا، على غير العادة، بطريقة مختلفة عن نشأة الرواية، اية رواية، ومقدماتها، جعلت النص عملا متكاملا بدون تعليق، لكنه مستمر وواضح تماما. يكشف عن إمكاناته السردية التفجيرية في الفصول اللاحقة، مع تفاصل دراماتيكيه أكثر ملاءمة من وجهة نظر جمالية ـ اليوميات، الازمنة، والاماكن، الأمثال، السير الذاتية التلقائية وما إلى ذلك.

في رواية "الطوفان الثاني" لا يمكن اختزال "القيمة الادبية" للاحداث والحروب الكارثية المؤلمة والشاقة بعيدا عن مظاهر القيم الفنية مثل بانوراما عريضة.. اقتبس من صفحة الغلاف الاخيرة: ((في "الطوفان الثاني" يواصل الروائي العراقي فاتح عبد السلام. الماكث الابدي في كنف الحروب، مشروعه السردي في البحث عن ذلك المعادل المستحيل لانهيارات الحروب.. بؤرة روائية تنبض تحت انساق من رماد ماكر. يغطي ذات الارض التي نحت فيها الطوفان الاول اصوات الملاحم والاساطير وانفاس المدن المضيئة.. هنا "الطوفان الثاني" خط مشروع منكسر لحياة حالمة. لا يقهرها تنين النار. حياة تأبى الا ان ترسم ملامح الوجه الحتمي الآخر من الحرب، اية حرب))..

بالمعنى الاوسع: الأعمال الادبية هي في الأساس مساحات مادية محددة لها طابع جمالي أو فني مقصود. اراد الكاتب في مستهل الرواية، ايصالها للمتلقي ببساطة، كشرط ضروري.

وعلى ضوء ذلك، يمكن فهم الاماكن والازمنة التي تم إنشاء الرواية في ظروف اكتنفها العديد من المصائب والاخطار والترحال. وفي النهاية، لا يخضع الجزء الاول لهذه الظروف والاشياء فحسب، انما تأثرت الفصول التسعة عشر الاخرى باحداثها الفرعية والرئيسية والنوعية الشاملة.

((اشتراك بريطانيا في الحرب مع الامريكان لاحتلال العراق. انتابتني دفقة من افعالي الصبيانية، وقلت في سري "ماذا لو اطلقت الآن صرخة في العربة، انا عراقي؟)) ص 137 الفصل العاشر. ((ما سر هذه الارض التي طردتني طفلا، ورمت بيّ في ذلك البحر المظلم، ثم اعود اليها رجلا فاجدها غريبة عني، كلما شممت ترابها فاضت في نفسي موجات من الحزن، تغمرني حتى اثمل من الدهشة، او لعله الخوف دون سواه من المشاعر، غير ان رائحة التراب الساحرة كانت تعاند بقوة في سحبي الى ذلك الشوق الغامض الذي لا ينتهي)) ص 287 الفصل الثامن عشر..((اخبرني عمي وهو يرقبني بالمرايا ان هناك مَن سرق اجزاء من تلك الاعمدة... كانت ابراجا عملاقة لم استطع تخيل صورة الشخص الذي يمكنه ان يسرقها... كان اكبر همنا هو كيف نجتاز حاجز سيطرة يصادفنا، وكيف لنا ان نميّز انه حاجز تابع لقوات الحكومة او لمسلحين يرتدون نفس ملابسها ولديهم نفس سياراتها ايضا، من الممكن ان يقتلوا الانسان بسبب اسمه او دينه او مذهبه؟)) ص 350 الفصل العشرون.

اعتمد الكاتب في كتابة روايته آليات الدقة الزمنية والاجتماعية والمكانية، إذ حددها على أنها قلب العمل، وليس فقط عمل روائي احداثه متشابكة ومعقدة خلال ازمنة مختلفة ملأها المؤلف بالحياة.. وفقا "لأنوشكا باتي" (تحفيز المادة) ـ ليصبح "الصخب الكامل والصخب مقدما" في نقطة التبلور المبكرة التي يمكن من خلالها تنظيم كل الإضافيات بطريقتين على الأقل. من ناحية، المزيد من المواد الأدبية، ومن ناحية أخرى تلبية مطلب "فن الكتابة" كما يشير الى ذلك العبقري "موريس بلانشو" (القدرة على زيادة الأداء المعرفي للكاتب).

ما يلفت الانتباه في "الطوفان الثاني"، ان الكاتب فاتح عبد السلام، كان موفقا في جعل "فصول الرواية" متألفة مع بعضها البعض كـ "حبكة سينمائية"، تسميها (تيريزا فريدريش) بـ "عمل بمعنى الكدح". كما مكننا من اكتشاف الكثير من المواقف الاجتماعية والعديد من الاحداث والأزمات والاضطرابات المثيرة للاهتمام في السنوات القليلة الماضية. فيما يظهر الابداع الأدبي "للرواية" نفسها، سياقات فيزيائية بارزة، ترتبط بسير الاحداث. لكنها، تظل غير واعية (كالهروب الى عالم آخر، كحل آني) لاجل الحفاظ على "تدفق الكتابة" وهو ما كان بالفعل.

اخيرا لابد من التنويه الى ان العناصر اللازمة، حتى في المرحلة الجامحة اثناء كتابة النص الروائي، كانت حاضرة، واللحظة "الهارمونطيقية" لعبت دورا مهما، غالبا ما يتم تجاهلها في الكثير من المناهج الشكلية لأدب الرواية.

الشماغ

أيام زمان الجزء 55

إعداد: بدري نوئيل يوسف/السويد

الشماغ علامة العرب وزينتهم، والذي يحمل بين طياته علامات تدل على هوية مرتديه، وتحدد أناقته، وأحياناً جماعته وانتمائه، وشاع بين الشعوب قديماً وحديثاً لبس غطاء للرأس، وتميز العرب عن غيرهم بلبس الشماغ كغطاء للرأس العربي، ويتكون عادة من قطعة قماش مزخرفة، منسوجة من الكتان أو القطن، ويتم ثنيها على شكل مثلث ويضعه الرجل على رأسه، وللشماغ قيمة معنوية على الصعيد الاجتماعي، بالإضافة إلى قيمته الجمالية، حيث أخذ دلالات عربية متوارثة، فمثلاً عند طلب الثأر كان يتم قلب الشماغ ووضعه أسفل الذقن، أما في حالة "الدخيل" وطلب الأمان، فكان يتم وضع الشماغ حول رقبة المدخول عليه وكأنه يقول له "ما يمسّني يمسُّك".

الشماغ ويعني بالقواميس السومرية غطاء الرأس العظيم، أو (أش ماخ) ومعناها غطاء رأس الكاهن العظيم. ولكنه ورد في القاموس التركي باسم (يا شمق) ويعني غطاء الوجه عند النساء والمراد به البرقع الخفيف، ولعل الأتراك أخذوه من اللهجة العراقية أثناء حكمهم للعراق والذي استمر حتى نهاية القرن التاسع عشر.

وهناك رواية أخرى حيث والشماغ كلمة مشتقة من الشماخ وهي بلدة من قرى الشوبك وكانت تصنع بها أغطية الراس قديما، أي الشماغات حيث كان ذلك جزءا من أسرار الدولة الأدومية وكانوا يصنعون الشماغ من الحرير المستخرج من دودة القز، وكانت المنطقة مليئة بغابات التوت، ومن القطن المزروع في وادي عربة وغور الصافي ومن الصوف النقي، فاستبدلت الخاء غين فتحولت الشماخ (وتعني أيضا الشموخ والإباء والأنفة) إلى الشماغ. حيث كان الأردنيون يعتزون بلباسه لأنه رمز للشموخ الإباء، فضلا عن أن لون الشماغ الأحمر والأبيض هما من معاني الأردن.

تشير المنحوتات والتماثيل أن اهم حكام بلاد الرافدين، الذين لبسوا الشماغ هو أمير سومري، وسلالته مدينته مهمة هي مدينة لكش، واسمه گوديا 2144-2124 ق.م، وتماثيله المحفوظة في متاحف العالم، ومنها متحف اللوفر توضح انه أول من لبس الشماغ على راسه كعصابة، وليس شماغ مسترسلا متدليا، ووصف في ملبسه هذا كونه أميرا وكاهنا أعظم، ربطته مع ممالك الخليج العربي علاقات صداقة وتجارة قوية وجلب من ممالك الخليج العربي نهاية الألف الثالث قبل الميلاد. أصبح الشماغ لباس الأمراء والكهنة في العصر السومري الذهبي، وهكذا انتقل من الكهنة والأمراء إلى عامة الشعب، وقد توارثه سكان الأهوار عن أسلافهم السومريين قبل خمسة آلاف سنة ق.م، ثم انتشر في الدول الخليجية وباقي البلدان العربية.

يعود تاريخ لبس الشماغ وأصل الشماغ الأحمر إلى حضارات ما بين النهرين في العراق قديما، وكانت أنماط توزيع الألوان على الشماغ تُحاكي شباك الصيد أو سنابل القمح، وكانت ترمز إلى الخير والتكاثر أو المطالبة بحصة المعبد من الثروة السمكية، كما يعتقد الباحثون في الملابس التقليدية، أما الخطوط السوداء في حواشي هذه الشبكة فتتعلق بطرد الأرواح الشريرة عن لابسها.

تمكن الشماغ الصمود منذ تلك الفترة إلى وقتنا الحالي، لمزاياه الوظيفية كالحماية من أشعة الشمس والبرد القارص ليلا، في البيئات الصحراوية وحماية الوجه من الغبار عند وضعه كلثام، وبقي أيضا لمزاياه الجمالية ليكون علامة مميزة في لباس العرب.

هناك من يقول بأن أصل الشماغ جاء من البريطانيين بعد أن قدموه للعرب، عندما جاؤوا للجزيرة العربية، إلا أن ذلك غير صحيح حيث أن الشماغ يعود لآلاف السنين، وهو مرتبط بطبيعة حياة الأجداد الصحراوية منذ القدم، وذلك قبل مجيء البريطانيين بمئات السنين، كما كان يستخدمه الطوارق الذين يعيشون في المغرب العربي لحمايتهم من الرياح الرملية وأشعة الشمس.

لكن الإنجليز شاركوا بتطوير الشكل الخارجي والنهائي للشماغ، فتطريزة الشماغ لم يكن باستطاعة العرب قديماً القيام بها نظراً لقلة الإمكانيات التصنيعية حينها، لإنتاج هذا التطريز، ويقال أن الشماغ الأحمر ينسب إلى الجنرال الإنجليزي "جلوب باشا" الذي تولى قيادة الجيش الأردني في الفترة (1939م – 1956م) حيث فرض لبسه على الجنود الأردنيين، وأول من جعل من الشماغ الأحمر زياً رسمياً، وعممه على الجيش الأردني كجزء من الزي الرسمي، وذلك بسبب قلة الطلب عليه من المصانع البريطانية في الحرب العالمية الثانية، فقام بتعميم هذا النوع من الشماغ على قوات البادية وعلى الجيش الأردني ولبس هو نفسه هذا الشماغ مع العقال، وبعد ذلك انتشر بين عرب الجزيرة، لكن ما كان يهم العرب هو أن يكون الشماغ من قماش كثيف يمنع نفوذ الغبار أكثر من اهتمامهم بشكله أو نقشه.

ويعتبر الشماغ ذو اللون الأبيض والأحمر (ويقال له الشماغ الأحمر)، رمز من رموز للهوية الوطنية الأردنية المتجذرة عبر الأف السنين وليس من صنع جلوب باشا، وإنما تم العودة إلى هذه الهوية عند تشكيل قوات البادية

الأردنية فاجتذبت أبناء العشائر لأنها جسدت عمق المفهوم والذاكرة التاريخية الأردنية.

في العهد السومري ازدهرت صناعة النسيج، واستخدم فيها خيط الصوف والكتان لحياكة الملابس والأغطية، وكان الكهنة يلبسون الملابس البيضاء، بشكل يغطي أجسامهم من الرأس حتى القدمين، ويضعون فوق غطاء الرأس الأبيض شبكة سوداء مصنوعة من صوف الأغنام في أهوار جنوب العراق.

يلبس سكان الأهوار في الوقت الحاضر الشماغ ذا الخطوط السوداء، الذي يشبه عيون شباك الصيد الموشح بخطوط عريضة في جوانبه، وهي متموجة تشبه أمواج مياه الأهوار، وفي حافته خطوط ورسوم سوداء تمثل زعانف الأسماك. ولكن السادة العلويين في الأهوار يلبسون الشماغ الأخضر، بعد صبغه بمادة خضراء ليميزهم عن باقي الناس، ويكنوا لهم كل الاحترام لأنهم من سلالة دينية، أما الصابئة المندائيون المنتشرون في الأهوار فهم يلبسون الشماغ بخطوطه الحمراء، ويتميزون بلباسهم هذا، وعرب الأهوار لا يلبسون الغترة البيضاء لأنها أصلا لباس وزي أهل البادية.

الشماغ هو من اللوازم المهمة في حياة الرجل العربي، فهو يحرص على ارتدائه بشكل يومي، لذلك يجب أن يظهر بشكل أكثر جاذبية، وذلك من خلال طرق مختلفة للبس الشماغ، ومنها طريقة الشيبان: هذه الطريقة في لبس الشماغ تبرز ملامح الوجه، وتتم عن طريق رفع أطراف الشماغ ليتم وضعها فوق العقال، وتركها تنسدل على الكتفين من الخلف. وطريقة التواضع: وهذه الطريقة في لبس الشماغ تبدو من اسمها، فهي تدل على الشخصية المتواضعة، وتكون عن طريق وضع أحد طرفي الشماغ على الكتف المعاكس، له والطرف الآخر يتم وضعه على الكتف الآخر. وطريقة صقر العروبة: ويمكن ارتداء الشماغ بهذه الطريقة عن طريق وضع طرفا الشماغ على الكتف المعاكس مع ضرورة طيهما بإحكام حتى لا ينفلتوا، ويفضل استخدامها إذا كان الجو قارس البرودة. وطريقة الكوبرا وهذه الطريقة في لبس

الشماغ تحتاج إلى تثبيت الشماغ بطريقة صحيحة حتى لا ينفلت، إذ يتم ارتدائها عن طريق استخدام النشاء، ثم يتم رفع أطراف الشماغ على الرأس وتثبيتها جيدًا من منتصف الرأس وحتى الخلف، كذلك طي الأطراف عند الأذنين على هيئة شبيهة بأفعى الكوبرا. وطريقة الميزان وهذه الطريقة في لبس الشماغ، تشبه شكل الميزان، إذ يتم وضع طرفي الشماغ على الرأس مع الحرص على عدم شدهم، مع ترك مساحة مناسبة، ثم تطوي هذه المساحة على هيئة صحون الميزان عند طرفي الوجه على شكل القلب. وطريقة الفراشة: وتمنح هذه الطريقة في لبس الشماغ الرجل التحرك بحرية، إذ يتم ارتدائها عن طريق وضع أحد طرفي الشماغ على الكتف المعاكس له من الجهة المحاذية للظهر، ويجب أن يحيط بالوجه كجناح الفراشة. والشماغ ليس مجرد قماش يتم وضعه على الرأس، ولكن لابد أن يتم ارتدائه بشكل يجعل الشخص أكثر أناقة، وذلك بطريقة وأسلوب يظهر الشماغ بشكل لائق يعبر عن الشخصية والثقة بالنفس، ويمكن جعل الشماغ أكثر أناقة وجاذبية باستخدام الأسلوب الرسمي "تشخيصية الشيوخ"، وهو من الأساليب الأنيقة الجذابة التي يقوم فيها الرجل إسدال أحد طرفي الشماغ على الجهة الأمامية، وترك الطرف الآخر ناحية الظهر. ومن الأساليب التي يمكن متابعتها في لبس الشماغ حتى يبدو أنيقا، أسلوب البكارية أو بنت الكبار، عن طريق وضع الشماغ من الخلف إلى الأمام بحيث يكون الجزء الخلفي أقصر من الأمامي. ويمكن أيضا اتباع أسلوب الصقر، وهو الأساليب التقليدية السهلة، تقوم فيها بوضع الشماغ وإسداله كاملا من الجهة الأمامية والخلفية وتوقيفه من ناحية الرأس. وهناك أيضا أسلوب المسؤولين، فهو كما يبدو من اسمه طريقة يرتديها الرجال في المناسبات الرسمية، يقومون فيها بوضع طرفي الشماغ ناحية الظهر مع طي المرزام.

يعد الشماغ اللباس المتمم لهندام الرجال بعد وضع العقال عليه، وله الكثير من الدلالات الخاصة. فمن لا يلبس العقال فوقه فهذا يدل على أن صاحبه لديه ثأر عشائري، ولم يأخذ به أو يدل على الحزن لوفاة عزيز عليه كالوالدة مثلا. ومن يضرب الشماغ على الأرض في وسط الديوان فإنه يجزم بالوصول إلى خصمه ومهما بلغت التضحيات. ويحذر أن يخاطب أحدهم في الديوان ويقال له (يشماغك وسخ)، فإنه يعتقد أن هناك عاراً أو عيبا أو نقصا بعائلته والشماغ يلبسه الرجال دون النساء، وقد جاء ذكر الشماغ في أهازيج وأغاني وشعر أهل الهور.

يدعى الشماغ العربي في عدة دول في شمال جزيرة العربية، بالكوفية أو الحطّة (وخاصة في بلاد الشام)، بينما يدعى باسم شماغ في منطقة الجزيرة العربية والعراق، وهو ذو ألوان مختلفة، أشهرها الأبيض السادة والأبيض الممزوج بنقوش سوداء وحمراء أو بالعكس.

كان الشماغ رمزا للرجولة والأناقة قديما، وخلال العصر العثماني تميز العامة بوضعها على أكتافهم وسكان الريف على رؤوسهم، بينما كان الأعيان يضعون الطربوش، وتجسيدا لقيمته التاريخية، ظهر الشماغ في كثير من الأعمال الفنية يوضع على الكتف في مسلسلات البيئة الشامية والبدوية التاريخية.

ارتبط اسم الشماغ ويطلق عليه (الكوفية) بالكفاح الوطني منذ ثورة 1936 في فلسطين، حيث تلثم الفلاحون الثوار بالكوفية لإخفاء ملامحهم، أثناء مقاومة القوات البريطانية في فلسطين، وذلك لتفادي اعتقالهم أو الوشاية بهم، ثم وضعها أبناء المدن وذلك بأمر من قيادات الثورة آنذاك، وكان السبب أن الإنجليز بدأوا باعتقال كل من يضع الشماغ على رأسه ظنا منهم أنه من الثوار، فأصبحت مهمة الإنجليز صعبة باعتقال الثوار بعد أن وضعها كل شباب وشيوخ القرى والمدن.

واشتهر الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، بوضع الشماغ الأبيض المقلم بالأسود على رأسه بشكل دائم، كرمز لثقافة المقاومة، وكانت الكوفية مقرونة بالفدائي وسلاحه، وكانت توضع لإخفاء ملامح الفدائي، ونتيجة لذلك أصبحت تلك الكوفية رمزا وطنيا لنضال الشعب الفلسطيني في المحافل الدولية، واتخذتها حركة فتح شعارا لها ووضعتها على شعار الحركة (درع العاصفة).

المصدر: مواقع التواصل الاجتماعي

العراقية الاسترالية

لعبة سيولة الزمن وتشظيه في "ضباب هرم لساعات ميتة"

للقاص والروائي العراقي علي لفته سعيد

طالب عمران المعموري

لاشك ان التنوع القصصي متأتي من ملكة الكاتب وقدراته الفنية في توظيف التقنيات في استعمال عناصر القص او الحكي وتشابكها فيما بينها لتكوين نسيج القصة وان هذا التنوع والتداخل بين عناصر القصة يؤكد انماطاً للسرد أو الحكاية .

ومن بين هذه العناصر "الزمن" الذي يتشكل في كل موقف وفي كل لحظة فهو الاطار الحافظ للعناصر وهو من الوحدات الاساسية في بناء القصة تضفي على القصة اشكالا من الفهم والتأويل هذا ما نلمسه في المجموعة القصصية "ضباب هرم لساعات ميتة " للروائي والقاص علي لفتة سعيد الصادرة عن منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

وقد رصدنا عنصر الزمن وكيف استعمله الكاتب في السرد والحكاية وكيف استطاع الوقوف على انواعه والتحكم في نسجها وان جميع العناصر الاخرى مرتبطة بالزمن ، شخصيات ،وفضاء واحداث .

أول مناصات المجموعة لوحة الغلاف وهي لوحة تجريدية للفنان ستيف مارتن المعبرة عن البعد الزمني عن شجرة يابسة مفتوحة الاشداق ذات جذور قوية موغلة في القدم وهي تموت واقفة، بالألوان الرصاصي والاسود، من حولها غيوم بيضاء بأبعاد تعبيرية ورمزية تعبر عن الموت والحزن والضبابية، أرى ان اختيار اللوحة لم يكن عفويا لتجميل غلاف المجموعة وانما جاءت عن قصد في مناصاتها المهمة في المجموعة والتي تعبر الى حد كبير عن محتوى قصصه .

وقد تتناسب مع عنونة المجموعة من خلال لعبة الاستخدام اللوني وطريقة توظيفها بقصد الطرح الفلسفي

وحضور الزمن وعلاقاته السردية واهتمامه الأكبر بما وراء المفردات وما تحمله من زخم شعوري لان التجريد شعور عميق بالأشياء واتخاذه كمنهج في التفكير.

العنوان (ضباب هرم لساعات ميتة) وهو العتبة الاولى للمجموعته القصصية ومستأنفا للوحة التجريدية عنوان يحمل (البعد السريالي) وثمة شعرية واضحة وانزياح لغوي يزيح المفهوم الدلالي ، محاولا وضع فلسفته التجريدية في ابداعه الانساني والنفوذ عميقا الى حقائق الاشياء يفتح لنا باب الولوج الى عوالم سردياته القصصية بألوانها الداكنة الذي يعبر عن حزنه الطاغي من معاني الموت والوجع والآهات.

ميتةٌ ثانية/ ميت قديم/ صراخ صامت / جثث حالمة /احتراق/

الزمن وبنيات النص:

مجموعته القصصية مفعمة بالزمن ،بدءً من العنوان وبعض العناوين الفرعية التي تحمل في طياتها البعد الزمن، بلغة انزياحيه ومفارقات لفظية وبثنائيات ضدية ومتقابلة، ضباب هرم/ ساعات ميته/ ساعات هرمة/ صراخ صامت/جثث حالمة/فكرة من الارض/ ما تساقط من صراخ/ رماد الحروف/ حوار في درجة الصفر/ظلال تائهة/ تسلسل الصهيل.

تنوعت الازمنة وتداخلت بين الماضي والحاضر وارتبطت ارتباطا وثيقا بالسرد اذ لا سرد بلا زمن وهذا الارتباط هو الذي منح الزمن أهميته في القصة بوصفها فناً سردياً اعتمد القاص من حيث حالة التداخل في جسد النص واضفاء الحركية والفاعلية وبث الروح فيه وهنا يكون "الزمن عاملا أكبر في عملية انتقال النص من كونه ظاهرة لغوية تجمع الخطاب والتبليغ وفي مستوى الدلالة

والرسالة والمقام الى نص ادهاشي كائن يتحرك في المعنى وينتقل بقصدياته ويتمحور حول ذرة التأويل ومعاني الفلسفة"1

استهل الكاتب مجموعته القصصية اولى قصصه بعنونة (ميتة ثانية لميت قديم) يحمل ملامح الزمن ومن الجملة الاولى الاستهلالية يكمن الزمن (خرجت لتوّي بجسدٍ آخر.. كان القحط يلازمني او هكذا أرى ..قضيتها لا لأرى، لا أسمع ، لا أتكلم.. كان السؤال معلقاً في ظلمتي"2

خرجت/ لتوّي/ يلازمني/ أرى/قضيتها/ أسمع/ أتكلم /كان

نلمس من خلال تلك الافعال المتضمنة للزمن المتغلغل في بنيته السردية شعورياً او باطنياً متجلياً في زمن ذي صبغة سريالية او تجريدية فلسفية تعتمد على اللغة ومن ثمة ينتج نصاً يحتمل التأويل، ارتباطه الشديد مع النص " النص مرتبط ارتباطا ديالكتيكياً بالزمن، والحواس"3

ويشكل الزمن اهم عناصره ويترتب عليه التشويق والايقاع والديمومة حيث اعتمد القاص انماطاً من السرد وترتيباً زمنياً متواتراً يجتمع في حياة شخصياته ويقف على مواطن متعددة من الذات الانسانية وخطاب الروح والوجدان ، حيث يعرض افعالا ومشاعر معروضة للمتلقي من ذكريات أليمة تتداخل معها ويصور لنا هذا الترتيب الزمني الواقع وصراعاته السياسية والاجتماعية والفكرية:

" لا شيء غير الظلام والهذيان ..لا أفرق بين الليل والنهار. الذاكرة تختزن أصوات الانفجارات وصراخي على الجنود أن أختبئوا..لا أحد يستحق الموت.. ولا تنتبهوا الى اللحظة الاخيرة" ص13

يروي لنا حكاياته بأسلوب قص تتعدد صيغ الزمن في مبناه الحكائي والتنقل عبر الزمن من الواقع الى الخيال او من زمن افتراضي يمكن ان تلمسّه من خلال وحدات النص الكلي الى زمن واقعي فهو نراه يصنع أزمنته المتخيلة من أرض الواقع الزمن المحسوس الى الزمن الملموس الذي يسعى الى نقله الى المتلقي :

"نور ساطع يوضح لي كل شيء أخضر وأزرق وحتى ألوان قزح، وثمة قطراتٌ حمر تخرج من قحفة رأسي فأشعر بثقبٍ هناك لا أتذكر بسببٍ من صار ومن أحدثه وكأنه ثقب برصاصة أو شظية أو بفعل هذا الرقاد"ص15

ففي هذا المقطع بناء وخلق زمن افتراضي في زمن واقعي هو زمن الحرب ، لكنه عمد على انتاج حكاية خيالية غير واقعية في زمن افتراضي وان هذا الزمن قابل للتصديق والتكذيب كون هذا الزمن يمتلك مدلولا مخيالي .

" ..غابت أجزاء من كفي ولحمة ذراعي، أخذ قدمي وربلة ساقيّ وجزءاً من أردافي.. كان الماء سريعاً وكلما كنت أتنفس وأرتوي كنت أشعر بنقصان جسدي.. أشعر بأن جسدي مندفعٌ مع موج سريع أحدثه فيضان عجيبٌ.. تمنّيت لو اصطدمت ببلمٍ من أبلام نهر الغراف.. بالساتر الترابي الذي كنت أنام في أحد ملاجئه.. بجذع نخلة أو حتى صخرة كبيرة لتكون مصداً فقد بدأ جسدي يتفتت وتكثر ثقوبه" ص16

فمن الواضح في المقطع اعلاه غرائبية السرد وشكلا تعبيريا اخر عن التيه والضباب والوهم وحياة كالحلم في عدم منطقيتها والتباس امورها، فينتقل السرد بشكل عشوائي لا منطقي بين المقاطع والاحداث بشبكة ترابطات بعيدة تحقق سريالية واضحة في النص .

الزمن النفسي

يتعايش الانسان متواصلا مع الاخرين ويشاركهم بما يمتلكه من خبرات ومعارف في زمنه الاجتماعي وينصهر معهم في الحياة وما يحمله من تصورات وافعال وسلوكيات ،حيث ان الفعل الصادر من الانسان مهما كانت بساطته لا ينطلق من فراغ وانما له دوافع داخلية في توجيه الفهم والسلوك خاصة في فعل الكتابة وبالتالي لما لها من دور في ظهور الزمن النفسي سواء عند الكاتب او المتلقي، لان هناك نزعات لا تحصى تبرز اثناء انتاج النص او تلقيه في اللاوعي التي تكاد تكون غامضة، تتفاعل الازمنة بما تتضمنه من رغبات وافعال تتبلور وتتشكل في بؤرة أكبر في عملية الفهم، القراءة والكتابة وبعدها يتوجه الذهن الى المعاني وتأويلها.

يعد النص حاملا للزمن النفسي ومرتبطاً بالحالة النفسية سواء للكاتب او المتلقي بدا من اللحظة الزمنية التي تتزامن مع الحالة النفسية التي تتولد فيها الفكرة والتساؤل النفسي والفلسفي في طرح رؤياه.

شكل الزمن هاجس للبحث الفلسفي من حيث انه " حقيقة مجردة وسائلة لا تظهر الا ن خلال فعلها في العناصرالاخرى"4 نلمس ذلك في اختيار لحظة البدء في استهلال قصته "ساعات هرمة" حيث يمزج وصف الحالة النفسية للشخصية بتصويره في الوسط الاجتماعي، التقاء الزمن النفسي والزمن الاجتماعي ويتلاقح بصور متعددة يشد القارئ ومحاولة في فهم ما فيها من اسرار انطوت فيها، تصور المدى النفسي للحكاية:

"الساعات الاولى التي مرّت لم تكن تحمل معها أية ملامح واضحة، فقد فقدت عذريتها في اللحظة التي انطلق فيه صوت الخوف داخل روحه، واستسلم لكلّ ما هو مطبق على خناقه.."

يتمظهر الزمن في الاشياء المجسدة وسيولته في صيرورته وسيرورته وما يحدثه من تغيرات (الحداثة السائلة)"ففي هذا الزمن تذوب المراكز الصلبة وتفسح الطريق لعولمة الاقتصاد وعولمة الجريمة واستلاب حقوق الانسان الشخصية والاجتماعية والسياسية باسم الحرب على الارهاب وموجة العنف والارهاب المحتمل...وتنفصل السياسة عن السلطة فيتلاشى اهتمام السياسة بالإنسان وما يتطلع اليه من " من عيش، حرية، عدالة اجتاعية"5 وارتفاع رصيد المخاوف نتيجة غياب العرف ومنظومة الاخلاق الاجتماعية.

تبدو لنا هذه التغيرات جلية وواضحة رغم خفاء التأثير، فهو موجود في كل مفاصل حياتنا يرسم لنفسه عمراً متجاوزا حدود التجسيم موجود فينا وكائنا بنا وبتمظهر نفسي غير محسوس نرى آثاره هنا وهناك :

"كانت الفراشات تحوم حول رأسها وتمنحها عطر اللحظة التي تفوق العمر كله.. كانت تنظر اليه وتريده أن يقابلها بذات النظرة، وتدرك انه متعب ومترب، تراه يحسس العرق اللزج بين رقبته وشعر رأسه"ص24

فالماضي هنا يمثل الزمن النفسي في القصة وتفرعاته النسبية تجمع بين الاوضاع السردية والحاضر داخل السرد وهو زمن القاص ورؤيته للعلاقة بين الماضي والحاضر .

القاص علي لفته سعيد في مجموعته القصصية يظهر براعته القصصية في تقطيعه المتميز للزمن المتعارض مع التسلسل التعاقبي من انحراف وتشوهات الزمن في تحقق المتعة والادهاش يتجلى فيه دور الزمن في جماليات القصة الحديثة وانتاجها الدلالي .

.....

المصادر

علي لفته سعيد، فهم الزمن ودلالته في النص السردي ،ط1، دار الوارث للطباعة والنشر ،د.م،2020 ،ص43 .

علي لفته سعيد ، ضباب هرم لساعات ميتة،ط1 ،بغداد، اتحاد الادباء،2021 .

أدوارد سعيد، العالم والنص والناقد ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 2000 .

سيزا، أحمد قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ط1، 1984،ص:27

باومان، زيجمونت، الازمنة السائلة، ت حجاج ابو جبر تقديم هبة رؤوف عزت،ط1، المكتبة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017.

السرّ [*]

(إلى مَن كانت فاطمةً في الاسم والصفات والحبّ والغياب)

فراس حج محمد/ فلسطين

الأحلى

لأنّ الشاعر مهووس بحبيبتهِ — **شفة من شفة تروى**

باسم حبيبتهِ — **كي يتلوَ أنغامَ حبيبتهِ**

من بدء البدء إلى أن تزهر في القلب

مروج حبيبتهِ — **لا شيء يشبهه في عينيه حبيبتهِ**

فاءٌ ألِفٌ طاءٌ ميمْ — **"كلّ شيء موقّع فيها حتّى**

والختمةُ تاءُ حبيبتهِ — **لفتة الجيد واهتزاز النهود" [**]**

"إنّها أحسن الأشياء طرّاً" [***]

الشاعر مهووس حتّى... — **حتّى**

بشكل حبيبتهِ — **انتهاءُ**

بطول حبيبتهِ — **النشيدِ**

بلون عيون حبيبتهِ — **هي كلّ هذا الكونْ**

بكلّ كلّ حبيبتهِ — **فليس له إلّا أن يسجد في ولَهٍ**

يعلن للدنيا قاطبةً:

يتخلّى الشاعر عن: — **اللهَ، اللهْ**

رصانتهِ — **الجنّةُ في دفء حضن حبيبتهِ**

ورزانتهِ — ========

وهدوء الليلِ لأجل جنون حبيبتهِ — **الهوامش**

يرضى أحجار حبيبتهِ — **[*] من الديوان المخطوط، قيد الطباعة "على**

يضحك مسروراً من شتم حبيبتهِ — **حافّة الشعر: ثمّة موت، وثمّة عشق",**

[**] بيت شعر لأبي القاسم الشابي من

لأنّ الشاعر لا يكتبُ إلّا لحبيبتهِ — **قصيدته "صلوات في هيكل الحبّ"، والأصل**

من أجل حبّ حبيبتهِ — **"موقّع فيكِ" (أغاني الحياة، ص 185)**

ولأجل أن يكبر في عيني حبيبتهِ — **[***] جملة من بيت للشاعر ابن الرومي**

لأنّ الشاعر يحيا على نطق اسم — **يصف المغنّية وحيد، وتمامه: "يسهل القول:**

حروف حبيبتهِ — **إنّها أحسن الأشياءِ طرّاً ويعسر**

خمسة أكوان تحتلّ اللعس الشهديّ — **التحديدُ" (الديوان، ج1، ص 493).**

"برقيات جنوبية"

ميثاق كريم الركابي/العراق

(لا اريدني جميلا يغريكِ..أريدني رجلا يسعدكِ)
وما الضرر إن كنت جميلا يغريني و رجلا يسعدني بكل مواسم العمر
تسعدني حين تترك صوتكَ على نافذةِ صباحي
فيتخمر بحكايا نسائمي حتى يتحول ليلا الى قمر
يدخل على ليلي بكل غرور الأباطرة
تسعدني حين ترش ملامحي عطرا على قميصك
فتغدو الطرقات كساحات رقص
تتيبس قلوب نساءَك ويتطاير منهن كل غبار اليأس
تسعدني حين تدفن حزن الوطن وتكتفي بتقبيل شفتي
حين تخفي طعنات الصداقة بوشاح روحي
فلا أجمل من عشق يكبر بين قصيدتين
ولا أجمل من إمرأة تزهر بين عناقين
يا رجلا أتعب قلوب النساء بحسنه وأتعبته بدلالي
يصقلني الشوق كلما شربت ماء وجهك
وتتمكن مني كل تفاصيلك
تخرج من جلدي الف وردة و قصيدة
كن رجلا يغريني ويسعدني
يجفف دمع العمر بمنديل الوفاء
يضمني بين ذراعية اعجوبة لا تعرف الإحتضار
يجعل الموسيقى تتسرب من ضحكاتي
يرجعني لملاحم الطفولة
يمنحني كل عطاء السنابل
يداعب أيامي بفجر الأعياد
يحتفل بي كلما وهبته صلاة ينابيعي
كن جميلا من أجلي...
وحده الجمال من يستر عُري خيباتنا وانكساراتنا
وحده الجمال من يسقط عن كاهلنا أحزان الحروب
وحده الجمال من يكتبنا أخبارا عاجلة بصحف الفرح
تعال..لنتبرع بما ذهب منا
ليكون الشعر على قيد العشق
لننسى سماسرة الحروب ولصوص الأحزاب
وخطابات الحكام و شر العمائم
تعال لنعيد لهذه البلاد كل حلاوة البدايات
نُسقط من تقويمها كل خريف الحروب
نُضمد كدماتها بالعشق
وحده العشق من يمنح الشعوب الحياة
وحدها الأغاني من تعيد الأمل لبهجته
النيازك التي سقطت مني عند أول قبلة
سأنثرها على دجلة و الفرات ليشرب الناس صوت العشق
كل زهور حواء التي ذبلت على يد القبيلة
تعود للحياة والخناجر تتحول لأشجار آس
كن رجلا جميلا يغريني ويسعدني
فزمن العراق عليل
زمن الشعراء نحيل
زمن العشاق بخيل
واريدك زمنا آخر يمنح جنوبي كل ملامحم الشعر
الريح التي لا تبعث عطرك أغلق أبوابي بوجهها
والصباح الذي لا ينجب وجهك أعيده لغياهب الليل
والقصيدة التي لا تغازلك أتركها مع الأغنيات المنسية

أنصار يرتقون

كفاح الزهاوي/ السويد

كانت الحياة على هذه النقطة من الأرض باهتة كصرخة طفل أصم، تفوح منها رائحة الفناء. حياة ذابلة كأوراق الخريف على أرصفة الصبر، ولولا وقع خطانا وصرير أحذيتنا ولهاث أنفاسنا ودقات قلوبنا المتدفقة لأعلنت الحياة عن نهايتها. انها رحلة موت مؤجلة.

قبل ان تنشف الدماء التي سالت في حرب عبثية راح ضحيتها أكثر من مليون انسان، وقبل ان تتنفس الثكالى الصعداء، قام الطاغية بزج جيشه في حرب داخلية طاحنة ضد أبناء شعبه تحت اسم الأنفال، هذا الاسم الذي مصدره آية قرآنية مات بسببه الاف الابرياء واحرقت آلاف البيوت وتهدمت قرى بأكملها، واستخدمت بها أنواع الاسلحة الفتاكة بما فيها الكيماوية.

كنا نسير عبر السهول والأراضي الزراعية الشاسعة وعيوننا تلتقط صوراً مؤلمة عن النباتات التي لوثتها صولة الأنفال واخلتها من مزارعيها. كنّا نادرا ما نلتقي بكائنات حية على طول مسيرتنا، فلم نرَ إلا بعض الأبقار والدواجن الضالة. وحتى الصمت تَفَتَتَ من دوي العنف وقساوة الحرب وتمزيق الأسر وتشريدها في ذرى الجبال البعيدة طلبا للنجاة من الموت الذي اختلطت رائحته بالهواء بحيث غدا استنشاقه إيذانا بانتهاء دورة الحياة.

حال دخولنا إلى فناء أحد الدور، وقعت عينايّ على الفوضى المنتشرة في الأرجاء، الأشياء مبعثرة على الأرض الطينية التي كانت تحمل آثار احذية ربما تعود الى رجال غرباء، قد يكونون من الجحوش والجيش ساعين وراء الأبرياء من الفلاحين. وكانت هناك على السُفرة المفروشة على الأرض حيث تتناول العائلة طعامها، صحون معدنية فيها بقايا من طعام أفسده الذعر والرعب. في كل زاوية من زوايا الغرفة الطينية الفاقدة للضوء، تجد آثار خوف وصراخ نجاة. انتعش العنكبوت في غياب أهل المنزل ونسج لنفسه كمائن عديدة حتى شعر انه المالك لهذا الدهليز المتروك، معلنا بناء مستعمرة له فهيمن على صمت الغرفة.

تابعنا مسيرتنا الشاقة ومعدنا خاوية والجوع يصرخ في أحشائنا صراخا جنونيا كالهواء. كنا نقطع مسافات طويلة عبر الطرق الجبلية الوعرة والوديان العميقة والسهول الواسعة. لم تصادفنا اية قرية حتى وصلنا الى هضبة تطل على احدى القرى المهجورة من سكانها، الذين هربوا خوفاً من البطش والاعتقالات العشوائية الشبيهة بالممارسات النازية.

كانت القرية تقع على منحدر تلة، وتضم ثلاثة بيوت غير مهدمة ومخفية عن الأنظار نوعا ما، ولكن ليس عن الجحوش الذين كانوا على علم بكل تضاريس المنطقة. كان الفضاء المرتعد في حالة انذار كما لو انه يوحي لنا عجزه التام عن حمايتنا. كان الجميع في حالة تأهب قصوى لمواجهة حدث مفاجئ أو سقوط غادر، وحتى الأشجار والحيطان نمت لها فجأة آذان وحدس.

نزلنا إليها بحذر وحيطة. الهدوء كان حضوره كئيب. والبيوت خالية من البشر. فمسألة سد الرمق من المهمات الأساسية في ديمومة البقاء وكذلك القدرة على التركيز والسير طويلا. فنحن نحتاج الى طاقة مخزونة. أصبحنا نفكر كما الجمل وهو يقطع المسافات في صحراء قاحلة وتحت شمس لاهبة. أغلب الأنصار خرجوا مبكرا من القرية وانتشروا على القمم في انتظارنا، بينما بقينا نحن الخمسة في القرية.

قمت بتحضير بعض الطعام من المواد المتروكة هناك. وجدت كيس حليب نيدو ولحم معلب عليه صورة بقرة، وضعته في الحال في حقيبتي الظهرية. عثرت على كيس طحين كان على رف خشبي وملطخا بالدهن الذي تطاير من القدور والطاوة أثناء الطبخ، إضافة إلى الأتربة والغبار.

المطبخ الصغير لم يكن في أحسن حال، ولكن أدوات الطبخ كانت كافية لطبخ الرز، اخذت قدر عميق ووضعت الطحين فيه واضفت الماء والملح وشرعت بتحضير العجين. وبعد نصف ساعة قمت بصنع قطع عجين متساوية الوزن على شكل كرة. انتظرت عشرة دقائق وبعدها قمت بوضع العجينة على الصاج الحار بعد ان وضعت الحطب تحته واشعلت النار الى ان أصبح الصاج حاميا جدا. وبعد ان انتهيت من عملي في صناعة الخبز، قال النصير نامق: هيا بنا هناك من ينادي ويطلب إلتحاقنا بالمفرزة.

جمعنا الخبز وأسرعنا الخطى. وبينما كنا ندنو نحو التلة هتف بنا من بعيد أحد الانصار:

*أسرعوا الجحوش وصلوا وهم على مقربة من القرية.

كان علينا الخروج من المنحدر والصعود الى التلة التي كانت تبعد عن القرية بحوالي خمسين مترا، وما ان خرجنا من القرية حتى بدأت المنحدرات بالزوال وأصبحنا مكشوفين امام العدو. قطعنا المسافة القصيرة والتقينا بالنصير الذي كان واقفا على التل ويقول:

*أسرعوا.

وفي هذه الأثناء وإذا بأصوات أخرى تتناهى إلينا من بعيد من الجهة المقابلة للتل. كانوا ينادون علينا ويطلبون منا التوجه إليهم من خلال الايماءات والاشارات بالأيدي. لم يبق أمامنا سوى الصعود إلى قمة التل والهبوط منها إلى الجهة الثانية والاختباء خلفها. وهتف النصير مع إشارات بيده من فوق التل:

-أسرعوا هؤلاء هم الجحوش.

ركضنا بكل ما اوتينا من قوة الى ذلك المرتفع، وما ان صعدنا السفح حتى طفقت الرصاصات تمطر علينا وأزيزها يخترق مسامعنا. شعرت بثقل الأرض تحت أقدامي وكأن مغناطيسية الأرض تحولت الى مكنسة كهربائية عملاقة تسحبنا الى عالمها المظلم. كانت تلك الثواني المعدودة خط فاصل بين الحياة والموت. التل لم يكن مرتفعا، لم يتطلب سوى سرعة الجري وتوسيع الخطوات.

الشمس تبعث بحرارتها القاسية كالجحيم فتجعل من بنادقنا الحديدية أدوات تعذيب إضافية. في تلك اللحظة ونحن أمام فوهات وبنادق العدو المصوبة إلى أجسادنا. ومن جهتنا الخلفية فتح الأنصار النار على الجحوش لفتح الطريق لنا وتسهيل عملية العبور. بعد ان تحصنّا خلف ذلك المرتفع شرعنا بإطلاق النار عليهم. ثم قامت المفرزة بالتراجع بينما كان هناك نصير لديه قناصا. كان يطلق على أي شي يتحرك من بعيد بحيث أصبحنا في أمان حتى وصلنا الى بقية القافلة وسرنا باتجاه الجبال الشاهقة. كانت تلك اللحظات ممزوجة بمشاعر الاثارة والتحدي والخوف. ثم اكتشف النصير الذي كان ينادي علينا من فوق التل ان شروالة كان مثقوبا برصاصة أطلقت باتجاهنا من قبل الجحوش. فعلّق أحد الأنصار:

*هذه هي فوائد السروال الكردي، وإلا جان هسه كل قلاقيلك طايرة.

في الطريق عثر الأنصار على طفل ضال في إحدى القرى المهجورة. كان عمره خمس سنوات، وقد تُرك في غمرة الفوضى والهجوم الهمجي التتري. النصير محمود حمل الطفل على ظهره ورعاه حتى وصلنا الى الحدود التركية، التقينا ببعض الفارين من تلك القرية الذين تعرفوا على الطفل ومكان تواجد والديه، فتركناه عندهم واستمرت المفرزة باتجاه الجبال الايرانية...

وفي الجانب الآخر، كان الطاغية وحاشيته في جوٍ احتفالي، يجلسون الى الطاولة التي تحتوي على ما لذ وطاب، وينفثون من ثغورهم سموم الحقد والرذيلة. يتحدثون عن جرائمهم الشنيعة بحق الأبرياء وحرق قراهم ومزارعهم، وكأنهم يروون حكايات خيالية أو يسردون أحداثا لِفلم كوميدي ساخر، فيشعرون بالنشوة عند مشاهدة جثث الأطفال والنساء والشيوخ المنتشرة في كل مكان، يحتفلون ببطولاتهم في دفن الأحياء في قبور جماعية، والطاغية يرفع كأسه متبخترا بنصره العظيم الذي يبعث على الغبطة والانشراح، ويطلب الاستماع الى المزيد من القصص والمغامرات الشيقة، فينبري أحدهم ليروي له قصة الراعي الشاب الذي تم نقله بواسطة طائرة مروحية (هليكوبتر) وعلى ارتفاع اربعة كيلومترات، وكان يشعر بالأسى نحوه لأن المواشي بقيت لوحدها

*سيدي القائد فتحنا له الباب وطلبنا منه من هذا الارتفاع الشاهق ان يطير بسرعة ويذهب إلى مواشيه.

فساد الصمت لبرهة، ثم دوت ضحكة هزّت أركان القاعة فجرها الطاغية، ثم أعقبتها قهقهات مصطنعة من أفواه الحاضرين.

لقد حَصدوا أرواح الناس وزرعوا مكانها سموم الموت والتهجير وأشعلوا نار الرهبة في كل شارع وزقاق حتى الطيور والعصافير توقفت عن الطيران والغناء.

بدأ الظلام يزحف إلينا رويداً رويدا، وهذا ما كان يراودنا طويلا ونحن نشق دروب الجبال منذ الصباح.

1- أطلق مصطلح الجحوش على رجال عصابات الكُرد الذين كانوا يعملون كمرتزقة مقابل المال مع الجيش لضرب الحركة الانصارية والبيشمركة المعادية للنظام.

عماد نافع يحاكي الفن الابداعي روحياً وبصريًا في فضاءات رحبة (المستشكيل)

بقلم:د. دنيا الحسني

إن تجربة الفنان التشكيلي والمسرحي العراقي "عماد نافع" بتعدد روافدها الإبداعية والفنية، تشكل فيضاً بليغاً من ينابيع التعبيرالرمزي في التجريب التشكيلي بالمزاوجة مع المسرح الذي أتخذه أسلوبًا ومنهجاً فنيًا جديدًا، يقدم من خلال محاكاة رموز تعبيرية ويثير تساؤلاتها البصرية فوق المربع "المستشكيل" في تجربة كأنها الخيال لينقل المشاهد بصرياً للوحة " الهروب من الله " من معرض " اشلاء من جسد السماء , قاعة رواق الحصن في الاردن / اربد عام 1995 ,وهي عبارة مشهد مسرحي بصريح التجربة التشكيلية، لذا نجد الحركة المسرحية لتحولاتها من خلال لحظة (الهروب الى الله) من خلال كسر الاطار التقليدي للوحة وخروج " الفكرات" نحو الفضاء الارحب , وهنا يستثمر الفنان عماد قدرته الفائقة في الرسم والنحت ,ليرسم لنا حركية مثيرة لعائلة التهمها الانفجار , ولم يتبق منهم سوى اشلاء بسيطة شكلت محور اللوحة التشكيلية على خامة الرسم , وذاتها خرجت الى الفضاء الخارجي طالبة المعونة من الله .

ومن خلال لوحة (الهروب إلى الله) نجد الإبداع واضح ويجسد قوة الرمز في لغة فنية مفتوحة على مستوى يتجاوز السقف الفني إلى الحداثة إضافة لكونه تشكيلياً فهو يمتلك كامل الادوات التي تكمن في فضاء الفلسفة والإبداع، ورهافة الإلهام وبصمت، وبلاغة كاشفة عن معاني وحدة الوجود، التي تقتنص الإحساس بغربة الروح في منافي الأرض، والذي يبسط سيطرته على كامل المساحة في وجداننا الحسي بآفاق الوجود ، فهذا الجسد هو ليس غير غلاف مادي لذواتنا، ودليل وقع حضورنا المؤقت في هذا العالم. حيث أهتم هذا الفنان في كل منحوتاته بالرموز المفتوحة التي يعبر من خلالها عن الغاء مظاهر التفرقة والعنصرية بين البشر فكل الناس متحدون في بنية الجسد ومتساوون في التكوين الإنساني .

"الحوار الفني"

هذه اللوحة التي يجسدها الفنان "عماد نافع" تشكل جسرًا للحوار الفني مع الرؤية البصرية، افاضت بوحاً لونياً أيقونة بصرية عميقة تسكنها مغامرة مفتوحة على جمالية الخيال التي تؤمن إمكانية القراءة والتأويل، والامكانية التعبيرية تنصب على عدة عوامل فنية مشتركة ومنسجمة من حزمة معرفية واضحة ومميزة، معبرًا عن رؤية ذاتية رصينة لا تنقصها روح المغامرة. لهذا تجده يرسم (بديناميكية) وهو ينفث في لوحته روح نابضة بالحياة ليشكل حركتها الذاتية . آي يوظف المستشكيل "عماد نافع" لمسته التعبيرية الرمزية التي يجيد تشكيل ألوانها بمهاره في عمل لوني وتشكيلي درامي، إلى جانب استخدام أدوات وتقنيات جديدة ، من خلال سرده لتكنيك هذه الأعمال في نطاق مسرحي يتبنى أسلوبه الخاص في الحداثة والمعاصرة، والمحافظة على معنى الأصالة والجوهر، الذي يغور في أعماقه مع حرصه على تجديد مصادر الالهام لرؤيته في مصطلح (المستشكيل)، وهذه اللوحة على مافيها إنطباع متوهج، تستقي مادتها البصرية الحيوية من خلال فسحة

الخيال في تجسيد فكرة هروب الأرواح الميتة في حياتها التي لم تعد تحيا وجفت عروقها كأنها خشب مسندة تطايرت الى فضاء السماء السابعة، فتنفذ من أقطارها هروبًا وتلجأ إلى(الله) سبحانه وتعالى، وكآن الايحاء يدور إلى ما وراء الطبيعة أو الميتافيزيقيا التي تفترض فلسفة وجود عالم الروح. وهكذا إستعرض معنى التزاوج بين الرسم والنحت الذي يوحي الى لمسه فنية ساحرة تاخذك الى الفضاء الخارجي بعيدًا عن اللوحة .

"المزاوجة بين التشكيل والمسرح"
"الفضاء السابع"

الخروج عن اللوحة التشكيلية لم يكن الهاجس الوحيد للفنان "عماد" ولكن هدفه كان ابعد من ذلك, مادام الخروج الاول لم يفك أسرار الثابت وغير المتحرك, وهنا جاءت التجربة العالمية "الفضاء السابع , ليتحول بها النحت الخشبي الى جسد بشري ...يؤدي كممثل جسد على خشبة المسرح, لتتكامل التسمية المركبة."مستشكيل", بمختلف مساحاتها المتحركة .

إن هذا الفنان التشكيلي البارع الذي يستثمر كل البلاغة التركيبية والاستعارات الدالة على معنى الحرية في مسحة جمالية بليغة، لا يتوانى على ابراز دور المزاوجة في عمله الفني بين التشكيل والنحت وما لهما من فروقات وتباين في المعالجات الفنية، وإن تجربة المستشكيل هي اللوحات الفنية التي تتمرد على واقعها الساكن والجامد لتقتحم عالم الحركة في المسرح عبر لغة الجسد (البانتومايم)،، لأن منحوتاته بالتشكيل المفتوح الذي يكثف دلالتها المتداخلة بين السكون والحركة ولما تحمله هذه اللوحات من صفاء الإشارة وخفة التعبير ، تسندها رؤية فنية أوعزها الفنان بشكل فني حركي تشكيلي مسرحي مزدوج فهو

نحات وتشكيلي محترف ينحت بعدة معرفية مؤهله للارتقاء لتمتد إلى المستوى الفني العالمي، إلا أن اللافت في تجربته هذه تداخل بين الفنين : فانك تحسه ينحت خارج اللوحة ويرسم أو يشكل منحوتاته، يمسك الإزميل مع الريشة، يبحث عن ظل اللوحة المنحوته وضوئها عبر سبر أغوارها الغائرة في طيف الألوان الجذابة، كي تصير نيرة وبارزة الرغبة في إختراق

أفق كل ماهو جميل ومثير، وهو ما جعل المستشكيل يوظف لوحاته كخلفية لمنحوتات متسمة دائما بشفراتها (الاستطيقيا) التي هي احتفاء معرفي بالجسد، كعلامة رمزية باذخة تشكل تمثلتها انثروبولوجيا روحية.

"ملحمة مسرحية "

من خلال لوحاته التعبيرية الموغلة في الرمزية رحل بنا الفنان "عماد نافع" إلى عوالم ممتدة لا حدود لها من الخيال والحلم بطريقة ابداعية تأسر الناظرين باسلوب يبرز فيه البحث التشكيلي الدؤوب للفنان عن جمالية مميزة في اللون والشكل في حركة لا تخلو من نغم وإيقاع هادىء وانسيابي لا حدود له. كما في تجربة لوحة (الشهيد) أشتغل الفنان بشكل فني مزدوج يستدعي من خلاله ملحمة مسرحية حيث تخرج خامة الرسم البيضاء الطويلة جدًا عن الإطار التقليدي وتلتف بالشاب الشهيد وتلتف كذلك بأم الشهيد والجسد متحررًا متمرداً منطلقاً، ومع ذلك يخضعه لسلطة واحدة، هي سلطة الارتقاء بين الالوان التي تكمن أهميتها لتعبر عن ملامح اللوحة. وجسد الشهيد بعد خلاصة تجربته التشكيلية ومعالجاته بالألوان الزيتية، أو الاكريلك، اذ نتأمل اللمسة الفنية ونكتشف جمالها وهذا ما يهب عمله الفني نضجاً واكتمالاً مميزًا، مما يؤهل صياغة رؤية نقدية واسعة، وتبرز في أعمال المستشكيل "عماد نافع" نسقاً إيقاعيًا تتحرك اللوحة بصورة حركية وغنائية ما يجعل تأثير اللون هنا يشبه تأثير الموسيقى، من حيث كونه لا يخضع لقوانين ثابته ليتحرك كل شيء باللوحة التشكيلية داخل وخارج الإطار، وهنا جمهور التشكيل يتعامل مع الشكل والمضمون كلوحة تشكيلية وجمهور المسرح يشاهدها عرضًا مسرحيًا، كي يخرجه من عالم السكون إلى الحركة ومن الصمت إلى الكلام، وكأنه يرفد في أجساد الشخوص الطاقة التي تعبر عن الحركة والحوار من تجديل الألوان، والفضاء يفتح أفق التلقي على الشعور لكونه في رحلة روحية بعيدة وقريبة المدى في آن واحد، وبلحظات مختلفة.

قصه قصيره

حبيبه

حمزه العامر

أبي ذر الغفاري واحة الشيوعيون في صحراء الإسلاميين المكان هو السيده زينب في ضواحي مدينة دمشق هذا المقهى الثقافي يتردد عليه العراقيين وهو متنفسهم الوحيد على الرغم من محاولات الإسلاميين إغلاقه بدون جدوى وأغلب اللذين يأتون من اوربا يكون هذا المقهى ملتقاهم.

انا وحيدر المله من الناصريه وسيد علاء (الروزخون) من كربلاء كنا نرتاد هذا المقهى كل ليله تقريبًا دخل في تفاصيل الحديث شخص لانعرفه وبدأ بتعريف نفسه على أنه يعيش في اسبانيا برشلونه وجاء في زيارة دينيه لبضعة أسابيع بعدها يعود هو في نهايه الاربعينيات من عمره ملامح خريف العمر ظهرت من خلال التجاعيد أو الشعر الفضي
(الدرويش) لم يقل باسمه ابدا وهذا اللقب نحن من اطلقه عليه مفتخرا أنه من الفدائيين الذي حاربوا مع الفلسطينيين في حرب الاستنزاف جنوبي لبنان في سبعينيات القرن الماضي.
هذه المعلومه حركت شي في داخل حيدر المله وانتفض بعصبيته المعهوده قائلاً اخي كان فدائيا أيضا
أجاب الرجل الغريب اذا كان في نفس فترتي حتماً سوف اعرفه
ومن يكون
حازم.....
بسرعه ومن دون مقدمات هل تقصد حازم المله
نعم هو بلحمه وشحمه ضحك حيدر بقهقه وقال مفتخراً رافعا ياقة قميصه إنه أخي الأكبر

الدرويش بدأ بسيل من الاسئله فقط ليتأكد
قال حيدر .... اخي شيوعي قديم وهو من اول أفواج الفدائيين الذي حاربوا في جنوب لبنان سنة 1975
واردف الدرويش قائلا كان شاعراً فذا ومتمكن من لغته توقعنا أنه أعدم أو توفي
ومن قال إنه توفي هذا ما قاله حيدر
هل تقصد مازال حيا
نعم كما قلت مازل مجنونا يذرع شوارع الناصريه ويفترش ساحة الحبوبي كملاذ دائم وبعض أصحاب المحلات يتناوبون بالعناية به ولايطلب الشي الكثير سوى جريده أو مجله أو كتاب وقلم
ساد الصمت المطبق وبدانا ننظر واحدا للآخر
قال الدرويش متحدثا بجدية تزوج أخوك من ممرضه لبنانيه من أصول فلسطينية تعمل ممرضه مع الفدائيين وصارت بينهما علاقه عاطفيه وتزوجها بحفله خاصه وصغيره
ساله حيدر واين هي الآن ،؟ أجاب موجوده بالشام تعمل رئيسة الممرضين في مشفى دمشق التعليمي وكيف الوصل هل لنا أسمها الكامل
نرجس مسؤولة الممرضين هنالك
****
بقينا حتى ساعه متاخره من الليل وأتفقت انا وحيدر المله أن نذهب في اليوم التالي وحدث فعلا
سألنا على الاسم أتت الينا بكل برود وقالت
حازم كان يحلم أن تكون له بنت يسميها حبيبيه

هذا الاسم اثار فضول حيدر بل دهشته
اها..... قالها حيدر طويله وبصوت مرتفع
هذا الاسم لطالما ردده اخي ونحن. نسأله من هي حبيبه
تارة يقول انها الحلم وتارة أخرى يقول حبيبتي
ومرات يقول ابنتي كنا نقول:
أنه مجنون لاعليكم به هذا ما يقوله حيدر أما حازم فكان دائمًا يقول (بعدين تعرفون)
وها قد ربط حيدر كل الخيوط

الدرويش قال بعد تغليف حازم وهذا المصطلح الذي يطلق على الشخص المعتقل ولدت زوجته توأم ولد وبنت حبيبه و علي.
انتهت حرب الجنوب بالهزيمه كالعاده وتفرق الشمل الكل رحل إلى عواصم الدنيا يحمل معه خيبته أو ذكرياته.
***
أتفقت انا وحيدر المله بزيارتها إلى المستشفى
سألنا على الاسم أتت الينا بكل برود وقالت بدون مقدمات لأنها عرفت بمقدمنا من الدرويش هذا على مانظن
انت متأخر عشرون عاما بالتمام و الكمال
قالت بعد اعتقال حازم انقطعت أخباره تماما سالت عنه بالسفارة العراقية في بيروت قالوا لايوجد عندنا هذا كيف وانا عندي ولدين منه....
وهي تبكي بكاءاً حارا ولايكاد أحد يعرف انها تبكي ولكنا كانت قويه واثقه من نفسها أو متكابره.... قالت ذهبت إلى الكويت ومنعوني من الدخول ولكن بعث رسائل إلى الناصريه أسأل مثل المجنونه لا أحد يعرفه أو بالأحرى لا احد يريد أن يعرفه..
رجعت خائبه وعندي أمل أن يرجع ولكن سنه بعد سنه والاولاد يكبرون والحديث لها
قالت .... تقدم لي شخص يعرف حالتي يعمل في التلفزيون السوري تزوجنا وتم تسجيل الاولاد على أنه والدهم الحقيقي وبحصره لا تخلوا من الدمع قالت إنه ضرير ويحبهم مثل أولاده بل هم أولاده

سال حيدر هل أقدر أن التقي حبيبه أجابت نعم هي تعرف أن أباها عراقي وهذا الذي على بطاقتها ليس الاب البايلوجي
يعني حبيبه تعرف هذا سهل الأمر كثير
وكيف عرفت ...أنا سألت
قالت...
(ستها)...اي جدتها أخبرتها عندما أتمت الثامنه عشرة من عمرها.....ودعتنا ببرود مطلق وقالت هذا أخر لقاء واتمنى أن لا أراكم أما أنت موجهة سبابتها بوجه حيدر تستطيع أن تلتقي حبيبه انها تعمل مساءا في مكتبه لبيع الكتب وتدرس في كلية الآداب صباحاً وانا افضل أن تذهب إلى مكان عملها...أما علي فهو الآن يمتحن بكالوريا عليك الإنتظار بعد الامتحانات احتمال يتأثر بذلك أنه شبه أبيه أنيق ولبق ولا أبالي وعصبي
غمز حيدر بطرف عينه وضحك ضحكه
خبيثه وقال:
آثار(الشيسمونه) مبين كلش قاصداً الجينات لانه الشيسمونه قوي ويثبت عراقيته بل وشروقيته أيضًا
بدون وداع أو استئذان
قالت رجاء عندي عمل اريد ان اذهب
في طريق العوده بين فرح حيدر المله وبين قلقه أن يرى أبنة أخيه للمره الاولى
قال لي نلتقي غدا عصرا أمام باب السيده حتى نذهب لنرى حبيبه....لم ينم قط هذا ما قاله لي
في طريق الذهاب الى مكان عمل حبيبه وقف حيدر في باب المكتبه متسمرا ما أن دخل سألها ابحث عن كتاب وليمه الاعشاب البحر
سألته من مؤلفه فقال حيدر حيدر وان اسمي حيدر ضحك بعدها ضحكه خجوله
قالت هذه الكتب غير موجوده هنا اذهب الى وسط البلد ستجدها
خرج هاربا ولم يستطع الكلام
عاودنا الكره في اليوم التالي ولكن بحزم أن يقول لها لماذا هو هنا
ما أن هم بالدخول حتى هي بادرت بالكلام من انت وماذا تريد
أنا عمك .....هذا ما قاله حيدر المله
سكوت مقيت لفتره قصيره لكنها طويله
قالت حبيبه
تعرف أن صديقتي قررت الإتصال بالشرطه وانا رفضت وقلت لها هذا الرجل أحسه قريب عليَّ
بكت بحرقه وحضنت عمها وكأنها طفله
طال اللقاء أكثر من توقعنا قال لها حيدر ...
كان والدك يعمل في مكتبه في الناصريه
إجابته وانا اكتب القصه القصيره مثل أبي
قالت اريد ان ازور ابي
انا تدخلت بالموضوع وقلت إن شاء الله عن قريب لكن حيدر المله قال لها ابقي على ذكرياتك الجميله ولاتخربيها...
التقوا مرات عديده ولكن علي رفض لقاء عمه انا تركت سوريا ووصلت استراليا وحيدر سافر إلى بيروت وانقطعت كل اتصالاتي بحبيبه.

- في عام 2000 وفي شتاء قارص توفي حازم وهو يحضن جرحه
- عام 2010 توفي حيدر بسكته قلبيه...
- ضاعت اخبار حبيبه فقررت أن اخلدها....

سكوت فيتزجيرالد

بين بنجامين وعصر الجاز

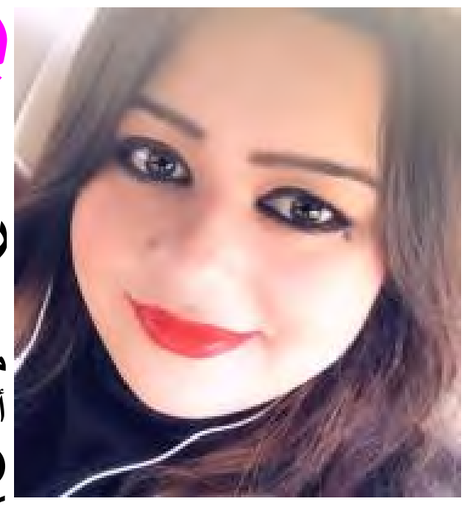

رند علي الأسود العراق

كانت اولى معرفتي بصاحب غاتسبي العظيم سنة 2018 من خلال عملي في دار المدى التي صدر عنها أغلب أعماله واعمال زوجته زيلدا فيتزجيرالد مثل روايتها (شاركني هذا الفالس)، عندها تنبهت الى اهتمام شريحة كبيرة من القراء بأعمال أحد أعظم الكتاب الأمريكيين.

ولدَ فيتزجيرالد عام 1896 في سانت بول ، مينيسوتا لعائلة من الطبقة الوسطى الميسورة، وكان والده فرنسيس سكوت كي (كاتب كلمات النشيد الوطني الأمريكي)، كشفت سنوات نشأته وتكوينه عن ذكائه الإستثنائي في طفولته وعن إلمامه الشديد والمبكر بالأدب وحرصت والدته الشغوفة به على ان يستفيد ابنها من جميع مزايا النشوء والتربية في الطبقة الوسطى ميسورة الحال.

كتب فيتزجيرالد أربع روايات هما كان لها أثراً في نفوس القراء العرب والأجانب وترجمة إلى عدة لغات إضافة الى ان بعضها تحول إلى افلام سينمائية مثل رواية غاتسبي العظيم ومن رواياته : هذا الجانب من الجنة، الجميلة والملعون، والليل رقيق. إضافة إلى خامسة لم تكتمل وهي حب التاجر الأخير، والتي نشرت بعد وفاته.

ها أنا معكِ والليل رقيق
ولكن هنا لايوجد ضوء،
ماعدا مايهب من السماء مع النسيم العليل
من خلال ممرات مظلمة نضرة ودروب ملتوية يكسوها الطحلب.

وكتب أيضاً القصة القصيرة وتجلى ابداعه في قصة بنجامين الحالة المحيرة الصادرة حديثاً عن (دار وتر) بترجمة (وداد عبد الحليم)، وهي القصة التي تحولت في ما بعد إلى فيلم بالاسم ذاته من إخراج ديفيد فينشر العام 2008 وفاز بثلاث جوائز أوسكار.

نشرت القصة في مجلة كوليي الأميركية الأسبوعية، ثم جمعت في كتاب فيتزجيرالد (حكايات من زمن الجاز)، وهي مجموعة قصصية مكونة من إحدى عشرة قصة قصيرة صدرت في العام 1922 وكانت باقة من أفضل قصصه المنشورة .

يطرح صاحب الليل الرقيق في قصته الخيالية) بنجامين (سؤال دائماً تردد في ذهن كل واحد منا: (ماذا لو ولدنا في عمر الشيخوخة)! ماذا لو كان العمر يسير بنا بصورة عكسية ..!

(في بطانية بيضاء ضخمة لف، وقد حشر جزئياً في واحد من المهود رجل عجوز يبلغ على ما يبدو نحو سبعين سنة من العمر، كان شعره الخفيف تقريباً أبيض ومن ذقنه تتدلى لحية طويلة بلون الدخان، تتماوج بعبثية ذهاباً وإياباً، يحركها النسيم القادم من النافذة .حدق العجوز في وجه السيد بتن بعينين باهتتين كئيبتين يختبئ فيهما تساؤل محير ..ثم فجأة تحدث بصوت قديم متصدع قائلاً :هل أنت والدي)؟

قصة بنجامين (الحالة المحيرة) على الرغم من يقين قارئها بإنها قصة خيالية لكنها تجعلنا نشعر بالشفقة على بطلها الذي يتعرض الى تنمر وتحقير من جميع الناس حتى إبنه الذي ولدَ كطفل طبيعي ..

كذلك عدم قدرة بطلها على الاستمتاع بكل مايرغب به لأن كل مايتمناه يأتيه في غير أوانه، ليست مسألة الشباب والشيخوخة هي المسيطر على تفكير فيتزجيرالد عندما كتبَ هذه القصة بل ايضاً تنمر المجتمع على المختلف .

وهناك غياب واضح لدور الأم منذ بداية القصة وبما أن الأم دائماً هي رمز الحنان والعاطفة في حياة جميع المخلوقات فأرجح ان صاحب الجميلة والملعون تعمدَ الغاء دورها في القصة ليبرز تعثر بنجامين الوحيد في الحياة رغم من حوله لانه وتحمله كل كلماتهم وافعالهم السيئة ضده فقط بسبب اختلافه عنهم .

كان بنجامين يمضي في أحداث حياته التي تسير عكس اتجاهها وكأنه غير مبال، ثم ينظر فجأة في المرآة فيتملكه القلق. (يبدو الآن وكأنه رجل في الثلاثين، وبدلاً من أنْ يكون مسروراً شعر بنوعٍ من عدم الارتياح، فقد كان يصغر، وكان يأمل حتى الآن أنه بمجرد أنْ يصل إلى الحالة الجسديَّة التي تناسب عمره الحقيقي، ستتوقف هذه الظاهرة الغريبة التي تعرض لها منذ ولادته. وارتجف جسده، إذ بدا له مصيره فظيعاً، ولا يصدق).

كان لقصة بنجامين أثراً في حياة فيتزجيرالد الأدبية الذي صنف كما قلنا من أعظم كتاب الأدب الأمريكي في عصر الجاز وهو المصطلح الذي اطلقه بنفسه خلال فترة عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي، والتي اكتسبت فيها موسيقى الجاز والرقص شعبية في جميع أنحاء الولايات المتحدة بسرعة. لوحظت الآثار الثقافية لعصر الجاز في الولايات المتحدة بالدرجة الأولى، فيما عُرف مهد الجاز .

نشأت موسيقى الجاز في مدينة نيو أورليانز باعتبارها مزيجًا من الموسيقى الإفريقية والأوروبية، وقد لعبت دورًا مهمًا في التغيرات الثقافية الضخمة التي حصلت في هذه الفترة، واستمر تأثيرها على الثقافة الشعبية لفترة طويلة بعد ذلك. يُشار إلى عصر الجاز في كثير من الأحيان بالتزامن مع العشرينيات الهادرة، وتداخل هذا الموضوع في الولايات المتحدة بطرق ثقافية هامة مع عصر حظر الكحوليات فيها تأثرت الحركة إلى حد كبير بإدخال أنظمة المذياع في جميع أنحاء البلاد. خلال هذا الوقت، كان عصر الجاز مرتبطًا بثقافات الشباب النامية.

جمال مبارك والكيت كات

عصام سامي ناجي/
مصر

الكيت كات فيلم دراما مصري من إنتاج سنة 1991. ومن إخراج وتأليف داود عبد السيد، وإنتاج حسين القلا، ومن بطولة محمود عبد العزيز، وأمينة رزق، وشريف منير، وعايدة رياض، ونجاح الموجي، وعلي حسنين. قصة الفيلم من وحي رواية مالك الحزين للروائي إبراهيم أصلان.

وفي هذا الفيلم ظهر الفنان محمود عبد العزيز في أحد المشاهد وهو يخاطب الفنان نجاح الموجي بعد أن أمسك به قائلاً : أنت بتستعمني يا هرم، وهذا بالضبط ما فعله جمال مبارك في خطابه الأخير الذي كان يدافع فيه عن أسرته الفاسدة وعصر أبيه الأكثر فساداً بعد قرار بعض المحاكم الأوربية رفع الحظر عن الأموال التي سرقوها هو وشقيقه وأمه وأبيه من هذا الشعوب المغلوب علي أمره، وكان قرار رفع الحظر لعدم كفاية الأدلة، وعدم كفاية الأدلة لا تعني عدم حدوث الواقعة، ولكن تعني أن السلطة التي حكمت البلاد بعد ثورة يناير لم تأخذ أمر إسترداد الأموال المنهوبة علي محمل الجد.

مؤشرات فساد -عن عصر مبارك في يوم 26 سبتمبر 2009م قدم تقرير أن مصر تتراجع إلي المركز 115 فسادا علي مستوي 180 دولة في العالم, وذلك بحسب تقرير منظمة الشفافية الدولية والأخيرة عربيا، وتراجع ترتيب مصر عالميا علي مؤشر الفساد حيث كانت تحتل المرتبة 115 عام 2008م والمرتبة 105 2007م والمرتبة 70 عامي 2006م و2005م و77 عام 2004م - .في 16 مارس 2010م تم إهدار 39 مليار جنيه من خزانة الدولة بسبب الفساد، أفاد تقرير لـ "مركز الأرض لحقوق الإنسان" بأن أكثر من 39 مليار جنيه أهدرت في الآونة الأخيرة على خزانة الدولة بسبب الفساد المالي والإداري في الحكومة المصرية، بالإضافة إلى أن هناك خسائر قدرت بحوالي 231 مليون دولار في العام الماضي بسبب تصدير الغاز الطبيعي إلى إسرائيل - .في 28 مارس 2010م قدم تقرير لوزارة التجارة الأمريكية بعنوان "تنفيذ الأعمال في مصر.. دليل للشركات الأمريكية 2010م", يحذر الشركات الأمريكية ورجال الأعمال الأمريكيين الراغبين في الاستثمار في مصر من انتشار الفساد في الحكومة المصرية, مطالبا إياهم بالقيام بتحريات عن شركائهم قبل وضع أموالهم هناك, كما حذرهم من سوء حالة المرور في مصر مطالبا إياهم بتوخي الحذر الشديد لسوء حالة الطرق والزحام الشديد وعدم مراعاة القوانين وعدم مراعاة المشاة وعدم وجود أماكن للسيارات المعطلة - .تشير عدة تقارير محلية ودولية وحكومية على انتشار الفساد في عدة هيئات ومصالح حكومية في مصر، كما يظهر ترتيب مصر متأخرا على مؤشر الفساد والذي تصدره منظمة الشفافية الدولية، ففي 26 سبتمبر 2009م جاء ترتيب مصر 115 على مستوى 180 دولة في العالم متراجعا عن عام 2007م,

وهذا غيض من فيض أو كالإبرة في البحر من الفساد الممنهج والعشوائي الذي شهدته مصر في عهد مبارك وبعد ذلك يخرج علينا جمال ليلقى خطاب النصر ، فأين حمرة الخجل،كان القادة المؤسسين للكيان الصهيوني يقولون: يموت الآباء وينسى الأبناء حقوقهم ، مات الآباء فإذا بالأبناء يقذفون قلب ذلك الكيان الهش بالصواريخ ، فما بالك يا سيد جمال أن الآباء مازالوا علي قيد الحياة والأبناء الذين ثاروا عليكم مازالوا أيضاً أحياء يرزقون

لقد جعل مبارك التطبيع مع العدو الصهيوني كما ذكر عادل عامر من ثوابت السياسة المصرية على حساب استقلال مصر وارتباطها بأمتها العربية والإسلامية، و وصل الأمر إلى حد عقد اتفاقية الكويز التي وضعت صناعة النسيج في قبضة اليهود وعقد صفقة لبيع الغاز الطبيعي مع الكيان الصهيوني، بالإضافة للبترول والسياحة والتعاون الزراعي الذي قتل المصريين، و عقد اتفاقا لإقامة مزارع مشتركة مع إسرائيل في سيناء. بينما يواصل العدو الصهيوني التنكيل بالشعب الفلسطيني واحتلال القدس وكل فلسطين و أسر المسجد الأقصى والتهديد بهدمه، وفي وقت يعلن العدو إن القدس عاصمة أبدية للكيان الصهيوني

وكان التعاون مع الكيان الصهيوني لضرب و محاصرة الشعب الفلسطيني بمحاصرة غزة بقوات مصرية لمنع تهريب السلاح للمقاومين، وممارسة الضغوط على المقاومة الفلسطينية لوقف الجهاد المسلح ضد المحتل ،

يتحمل مبارك المسؤولية الكاملة عن المبيدات المتسرطنة التي أدخلها يوسف والى وزير الزراعة والتي أصابت عدد كبير من أبناء الشعب بأمراض مزمنة وخطيرة أبيك يا سيد جمال قام بتزوير الانتخابات التي شهدتها مصر بداية من انتخابات الاتحادات الطلابية و مروراً بانتخابات المحليات ومجلسي الشعب والشورى ونهاية بانتخابات الرئاسة التي كانت عبارة عن استفتاء حتى عام 2005 عندما ضغطت الإدارة الأمريكية حينها على بعض الدول من أجل أتخاذ مسارات أكثر ديمقراطية

هذا القليل الذي يتسع المجال لذكره عن فساد مبارك وعصره أهديه لجمال مبارك حتى لا يصدع رؤسنا بعصر أبيه ويلقى خطابات فارغة من المضمون فذاكراتنا ليس كذاكرة الأسماك ولا يمكن أن ننسى دماء الشهداء الذين سقطوا من أجل أن نتخلص منكم

ألأبعاد الجمالية والدلالية في قصيدة الجدار القديم للشاعر التونسي البشير عبيد*

الناقد/ عبد الحسين الشيخ علي

البشير عبيد الشاعر التونسي المثابر في ايجاد ابلغ الصور الشعرية للتعبير عن ما يدور من احداث في محيطه الاجتماعي والسياسي اذا فأن من الامور المهمة التي يجب توفرها في الكاتب هو الفنية الشعرية في نقل الواقع الحركي والملموس والمسموع والمرئي الى صور شعرية لها وقعها في ذهنية المُتلقي كـ أنساق داخلية ضمن السياق العام للقصيدة وهذا يتطلب الملاحظة والتفاعلية وايجاد الفكرة لتكتمل الصور بنسبة متقاربة مع الحدث واستثمار كل الموجودات في تحقيق نسبة من الغائية النفسية لسد ولو جزء بسيط من حاجة الشاعر في تفتيت المخزون الحسي الضاغط من الداخل والخارج. وبما ان المُتلقي هو كاتب أخر للنص لذلك سنحاول المقاربة ما بين قصدية الشاعر وأُفق التوقع لدينا في تحليل النص .

البشير عبيد في قصيدته (الجدار القديم) استنفر في ذاته مفردات الطبيعة وحركة الشخوص في مشهد درامي يصف فيه حقبة تاريخية سياسية مرت على بلاده .

ففي المقطع الاول والذي ينتهي بـ(بلا مياه أو موسيقى) يُظهر الشاعر مشهد درامي محفوف بالترقب لحدث ما ينتاب ابناء القرى في موسم الشتاء حيث الثلوج والصقيع , فلماذا هاجر الفتيان البلاد ؟ وما هو اليوم الجديد الذي تحلم به الصبايا ؟ ان هذا التساؤل نجد له جوابا في وجود سلطة حاكمة تمثلت بجملة (الحرس القديم) اذا هو يشير الى مرحلة سياسية وسلطة اداتها الحرس الذي يقمع الحريات ويجبر الفتيان على الهروب وان هنالك حراك ثوري ضد هذه السلطة بدلالة ترقب الصبايا الحالمات بيوم جديد اي بحياة جديدة لا يأس فيها ولا خذلان كما عبّر, لذلك نجد ان رجال السلطة ينتشرون في الاقاليم البعيدة بعرباتهم المصفحة لقمع الثورة الشعبية التي حدثت في تونس في عام 2011 .

في المقطع الاتي والذي يبدأ بـ(شتاء المدن أضواء وضجيج) الى (ولم تنس الصبايا العاشقات , الينابيع والتلال), هنا انتقالة مكانية في موسم واحد اي الانتقالة من القرى الى المدن ثم يبدأ بالوصف بجمل معبرة عن حالة المدن وما يصاحبها من اضواء يرافقه الضجيج والحركة وهو بالتضاد من هوية القرى الهادئة والتي يغفو على اسطح بنايتها الثلج , وفي تلك الانتقالة تتبدل لديه المفردات والجمل الشعرية بطبيعة الحال حيث البنايات التي تغمر المدينة لربما يجد نفسه وحيدا وغريبا على اجواء المدن فقد تعود على طريقة عيش اهل القرى حيث / الزهر / و / اللوز/ و/ والافق البعيد / ويبدو ذلك في التساؤل لديه في تلك الجملة / كيف لي ان اغادر القرى مثخنا بالسؤال اليتيم / فيبدو ان التساؤل عن تلك البنايات والقصور التي بناها الساسة المتسلطون حيث يتجلى ذلك في سؤاله اليتيم : من اين لكم هذا ؟ كأنه اندهاش بدى عليه حين رأى تلك القصور بعد نهاية السلطة على يد الشعب وظهر ما كان تخفيه عنهم , ان الشاعر بشير يعيش في تلك اللحظات حالة من التساؤل المستمر عن حقيقة ما جرى وما موقعه في هذه الامكنة فهو بين اقبال على المدينة بعد التغيير وادباره عنها متذكراً حياته في القرى فليس كل ما تقوله الامهات هو ما يرجوه من العيش بعيدا عن ذكرياته وجمال الطبيعة/ ايتها الامكنة القصية .. كيف لي ان انام وحيدا قرب الجدار القديم / اذا فهو نداء يخاطب به تلك الاماكن التي عاشها في القرى, انه خطاب ذاتي وتساؤل تتلوه روحه المفارقة لجذورها الزمكانية لربما تريد العودة الى محل استقرارها وهدوئها حيث الصبايا الحالمات والينابيع والتلال والزهر واللوز بعيدا عن الصخب في المدن الذي لم يتعوده .

في المقطع الذي يبدأ بـ (ايتها الروح أنا لا أخاف من الانكسار) الى (و الحنين بوصلة الهاربين من الاسوار) يبدأ بنداء تحفيزي او ربما استنكاري لروحه كأنها مرت بلحظات ضعف وخوف من امر ما احاط به واثار في نفسه هذا الخوف (انا لا اخاف الانكسار) كأنه يوبخها حين يقول / كم من العمر مضى/ بمعنى ان الرحيل هو الحقيقة والنهاية ألآزلية في كل الاحوال فَلِمَ الخوف تحت سطوة الجلاد فالمصير هو النهاية لكنه يريد نهاية تُرضي ذاته المتوثبة والآبية فهو لا يريد ان ينتهي بعلةٍ تجعله في معاناة وآمد طويل من المعاناة والنهاية هي الموت ايضا لذلك شبه نفسه بالزهرة الفتية المشاكسة للسيف والموت وهو بصحته وعنفوانه ضد الظلم خير من الموت عليل والنهاية مُحتّمة لذلك جاء التوبيخ لنفسه الخائفة من مقصلة السلطة في بلادٍ تعودت الرحيل بصمت لذلك فهو يستذكر الاجداد وما قدموه من تضحيات ودماء من أجل العيش بكرامة كأنه دافع له بالصمود وعدم الجنوح للخوف.

وفي هذا المقطع يتجلى الصراع مع النفس المؤدلجة للخضوع وثورة الذات الرافضة لهذا الخضوع والانكسار المستمر والموت كالعجائز من العوز والمرض لذلك نجده رافضاً لهذه ألآدلجة المستمرة التي تسيء الى ماضيه الثائر ضد اي انكسار وهزيمة لذا فقد جعل من الحنين الى ماضي الاجداد وامجادهم سبيلا للهروب من هذه الانفاق المظلمة والاسوار المحفوفة بالمخاطر لنيل الحرية .

في المقطع الاخير والذي يبدأ بـــ (شتاء القرى ثلوج و صقيع) الى نهاية القصيدة هنا تتغير لهجة الشاعر اذ يبدو ان التغيير الذي حصل قد بعث الحياة من جديد في القرى والشتاء بدى بصورة اخرى اكثر فاعلية وشاعرية فلا حرس قديم ولا عربات مصفحة بل مباهج وسفر الى الاعالي كانه يعود تارة اخرى الى حيث مستقر روحه والجدار القديم وهو تعبير زمكاني ربما يمثل له لقاء اصدقائه القدامى او ذكرياته وتغير في الشعور نحو الايجاب بعدما عانت القرى ما عانت من قهر ومسارات عوجاء بفعل السياسات القمعية, انه يخاطب روحه من جديد لكنه خطاب ونداء لها بالانفتاح وعدم الخوف فكل المخاطر قد زالت وان اليوم الجديد الذي حلمت به الصبايا قد تحقق وعاد الفتية الى قراهم ..

الخاتمة

تنتمي قصيدة البشير الى الواقعية التي هي مصدر مهم في إذكاء الروح الشاعرية لدى الكاتب فقد وظّف ثيمات الطبيعة والطبيعة المشيدة في تراكيبه الشعرية لما للطبيعة والبيئة من تأثير سايكلوجي وشاعري في اختيار الجمل الشعرية اضافة للحدث السياسي فكان فاعلا في قصيدته كذلك وجود منولوج في بعض مقاطع القصيدة هذا من الناحية الادبية اما من الناحية الفنية تمكن من توظيف تلك الثيمات اضافة لكونه فاعلا في المجتمع والمجتمع كذلك فانه جمع ما بين طبيعة عيش اهل القرى وفاعلية المدينة وطبيعتها المعيشية على اهل القرى والجو السياسي الذي يُلقي بظلاله علها , فكانت الابعاد الجمالية والدلالية من خلال تصوير الواقع بدلالة ثيمات الطبيعة كموسم الشتاء / والثلوج / والاقاليم / والقرى / والتلال / والينابيع / والزهر وغيرها . وثيمات اخرى دلالية سياسية / كالحرس القديم / والمقصلة .

اما عنوان القصيدة ففيه انبعاث وجداني وتحفيزي لدى الشاعر كأنه يُعبر عن الاصالة والوجدان الحقيقي التفاعلي والثوري لما يحمله من طبيعة فطرية لا تقبل بانصاف الحلول والعيش بكرامة وعفوية واعتبره الكاتب مصدر الهام له لما يحمل من ذكريات الاجداد .

الجدار القديم
شتاء القرى ثلوج و صقيع
و البلاد التي هاجرها الفتيان
صار بامكانها الان نشر الغسيل
قبل مغيب المرحلة
هنا الصبايا الحالمات بيوم جديد
لا ياس فيه و لا خذلان
الحرس القديم يدق نواقيس الخطر
و الاقاليم البعيدة تباغتها العربات
بلا مياه أو موسبقى

شتاء المدن اضواء و ضجيج
و انفتاح المرء على مرايا
الروح
ليس ما تقوله الامهات صبيحة الاحد
هو المنتهى و المرتجى
بل هو التجلي و البناء
ايتها الامكنة القصية..كيف لي ان انام
وحيداً قرب الجدار القديم
بلا زهر أو لوز أو افق بعيد
كيف لي ان أغادر القرى مثخنا
بالسؤال اليتيم:
من اين لكم هذا؟
من أي مكان من اقاليم الأرض
باغتتنا تفاصيل الحكاية
و لم تنس الصبايا العاشقات
الينابيع و التلال
ايتها الروح أنا لا أخاف من الانكسار
و لا أنحني للعاصفة
سريعا تاخذني خطاي إلى المدى
و لا ترتبك الانامل حين تلمسها
المقصلة
كم من العمر مضى و البلاد المتاخمة للهذيان
ليس لها من سبيل سوى الرحيل
إلى دهشة الرؤيا...
و ارتماء الجسد العليل في النفق
الطويل
حالما بالزهرة المشاكسة للسيف
يمر امام القصور و ما انتجته السنوات
العجاف
الاصابع لا ترتبك
الاجساد المنهكة
لا تنام على ارصفة القرى قبل المغيب
الحكايا و الزوايا وانفلات الصوت
من غموض الملحمة
ليس في المكان القصي تلال
و لا عشاق قدامى
بل ورقات مكتوبة بدم الاجداد
و الحنين بوصلة الهاربين من الاسوار

شتاء القرى ثلوج و صقيع
و انفتاح المرء على مرايا
العناق الأخير
للجسد الباحث عن لحظات التجلي
مباهج و سفر إلى الاعالي
للروح الاتية من بعيد
ضفاف و احلام
للجدار القديم عشاق قدامى
و انفتاح المرء على الينابيع
و اخضرار الكلمة المشتهاة
أيتها الروح لا تخافي من دهشة الرؤيا
ففي القرى أولاد و موسيقى
و انبهار الفتية بالصراخ الأنيق.....

* شاعر و كاتب تونسي

05 فيفري/فبراير 2022

تفاحة زرقاءِ مسمومة اسمها : أَرضُ اللّه

سعد جاسم/كندا

* تعالَ
كي نرسمَ شجرة
ونؤثثها بأَعشاشٍ دافئةٍ
ونزيّنها بطيورٍ مُلوّنةٍ
ونُسمّيها : شجرةَ الغوايةِ
أَو شجرةَ الحكمة
ثم نرسمُ على واحدٍ من أَغصانِها
تفاحةً ناضجة
ونُسمّيها تفاحةَ حواء
تخليداً لإسمِ أُمِّنا الاولى
- حسناً حبيبتي...
* إبدأْ أَنتَ ...
- لا يَهُم ...ها أَنا الآن أَرسمُ الشجرة
إرسمي أَنتِ الطيورَ والاعشاش
إِياكِ أَنْ تنسي العيونَ والأَجنحة
* لالالا مستحيل ...
طيّبْ : إرسمْ أَنتَ التفاحة
لاتنسَ أَنْ تجعلَها بالاحمرِ الناري
- لكِ ماتشتهين
* يااااااه يالها من شجرةٍ ساحرةْ
وأَروعُ مافيها هذهِ التفاحةُ الشهية
- عرفتُ أَنكِ ستقولينَ هذا
هاهاهاهاها أَيتها الأُنثى الماكرةْ .
طيب ...مارأيُّكِ أَن نتركَها تتنفسُ هواءَ الطبيعة
حتى لاتجفَّ وربَّما تموت ؟
* اممم
اممممممم
آآآآآآآآآآآه
- ماذا بكِ يامراة ؟
ماالذي حصلَ لكِ؟
* آآآآآه أنا جوعانةٌ حبيبي
فما هو رأيكَ أَنْ تقطفَ لي
هذهِ التفاحةَ الوحيدة ؟
- آسفٌ جداً حبيبتي -
أُريدُكِ أَنتِ التي تقطعينَها
وأَنتِ التي تبدأينَ بقضمِها
لأَنني لا أُريدُ أَنْ أُكررَ
خطأَ أَبي الاول
وأُطردُ ثانيةً
الى جحيمٍ آخرَ
بسببِ رغباتكِ وحماقاتِكِ
وشهواتِكِ الحمراءْ
أَو :
بسببِ تفاحةٍ حمراء
مُسَوَّسةٍ ومسمومةٍ
واسمها : أَرض الله .

بانـوراما شرقية

نوئيل جميل/ العراق - نينوى

حينما قادني الحلم
نحو بوابات نينوى ،
تسلقت اسوارها ،
ابصرت الشرق
يتثاءب متثاقلا ...
بعد أن أيقظته
روائح بخور السمرقند
وقرقعة مهرجان النار المقدسة .
رائحة شواء طيور النهار
ومن أفلت منها ،
حمل شهيق المدن الباكية
من أور
الى آشور
الى حران ؛
ومن قطيسفون
الى عيلام
الى الرها .
الكل ينتظر عصا موسى ،
وموسى مازال نائما
والويل !!
لمن يوقظه
قد تلاحقه لعنة الفراعنة .
ماالعمل اذن ؟
فالعرَّافة أعلمتنا
أن علينا
تسلق برج بابل
لنفوز بحظوة عند الالهة....
لكن حصاننا
حصان طروادة ،
وصخرتنا
صخرة (سيزيف)
وطريق الحرير
لم يُعبَّد بعد !
فكيف الوصول ؟
الى قلعة آريانا
تلك الباكيه
الضاحكة
العابثة
في قلب القارات
تفتــش الغــادين
والرائحــين
عبر ثنايــا الخلجان
والبحار ...
توقظ الكوابــيس الغافــية
في قــطار الشرق السريع .
مع هذا فـ (راسبوتين)
رابض في قبوه
يلاطف بنات القيصر
ويدهن مواجع نساءه ،
ثم يلتحف بسوتانته
ويغط في نوم عميق ...
ليحلم ويحلم ...
كما يفعل المجانين
اولئك الحالمون
بالمدينة الفاضلة.
كل هذا
و الشرق مازال يتثاءب متثاقلا .
قد يصحو قلــيلا
لتنتابه غطرســة الشعر
فيذهب ليــقلم
أظافــر الشعراء
في سوق عكاظ
والمربد ،
ثم ينزوي
ليتسامر مع الغانيات
في حكايات
ألذ من ألف ليلة وليلة ...
و يعود ليوقد
لفائف سيجار (جان دمو)
لتعبق بدخانها مقاهي بغداد
فتزكم أنوف العابرين
صوب شارع المتنبي
المغرورق بالدراويش
والصعاليك
وفذلكات الأدب ...
ويرنو نحو الرصافي
الناهض أبدا وهو يتساءل
هل ستخضر !!
واحات الشعر
زمن الجدب في شنعار ؟
أم هل ستتبرعم الكلمات
زمن التصحر في أوروك ؟
خاتمة المطاف
يعود ويستنجد بالسياب
والجواهري ؛
هل من جديد تحت الشمس ؟
كلا !
فسليمان قال لنا هذا
قضيتنا ،
قضية انسان
كان متهما
بأنه يخفي بداخله
قلبا ينبض
وفي جمجمته
ضميرا يبصر
وأنه يشهق
ويزفر
بملء فمه .
ألا تكفي !!
هذه التهم الثلاث
لشــطب شهادة ميلاده ؟
كل هذا...
و الشرق
مازال يتثاءب متثاقلا .

غليان القدر على الاثافي...
(رواية الوقوف على ساق واحدة)

مؤيد داود البصام

(الوقوف على ساق واحدة) رواية حسن كريم عاتي التي صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ب168 صفحة، القطع المتوسط، سبق أن صدر له روايتين ومجموعتين من القصص القصيرة إلى جانب ثلاثة كتب دراسات...

يروي فيها حكاية الاهوار جنوب العراق ومعاناة أهلها تحت حكم الاقطاع والظلم الواقع على جمهرة الفقراء من الفلاحين عبر رسم واقع عائلة ، تتكون من الأب خشين وزوجته غرنوكه وولده خزعل وطفلته الرضيعة فتنة، وخشين من رجال الاقطاعي الذي يسيطر على مساحات شاسعة من الاراضي في منطقة الاهوار جنوب العراق، دون أن يحدد المكان، تحت حكم المالك الاقطاعي، والذي يدعونه المحفوظ، خشين من حاشية المحفوظ، الذي لا يعرف متى يناله الرضا أو ينال الزعل من المحفوظ لاسباب يعرفها ولا يعرفها،(كان على يقين أنهم سيعاقبونه سواء أحسن الصنع أم أساء) ص13 وما يترتب عليه من مهانة وضرب وابعاد، كما هو يفعل مع المساكين من الفلاحين الذين وضعه المحفوظ مراقبا عليهم، وشدته مع عصاه الغليظة جعلته مكروها من أبناء جلدته، الا أن خشين ليس له مكان الا في خدمة المحفوظ وكسب حظوته أن رضى أو ابى، يسارع في الخدمة وإظهار الولاء حتى وهو يدرك انها طريق الخطأ، فلا مصير له ألا الخضوع لهذا المحفوظ أو ذاك حتى يستطيع العيش وعائلته، وهي النقطة المهمة التي اراد الروائي تأكيدها عن حالة الفرد في مجتمع الارياف والهور وهيمنة الظلم والقهر والإستبداد.

الرواية تتحدث عن فترة زمنية سبقت التحول في شكل الحكم في العراق عندما انقلب ضباط من الجيش العراقي وقادوا انقلابا أطاح بالنظام الملكي، وأصبح العراق جمهورية، أنه يتحدث عن مجتمع الريف تحت حكم الاقطاع وفي ظل سلطة ترعى مصالح الاقطاعيين على حساب جمهرة الفلاحين وتحت ظل المحتل الاجنبي. الذي رمز له بما يعرفه العراقيين (الصاحب)، ووظف الحكاية عن عائلة (خشين) ليسرد لنا تفاصيل الظلم والقهر الواقع على طبقة الفلاحين في تلك الفترة الزمنية.

كتب الرواية بثلاثة فصول، سمى كل فصل منصبة، والمنصبة هي واحدة من الاثافي الثلاث التي يجلس عليها القدر وقسم كل منصبة من الثلاثة إلى أجزاء متساوية، منحها أرقام لكل واحدة تسعة أرقام، أي 27 جزء لإقسام الرواية الثلاثة، في الفصل الاول يحدد متن الحكاية، في قسوة المحفوظ على خشين لاجل رضوخ زوجته غرنوكه لشهواته عندما ترفض، واكتشاف خزعل أغتصاب المحفوظ لامه في كوخهم، وأن زعل المحفوظ على ابيه لغرض الضغط حين ترفض غرنوكه معاشرته (فأرسل إليها من تخبرها - :

عنوان الرواية...ورموزه.

حسن كريم عاتي من المهتمين بالرموز والشفرات في الكتابة السردية وله كتابات في ذلك وله كتاب (الرمز في الخطاب الادبي)، لهذا فان العتبة (العنوان) أو ثريا النص كما سماها الراحل محمود عبد الوهاب له صلة مباشرة بالمتن الحكائي الذي اراد أن يوصله لنا، فالوقوف على ساق واحدة، ليس لان زوجة خشين أسمها غرنوكه انما تعني (تطلب توازن الجسم أثناء الوقوف على ساق واحدة مجهودا من البعض، واكتشف باحثون في جامعة كيوتو اليابانية أن القدرة على الوقوف على رجل واحدة تدل على سلامة وصحة العقل) (حيث ترتبط القدرة على الوقوف على ساق واحدة بزيادة مستويات النشاط البدني وتقليل مخاطر السقوط وبجودة الحياة وطولها، فأن الوقوف على ساق واحد مؤشر صحي يمكن أن يحسن من اللياقة البدنية) دمج بين أسم بطلة الرواية غرنوكه وبين صحة الموقف في التمرد والثورة ضد حكم الاقطاع، (غرنوق؛ طائر مائي أبيض طويل الساق، جميل المنظر له قنزعة ذهبية اللون، وهو نوع من الكراكي امرأة غرانق وغرانقة : ممتلئة جميلة ناعمة - شاب غرانق/ فتاة غرانق: حسن جميل) معجم اللغة العربية المعاصرة.

على الرغم من أنه حاول أن يجعل من القرية باشخاصها أبطال قصته لانها الحياة التي يتحدث عنها، وهو ما يشير إلى أن القدر الموضوع على الاثافي يأخذ مساره من الغليان للوصول إلى التمرد والثورة، التمرد البديل عن الذل والمهانة التي كان المحفوظ وحاشيته يذيقونها للفلاحين، وأن بوادر الثورة نمت في هذه الاجواء ضد الاقطاع والهيمنة الاجنبية، لهذا أطال في الوصف لمعاناة الفلاحين ومجتمعهم عموما، وقليلا ما كان يتحدث عن اسرار جمال الاهوار وروعة الطبيعة التي لم ينجو كاتب سبقه من الحديث عن الاهوار وكتب في اسرار جمالها، ومن المصادفات أن مونيكا نبيل عزيز الكاتبة المصرية أصدرت روايتها (الوقوف على قدم واحدة) تروي فيها عن،لاجئون، أقليات، عابروا جنس، أصحاب بشرة سوداء، ضحايا عنف وحروب وتعذيب واغتصاب. لوحة قاسية لمجهولين .. (القاهرة. القدس العربي) وكذلك صدر للشاعر أمل دنقل ديوان شعر (الوقوف على قدم واحدة) القاهرة. وكلاهما يتحدثان عن ماساة الانسان في هذا العالم الظالم، ولا سبيل الا الوقوف على قدم أو ساق واحدة الموقف السليم، ليأخذ العقل والادراك مساره لاتمام التمرد والثورة، للوصول إلى الحياة السعيدة.

ولاجل أن يضعنا في الصورة كتب سرده بتمرس في اللهجة الجنوبية بلغة شعرية أنسيابية تخللتها (الابوذيات) التي تشتهر بها المنطقة للتعبير عن الحزن والالم، لايضاح حالة الحزن المكبوت، والظلم الذي يخرج آهات بين فترة وأخرى، وربط بين ممارسة الجنس لزوجة خشين والمحفوظ ومعرفة ابنه خزعل لهذا الانتهاك الذي حرك في داخله روح التمرد والثورة، وجاء الوعي بالظلم ذاتيا لشعوره بالعار الذي لا يستطيع من الوقوف امامه، ولم ياته طبقيا كما كان يرى في عدم التوزيع العادل للانتاج الزراعي، عندما كان يناقش أبيه عن ظلم تقسيم المحاصيل بين الفلاحين والحوشية ونصيب المحفوظ، لم يكن بالوعي للقيام بالفعل الثوري أو التمرد حول هذا اعامل الاساس في الظلم، وعندما بدء يمارس الجنس مع زوجة المحفوظ الاخيرة وهي تشبه ما سرده سابقاً (القاص فهد الاسدي في أحدى قصصه) ألا أن العبد الذي دعته زوجة الاقطاعي في قصة الاسدي كان رضوخا لزوجة الاقطاعي وخنوع لاوامر سيدته، وشئ لا يصدق له، بينما ممارسة خزعل للجنس مع زوجة المحفوظ، كان بدايات التمرد لأخذ الثأر من فعلة الاقطاعي في اغتصاب أمه، حتى الوصول لرفع السلاح وقتل المحفوظ.

تنمو الرواية مع نمو الحدث الذي يوصل ما شاهده خزعل من اغتصاب أمه وأبعاده عن كوخهم من قبل حراس المحفوظ، وعلى الرغم من تأكيده على الحدث الذي سيصيغ نهاية الرواية الا أنه كتب في معاناة الفلاحين بما يفي للوصول إلى التمرد والثورة وأن أحالها إلى خزعل وقبلها تمرد عشيرة الصهبان كعارض ضمن السياق ولكنها تعطي العلامة في بدايات غليان القدر على الاثافي.

مسيرة الرواية...

أكثر الراوي الكتابة عن العادات والطقوس الاهوارية، وعلى الرغم من أهميتها لمعرفة حياة المغبونين، ألا أنها بدت في مواضع أقرب للتقرير أو مقال توضيحي، مهملا الحديث عن شخصية خزعل على اهميته في الرواية، فلم يوصل لنا عمره او مقدرته أو أي شئ ينبأنا عن شخصيته لانه سياخذ المبادرة في أعلان التمرد والثورة سوى فكرة الثأر، ولكن على الرغم من ذلك تبقى الرواية ذات حبكة وقدرة سردية عالية ورائعة مع تمكن في تطويع اللغة وجرها إلى المبنى الحكائي بسهولة ويسر، وإذا أمعنا النظر في اصل الحكاية فانه أختصرها في عائلة خشين لإيضاح واقع الحياة في الاهوار والظلم الذي عاشه المجتمع الفلاحي في ظل الاقطاع والهيمنة الاجنبية، وهي المقطع الذي وضعه تحت المجهر لكشف واقع الحياة في ريف الاهوار، أن رواية (الوقوف على ساق واحدة) رواية مكرسة لكشف مدى الظلم والقهر الذي عاشه الفلاحين تحت ظل الاقطاع، موظفا كافة أدواته السردية بصيغ شعرية للتعبير عن مجتمع البؤساء، متخذا من المنولوج والرمز والشفرات والحوار المكثف وتيار الوعي والحلمية، الابعاد التي توصله لربط القضية الفردية بالقضية الاجتماعية لطبقة المسحوقين، وشكل القهر والذل الذي كان يعيشه الفلاح، وكأنها رداً عمن يقول عن تلك الفترة (الزمن الجميل)، فكيف يكون جميلاً وقطاع واسع بين الثلث إلى نصف المجتمع، يعيش الظلم والقهر والحرمان من أبسط حقوق الانسان في مجتمعه.

قصة قصيرة

اشتياق الأرواح

من كتاب (اشتياق الأرواح)

شيماء نجم عبدالله/العراق

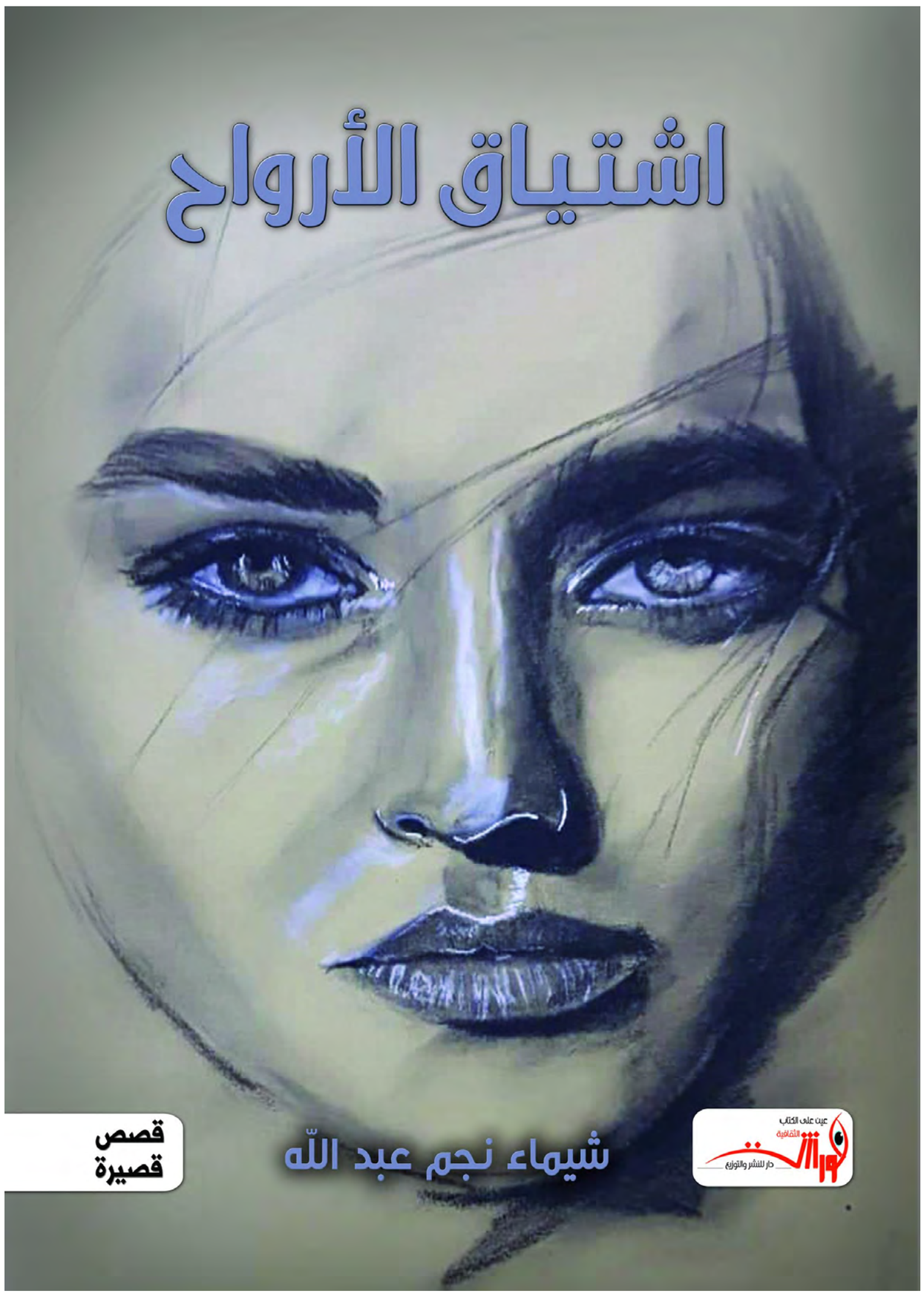

بين لحظة الهروب وقرار البقاء دارت بالمفتاح مرتين، حاولت أن لا تصدر أي صوت، فتحت الباب وكلها حذر من أن يراها احد، تسللت إلى السلم وجدت الأرواح تتجمع أمامها، تمنعها من الصعود، منها من يمسك بيدها ومنها من يجر بطرف ثوبها، يتوسلون أليها البقاء. حاولت إبعادهم لكن بلا جدوى، أغلقت الأبواب واصطكت النوافذ.

- اشش ألم اقل لكم أن لا تصدروا صوتا من قبل؟ الأحياء يغطون بنوم عميق، لا أريد أن يستيقظ احد أفهموني رجاءا.

- ماذا تفعلين؟

- أريد أن أجد حلا، سأرحل.

- إلى أين؟

- أي مكان يخلوا منكم ومنهم.

- منا ومنهم!

- قولوا ماذا افعل؟ الحياة أصبحت مستحيلة لا انتم ترغبون بوجودهم ولا هم يرغبون وجودكم، ها ماذا افعل؟

كأن وقوفها أزعجهم، خطواتها بدت غريبة عنهم، رفعتها الأرواح من على السلم وأعادتها إلى كرسيها بعد إن تخطت نصف درجات السلم، صرخت بقوة لكنهم أغلقوا فمها وأجلسوها فوق سجنها المتحرك.

- ما بكِ يا أبنتي؟ إلى من تتحدثين؟

أحست بضياع فلم تكن تعلم في إي عالم هي.

- لاشيء يا أمي عودي إلى نومك، مجرد جملة عابرة قرأتها بصوت عالٍ.

- هيا إلى فراشك وكفاكِ جنون، هذا الكتاب لن يعيد إليكِ من رحلوا.

رمقت الأرواح بغضب ورمت الكتاب عليهم:

- ألم أقل لكم دعوني أرحل، استيقظت أمي ولن أستطيع أن استمر في غايتي.

تمتمت أحدى الأرواح:

- يا صغيرتي لا تحاولي الهرب من واقعك، فلسنا بأفضل حال منكِ، نحن نجول في الفضاء علنا نجد من نطمئن له، لكننا لا نجد غير من يقرؤون الطلاسم ويحركون أرواحنا ضد بعضهم البعض، هربنا من واقعنا لكننا تشوقنا الآن لدفئ منازلنا، وعندما عدنا نحوم حولها، وجدناك نائمة حالمة كالفراشة حين تحط فوق الزهور وتغفوا وهي ترتشف رحيقها، فقط أنت من وجدنا معك السلام، أرجوك أبقي معنا لن نصدر الأصوات بعد ألان.

- أنا لا تزعجني أصواتكم بل أصوات الناس، فضجيجها يؤرقني ويحيرني ليس لدي ما يسكتهم، فدعوني أغادر لعلي أجد الخلاص في ذلك.

أمسكت الروح بيدها وقالت:

- حتى لو رميتي بجسدك وحرقت أوراق اسمك من أعلى جبل في العالم، فلن تكف الناس عن ضجيجها، دعيهم وشأنهم ودعينا نحن نسكن عندك، ولن نجعلك تسمعين ضجيجا بعد ألان.

- وكيف ستفعل ذلك؟

- سأجلس أنا في أذنك ولن تسمعي بعدها صوت لأحد.

- وأمي؟

- لا تهتمي سأجعلك تسمعين صوتها هي فقط.

- لا لا أرغب أنت تجلس في أذني! سأشعر بالجنون لمجرد الفكرة.

- لا تقلقي استعيني بي وسترين.

خرجت بكرسيها المدولب، تدور في الأزقة لا تسمع أي صوت لاشيء سوى السكون، شعرت بالراحة بعض الشيء، لكنها بعد لحظات ضجرت وامتعضت وبدأت بضرب أذنها بقوة وهي تصرخ:

- أخرج لا فائدة من وجودك في أذني فوجوه الناس المشفقة، وشفاههم التي لا تكف عن الحركة تعبر، حتى لو لم أسمع ما يقولون.

سقط أرضا متألما من ضرباتها:

- ماذا تريدين أن افعل كي أرضيك، قلت لك سابقا إن لا فائدة مما نفعل، أن صممتُ أذنك فبصرك سيراهم وان كففتُ بصرك فظلام قلوبهم سيصل أليكِ. فدعيهم وشأنهم ولتكوني أنت وشأنك.

- إذا أتركني افعل ما أشاء.

حركت كرسيها المدولب كالمجنونة، تسابق الأرواح نحو مقصدها، الأحجار المترامية هنا وهناك تعيق حركته، نفرت منه فدفعته إلى الوراء وسقطت أرضا، أجهشت بالبكاء زحفت متحدية خوفها، اقتربت جدا من حافة الجرف، اتكأت على ركبتيها تجر نفسها، وفجأة وجدت إنها قد قامت واستقامت على قدميها، وقفت والأرواح تحيطها:

- أترون أني واقفة، أني اضغط على قدمي، لقد مشيت ها أنا أقف قرب نهايتي لكني بدأت لتوي.

- وألان ستأتين معنا كروح آم ستعودين كجسد.

- لا سأعود وأنا امشي على قدمي، لم أعد ارغب بالهرب فها أنا مشيت، أين الروح التي كانت في أذني؟

- حاولت منعك لكنك كنت مصرة بأن تتحولي إلى روح، فأمسكت بقدمك وأعانتك على الوقوف.

تقرفصت تحتضن قدميها وتقبلها:

- هل ستعينني روحك على المسير قدما يا أبي؟

- أنا معك حتى النهاية يا صغيرتي.

قصة قصيرة

مدد يا سيدنا

عادل الغنام/ مصر

وأسرع سيِّد إلى طريق "الكورنيش" الخالي هاربًا من آلامه، إنها الليلة الكبيرة لمولد سيدنا "أبو الريش"
والميدان المتسع يمتلئ بالبشر المتصارع من أجل خطوة للأمام، الصياح في كل مكان، سحب الدخان تلتهم الأعشاش الخشبية المتناثرة، عشرات المخبرين يهرولون خلف بعض الصبية الذين يلقون لفائف "البانجو" في مياه النهر، عربات الشرطة تطوق الميدان.
- آه يا زينب...
تنهد بعمق وصورة زينب أمام عينيه، كانا يغوصان معًا منذ قليل وسط "المولد"، يدفعها من خصرها بين تجاعيد الحشد المتلاصق كرقعة جلدية منبسطة، تنتهي كل محاولات التقدم بتماسك أكبر بينهما، يغمرهما شلال من العرق، يجذبها من ذراعها بقوةٍ محاولًا الابتعاد نحو بقعةٍ خالية، تخفت أضواء المولد تدريجيًا مع خطواتهم المرتبكة، تراتيل الذِكر تتردد أصداؤها بين الحقول الخضراء.
- مدد يا سيدنا...
جلسا قرب مقام سيدنا "أبو حصيرة" الذي يتبوأ ربوة عالية من الرمال، يقولون إنه جاء إلى هذا المكان منذ قرون عبر البحر ممتطيًا ظهر حصيرة من الخوص. يقترب من زينب متأملًا وجهها الأبيض الذي يصب فيه أشجانه وأمانيه، يزداد اقترابًا ليطبع قبلةً سريعةً على وجنتها الوردية النضرة، لكنها تقوم في غضب وهي تنفض عن فستانها غبار الجلسة.
- لا يا سيد، أنا بنت ناس.
- كل العساكر في المولد وأنا حبيبك!
- أول شيء أبوك يكلم أمي!
ويلتفت سيِّد؛ ليتابع الفتاة التي ظهرت تحت المصباح الوحيد المضيء في شارع الكورنيش، تجلس على السور الحديدي، تؤرجح قدميها النحيلتين في الهواء، تبدو كتمثال من البرونز لا تستطيع أن تميز فيه سوى بعض الدهان الرخيص الذي يلطخ الوجه.
- باحا!؟
اقترب ليفصله عنها الرصيف الضيق، عينان تنظران إليه في شهوة، تعيش بين أحضان بعض المعتوهين.
- والله زمان يا باحا!
.. ويمد يده إلى زينب التي هربت كنجم أضاء السماء لبرهة ثم تلاشى، استدار على أثر ضحكة ساخرة اهتز لها مقام "سيدنا"، اندفع يبحث عنها مقتحمًا تيار الزائرين الراكد في الميدان، وجد نفسه قرب "كشك" والده الذي كان كعادته يناول "بندقيات الرش" للصغار الذين يصوبونها نحو صور الممثلين، تساعده "شروق" – أخته من أبيه – الصغيرة الممتلئة كجاموس ضخم.
- ياه، والله كبرتِ يا شروق!
وتابع في سكون جلباب اللحم المترهل، يسبح في مزيج من ذرات الغبار والعرق الناجمين من قفزاتها المتعددة، حتى إن بعضهم يرغب في التصويب عليه بدلًا من الصور القديمة.
- ابعد عن أختك يا بن الـ..
وتلقيه صفعة والده عدة أمتار للوراء، يسرع بعدها نحو "الكورنيش" الخالي بهذا الوقت. كاد أن يفاتحه في موضوع زينب وأمها صاحبة عربة الكشري والحكايات القديمة، محاولًا إقناعه أن يسكنوا معًا في عشتهم الخشبية جوار "الكشك" صحيح أن بها أمه وأخواته البنات الثلاث، إلا أنها أفضل من ربوة مولانا "أبو حصيرة."
- لعب العيال يا باحا.
وبدأ يتفحص وجهها المتلطخ بطبقات من مساحيق التجميل الرخيصة.
- تعال يا سيد، كأننا عيال!!
وتمر فتره طويلة تغمض فيها "باحا" عينيها في انتظار وصول سيد الساخن، ولكنها تعود لتجده كما هو شاردًا ومحدقًا في الفراغ. قلبت شفتيها، دفعته ثم سارت نحو موقع أكثر ظلامًا وهي تغمغم:
- اعذرني يا سيد، لن أنام ليلة أخرى من غير عشاء!
وتركها سيد تذهب دون محاولة متابعة خطواتها المتمايلة، أمسى النهرُ أكثر روعة. اشتاق لزينب، ضحكتها الصافية، نبرة صوتها الحادة وهي تقدم أطباق الكشري لزبائن أمها، سبها العفوي الذي يستقبل أصحاب العيون الزائغة والألسنة الطويلة.
صار "المولد" أقل زحامًا، عربات الشرطة ترحل زاخرة بالعشرات، ليس من بينهم "باحا". اتجه نحو أبيه الجالس يحصي بعض العملات. سيحاول أن يقنعه هذه المرة بنصب خيمة صغيرة جوار "العشة"، يعيش فيها مع زينب، بعيدًا عن الزحام وعصيِّ المخبرين والسخرية المهينة لمولانا "أبو حصيره".

قصة قصيرة

حياة أبدية

جليل كريم/ العراق

لم يكن على علم بخبايا تلك اليد الحانية التي انتشلته من عالمه الموبوء، لتقذف به صوب بحر الربيع هذا.
أزاهير كرز وردية، بابونج ذات زعانف نجميّة، بنفسج لها حراشف مبيضّة، أزاهير فلّ مورّدة. كلّما داعبتها نسائم تراقصتْ متمايّلة، برّاقة، نديّة، تضوّع عبقها في لحظة فاقت كلّ سنينه العجاف.
تحلّقت بُحيرة تغفو تحت دائرة معشوشبة. أوراق خضر لمّاعة.
أزاهير حمر مدلاة على حافات مياه ساكنة، انعكس على مرآتها أجنحة إوز متماهية مع لوامع ضياء العصر .
تقويمه الآتي يبتدأ من الآن.
تناهتْ إليه ألحان فريدة انبعثتْ أنغامُها من آلة لم تُبتكر بعد، فانسابتْ إلى شَّغافِ قلبه انسياب مياه عذبة صوب شجرة ظمأى تساءل مَنبهّرًا عما إذا كانت قد اتّشحتِ بأرديةِ الملائكة!
تلألأت شفتاها الورديتان عن ابتسامة يسيرة تشي طراوة فتاة قد بلغت العشرين:
" متشوقةٌ إليكَ"
انطفأ سُعارُ آلامهِ ببلسم رقيق أحرفها المرنَّمة.
انبجسَ من خزائنِ أمسِه تباريح غرامه الموءود :
" ما أحلى ثمار العشق" !
تأمل ماضيه المائز معها حيث أمستْ العناية الإلهية وحدها من تقودهما إلى شواطئ السلام. شعر بأنّه لم يعدْ يحتمل من دونها غابة الذئاب تلك.
رقَ سويداء قلبها ففاضتْ عيناها بأشجان النوى، وأحسّت أن ما يُعكرُ صفو حياتها هنا بِعاده عنها .
أخبرها بأنّه سيمكثُ معها.
علّقتْ ذراعيها على منكبيه، متنهدة، بأنّها تودّ ذلك ولكن ليس قبل أن يرحل، وليس قبل أن يُوقّع على جواز سفره.
ردّ مازحًا: صِرتِ خبيرة بإدارة الرحلات.
أجابته والابتسامةَ مافتئت عالقة على ثغرها الزهري: "الرحيل انعتاق".

"انعتاق ممن؟"
هبّتْ نسائم عبقة، تسلّل شذاها إلى روحيهما تسلّل الندى ما بين شقوق وريقات النرجس.
أجابته: انعتاق من عالم رمادي.
تبعثرتْ أفكاره، تمازجتْ أوهامه بواقعه، وأحلامه بحقائق وجوده، فسألها إن كانت قادرة على أن تتشفّع له ليقيم معها في خِضَمِّ هذا النعيم.
مسَّدَتْ شعره الأشيب بأنامل غضَّة، مبيضّة، ثمّ مرَّرَتها على أخاديد وجنتيه المتغضِّنَتَين اللتين حفرتهما معاول حصار مديد وحروب عبثية متعاقبة.
ما إن عثرت عليه ها هنا حتى هفا قلبها إليهَ كما يهفو الفراش جهة الضوء .
عَمَدَ أن يبوح لها بأن خطرهم ما زال قائمًا، واصفًا أشكالهم وألوانهم الغرائبيّة بأنّهم سود، عراة، طوال، ناحلون، تتلفع عوراتهم بخرق صفر قذرة.. في إحدى قبضاتهم كرات نارية مُسنّنة وفي الأخرى رماح تعلوها نهايات مدببة. بَدَوْا كأنّهم لا ينتمون إلى جنسنا.
راح قلبها ينقبض من بشاعتهم المقرفة، مستذكرة كيف أنَّهم ظفروا بها أيضًا قبل شهرين في إحدى ليالي عشقهما المُسَرْدَق بالصفاء.
أشار إليها بأنّه نجا من شرورهم بعد أن احتمى في نفق فضي مثلّج، فحَشَرَ نفسه في جوفه بضغط وكبس شديدين، حتى غدا ها هنا.
دنتْ منه قابضة على كفيه، متأملة خرائط العمر التي بانتْ على محياه المجعّد:
"لقد شاخ وجهك كثيرًا"
"وأنتِ ازددتِ بريقًا وحُسنا ".
صَفَقَتْ إحدى طيور الإوز جناحيها الأبيضين على سكون البركة فتناثرت وارتجت مياهها، وطارت في لحظة واحدة جميع الطيور عبر سماء مزرقة ملتمعة بحمرة العصر القانية.
تكدَّرَتْ ملامحها، رحلت عيناها جهة تحليق الإوز في سكك فضاءات سامية، ثمّ أرسلتُ بصرها إليه، هامسة: "الآن تغلّبتْ تلك المخلوقات البشعة عليكَ".
تشوّشتْ مداركه، تحيّرتْ أفكاره، انهارت قواه .
وإذ رسمتْ آلامه أمارات التِياع في عينيها وضّحت له أن لا تبتأس فروحك ما فتئت طليقة كتلك الورود الحمر المنعكسة صورها على شفيف ماء البحيرة.
ثم أخبرته بأنّه يقف قبالها بكلّ حقيقته.. وإنَّ أعتى أبالسة الكون هي أحقر وأوهن من أن تمسّ روحه المفعمة بالحب.
وإذ سألها عن مآل جسده، التمعتْ عيناها بقطرات اندلقتْ من مآقيها.
عانقته وخفّفت عنه وطأة ما ينوء به.
أزاح ذراعيها برفق، وسألها بإصرار عما جرى لجسده.
بكتْ، فتكسّرت ألفاظها بين طيات حنجرتها وأباحت له:
إنّ رماحهم ما انفكّت تنهش في أحشائِك.
انتفختْ أوداجُهُ فرقًا وسألها فيما إذا كانت واثقة من قولها.
ردّتْ بمرارة اعتصرت كبدها :
-أولادُنا هناك يترقبون اجتياز نعشك من رواق مستودع الجثث .
تنهّد مرتاعًا وتحسّس كما لو أنّ ذاته تُنتَزَع من ذاته.
تشابكتْ أصابعهما.. أضحت روحه الساعة مفارقة لجسده المسجّى في وادي السلام
يرافق جنازتَه أولادُهما الأربعة ..
متطوعو الدفن ببدلاتهم البيض وأقنعتهم السود وقفازاتهم الزرق، يتولّون مهام تجهيزه من غسل وتكفين وصلاة ومن ثم دفنه في حفرة عميقة شقت لحدها أسنان جرافة.
مافتئت الأرزاء تعتصر أفئدتهم.. كيف لا وهم يفتقدون أبوين في غضون أقل من شهرين.
قالت ذلك واجتذبتْ معصميه إلى صدرها الخافق، مُتأوِّهَة.
- إن مرأى القبر أفزع روحك فحطت بجناحيها إلى المقربة من هذه البحيرة.
تلمّس ذاته الأثيرية شاعرًا كما لو أنّه أنسلّ من زحام.
أسبرت غوره وتنهدت بحبور:
"هكذا هو سفر الصلحاء".
هاج نسيم العشق الأبدي على ربوع فراديسهم، تنفّس كلاهما حياة أخرى بهيجة، ماحية دنيا الطغاة والظّلمة .
عانقته بحماسة، ثمّ حملقتْ في قسماته الناصعة، مقهقهة، مشيرة بسبّابتها إليه، هاتفة بفرح:
"لقد عادتْ إليك نضارة الشبيبة".
ضغطها بشدّة إلى صدره المفعم بسعير الشوق ..
وابتدأتْ أولى رحلاتهما عبر سكك فضاءات الأبدية.

(بين شوارع بغداد)

زينب كريم الداوودي
العراق

في صباح الثاني عشر من مارس، كانت نسمات الهواء تدللى بأريحية و الرؤية كانت أشبه بجمال عيناها، والشوارع قد ودعت المحبين، والحدائق خلت من العشاق، الذين كانوا على مقاعدها ينثرون الحب على كل المارين، حتى العشب الأخضر كان له نصيب من ذلك، يتهامسون في ما بينهم ربما كانت العصافير تسمعهم وتتهامس معهم من خلال زقزقتها، يكسرون سكون الشوارع بضحكاتهم، وبدلاً من ذلك لقد مضيت أسير وحدي وأرى بعض المارة مسرعين إلى عملهم والنساء مع بعضها يتبغددن بعيونهن ذات الكحل الأسود يتبضعن من الأسواق، وقريباً منهم تصطف عربات الباعة الجوالين تبيع كل شيء من ألعاب الأطفال و أدوات المنزل الرخيصة وبعض القطع القديمة التي تعود ربما إلى زمن الثمانينات حيث القبعات الفرنسية الكلاسيكية والاقلام المستعملة لماركات مختلفة و أرى المارة يتسارعون حتى يأخذون منها ما يمكن أن تفيدهم لغرض الاقتناء أو لأغراض أخرى

وترى في الجانب الآخر ماسحوا الأحذية الذين أنهمكوا في عملهم ولم أرى في عيونهم أي خجل أو حتى الشعور بالعار، لم أرى أي غرابة بالموضوع ربما كان هذا شعور البعض لكن محزن ما نفكر فيه، حيث يستغرق الزبون بقراءة صحيفة وقد جلس على كرسيه المرتفع وأسلم رجله لماسح الأحذية باطمئنان تام.

وهناك أحد ماسحي الأحذية لم يجد زبوناً حتى تلك الساعة فجلس على الكرسي المرتفع وخال لي بأنه رأى نفسهُ زبوناً فاخراً يجلس ويقرأ الصحيفة بكل هدوء لم تراودني حينها فكرة ملعثمة وما أن كان يشعر بالعجز أم بالكبرياء.

لقد كانت هناك أمنية مرمية على الأرض يدعس المارة المتفاخرين عليها، وأصبحت بعيدة المنال على أن تتحقق في بلد أصبح فيه الفقر والبؤس في شواراعها أكبر ، حيث الشوارع مزدحمة بالناس والحافلات ممتلئة وسيارات الأجرة الصفراء اكتسحت الشوارع، في حينها صوت النوارس كانت تعلوا فوق جسر الأحرار وهنا في هذا المكان وقد سرح بالي بأفكار كثيرة حتى نبهني صوت بوق أحد السيارات وأنا أرمي قطع الخبز الصغيرة لأشعر ببعض من الحرية في زمن لا حرية لنا.

سَأَلْتَفُّ لِلْماضي

اسماعيل خوشناو/العراق

سَأَلْتَفُّ حَوْلي نَوْمٌ
لَعَلَّ الْماضيَ يُغازِلُني على سَطحِ الْبَيْتِ
طائِرَةٌ وَرَقِيَّةٌ يَنْتَظِرُ
كانَتْ السَّماءُ تَعرِضُ لَوَحاتِها
مِنْ صُنْعِ يَدِي وَالنُّجُومُ في عُلُوٍّ
اِبْتِساماتٌ تُحلِّقُ حَوْلَها تُغازِلُ الْعُيونَ
تَنْسِفُ كُلَّ هَمٍّ عِشْقٌ
هَلْ تَرَى على الْأَرضِ لا مَثيلَ لَهُ مِنَ الْمُدُنِ
غُصناً مِنَ الْمِحَنِ مَشْهَدٌ
كُجَّةٌ تُلاطِفُها الْأَصابِعُ يَضَعُ النُّقْطَةَ
وَالضَّحْكَاتُ في نِهايَةِ كُلِّ يَوْمٍ
تَرقُصُ رَقْصَةً صَوْتُ الْوالِدِ
قَد جازَتْ صُورَةَ الْعَلَنِ وَابْتِسامَةُ الْأُمِّ
الْعَيْنُ أَيَا وَلَدي
غَمَّضَتْ مَنافِذَها نَمْ
صَوْتُ الْأُمِّ فَالْوُرُودُ
يَقْتَرِبُ بِأَنامِلِهِ على الْبابِ
عَشَاءٌ لا يَكُونُ لِلْحَياةِ حَتْماً
فَتَحَ لِلْعائِلَةِ كَفَّهُ وَحشَةٌ
وَحَديثُ الْوالِدَينِ مِنَ الْوَهَنِ
وَفَرحَةُ إِخْوَتي ******
تَمْسَحُ كُلَّ جَنْبٍ 13/05/2022
مِنَ الْحَزَنِ .....

بين اتخاذ الأصدقاء وخسارتهم مسافة قصيرة

غسان حداد/سوريا

- ... لم أكن لأخاطر بسمعتي ، لو لم أكن متأكداً من النجاح !.

بهذه العبارة الواثقة ختم الشاعر وطبيب العيون (شاكر) لقاء الاستشارة؛ الذي انتظره طويلاً الشاب المراهق (شاهين) .

وأمام باب العيادة قال الطبيب مودعاً :

- أحضر والدتك يوم السبت لنجري لها بعض التحاليل ...إذا كانت الأمور كلها على ما يرام؛ أجرينا العملية الجراحية يوم الأحد .

قبل أن ينعطف شاهين خلف الباب فرحاً، استوقفه الطبيب قائلاً :

- على الريق لا تنسى ...

بينما هو يقطع المسافة مهرولا؛ كي يلحق بآخر حافلة تقله إلى طرطوس ؛ نشأ يحاور ذاته لاهثا بصوت يسمعه:

- ترى هل تعود والدتي فتبصر من جديد ؟ .

- قال الطبيب إنها عملية في غاية الدقة !!

- كيف يطعمون القرنية ؟. وكل شيء فيها يتم على نطاق جد صغير ...

- كيف تعلق الأجفان (بالمشابك) ؟ كما أطلق عليها تعريفه !.

أدرك مركز انطلاق (الهوب هوب) للحافلات الشعبية متأخراً، كادت تفوته الرحلة الأخيرة، لم يخطئ المقعد، جلس فوق المحرك متفكراً، تتقاذفه رياح التداعيات والاهتزازات العنيفة :

- ربما فهم الطبيب أنني غير قادر على تحمل مجمل التكاليف ...

- بعضهم يسهل الموت، وعندما تعلق أظفاره في ثنايا محفظة نقودك، لا يعلم إلا الله ماذا سيحل بك ...؟!

- ولكن الدكتور شاكر ليس منهم، على الأقل هو شاعرٌ قبل أن يغدو طبيب عيون مشهور !!.

- الأطباء كلهم على الشاكلة نفسها، وإلا كيف مات والدي؟!. مجرد خطأ طبي بسيط؛ وخرج الطبيب على إثره ليقول لنا دون اكتراث :

- البقية في حياتكم ... كانت الزائدة منفجرة رغم نجاح العملية، هذا ما سبب المأساة ؟.

هز رأسه بحزن اليتيم ابن الثامنة عشرة .. همس لنفسه بحقد :

- ذاك المأفون، لم يكن يدري أنه زج والدتي وإخوتي السبعة في معركة ساقت إلينا شتى أنواع الفاقة، قهر مستقبلي أن أكون طبيباً، جعل مني آلة حرث تعمل نهاراً مكان والدي وليلاً في الدرس ومساعدة أشقائي، بينما والدتي تجمع وتنتقي حبات (الصويا) المبعثرة في شتى أرجاء مستودعات التخزين الرطبة !!.

فجأة هدأ صراع مونولوج التداعيات، نزل راكب آخر، وتابعت الحافلة رتابة ضجيج محركها ومرة أخرى انساق شاهين في صراع الحوارات. كثيراً ما توقفت الحافلة الشعبية ... وكثيراً ما تقطعت سلسلة أفكار تلميذ الثانوية العامة بفرعها الأدبي .

(ومضت أربع سنوات مضنية حافلة بالجهد والتحصيل)

وهو يسترخي على مقعده الوثير في حافلة حديثة، يتهادى كمركب ملكي فوق صفحة ماء رقراق، قال :

- سيان أن تكون محامياً تدافع ضد الظلم بقناعة، أو طبيباً تحارب ضد المرض بشرف ...

حرك فتحة التهوية، ما لبث أن غاص في تداعياته ومقعده ممتطياً متن الأحداث. هاجت ذكرى تطوف أرجاء حيثيات دقيقة، هز رأسه مبتسماً :

- واستفاض الدكتور شاكر يشرح لي - كمحاضر بارع - كيف ألقى هالة الضوء الصغيرة على العين الكفيفة، التي أخمدها المخدر، كيف علّق الأجفان برفق، كيف فحص بالمكبر القرنية الغائمة هامساً لنفسه :

- أحتاج إلى سبع مليمترات فقط ؟!.

كيف التقط المبضعين الدقيقين المتوازيين المثبتان على حامل منزلق، بعد تأكده من المساحة المطلوبة؛ قطع جزءاً مربعاً من العين،علّق الطعم بشبكة خيوط عنكبوتية الشكل أعده مسبقاً،تلك التي ستثبت داخل العين المريضة .

- .. رفعتُ القطعة المعدة وزلقتُها فوق الجزء الذي اقتطَعتُهُ مسبقاً شَدَدْتُ شبكة الخيوط وعقدتها بعناية فائقة ... وعصبت العين المصابة بضماد أسود .

ابتسم المحامي شاهين لذكرى سعيدة مفرحة، وهمس في خلوة ذاته :

- بعد ذلك، استكانت والدتي عدة أيام، رأسها المثبت بلا حراك خائف من أن يكون الإبصار ضربا من الوهم . لن أنسى تلك اللحظة التي رفع الطبيب شاكر العصابة عن عينها، وكيف أنها صَرَخَتْ بنشوة خائفة :

- شاهين إنني أراك ؟!!.

توقفت حافلة (القدموس)، ترجل أحدهم، نظر شاهين من النافذة شاهد الليل خارجاً، ما لبثت أن تماوجت الحافلة، الأشجار والأخيلة بدأت تتراكض نحو الخلف؛ كمروحة سق بيتهم.. أرجع مسند مقعده الوثير، أسند رأسه وغام ثانية في تداعيات مختلفة .

- يوم دعت لجة مهرجان السنديان السابع الدكتور شاكر للاشتراك بالفعاليّة في قرية (الملاجة)، كانت قصيدته رائعة؛ تلك التي تحاكي معاناة أطفال الحجارة في انتفاضتهم الأولى، وكذا كنت أنا محقّا حين قطعت إلقاءه الشعري مرّات عديدة بتصفيق حاد، كأنني أفرض على الجمهور مؤازرتي . ولكن لماذا اندفعت نحوه صائحا مهنّئا؛ فور انتهاء فعاليات اليوم الأول قائلا :

- دكتور شاكر، دكتور شاكر هل عرفتني ؟!.

لن أنسى نظرته إلي مطولاً، لم تكن قسمات وجهه راضيه، رغم إعجاب الحضور بقصائده .

أوجعتني تلك العبارة التي قالها

- إذاً لم تكن تصفق للمعاني والعبارات الشعرية يا شاهين !!.

ونام شاهين حزينا، تهدهده الحافلة الذاهبة إلى بغيتها والمسافرين .

.....

الملّاجة : قرية في محافظة طرطوس على طريق الدريكيش..حَبَتْها الطبيعة جمالاً أخاذاً. يقام فيها سنويّا مهرجان السنديان للشعر والفنون .

سوف تخسر

سامح أدور سعدالله/مصر

حتى لا يخيم الضباب
على خيمتك القديمة
سوف أخبرك بالأمر..... الهام
"سوف تخسر "
اسمع يا صديقي الذي ؛
لم تسمع لي جيدًا
أغلقت أذنك
و أغمض عيونك
كما مرةٌ وعدتك بالسلام .
تذكر؛
كما وعدتك بالسلام. يرفرف بأجنحة الأمان
كنت سوف أعطيهم لك.
في المحبةٍ في المودةٍ في المعزةٍ
لماذا تعجلت الامر؟
رغم إني قد وهبتك كل شيء
فلا تحزن عندما تراني في رحلة حياتي
و إحساني و عطفي
يتدفق كالفيضان
في الوديان
الجافة تجري ينابيع خيري
تسقي الأيائل والظباء و الطيور
ربما لا تعي في الأمر شيء
لكنك لم تحسنِ الاختيار
في أي شيء
تلك الطيور التي تحط رحالها
و ترجوا أناشيد السلام
حتى تقف على أغصانها في وئام
تدنوا من منابع المياه
تروي ظمأ الأيام العجاف
تغني عوض الأسر القديم
في قفص مظلمةٌ أسواره
قضبانه نار ملتهبة
يا من كنت؟
تسعى للحلم السعيد
قد وعدت بأن ؛
تطرق باب الأمل من جديد
أنظر ماذا فعلت ؟
عليك أن تجني ما صنعت
حينها لا تحزن و لا تندم
و عن كلمة الحق لا تغفل
عش بالسلام إن أمكن
فا الهدوء و السكينة
كنزٌ عنهم العاقل لا ينسى
ليس بالمدهاناتِ و المجاملاتِ
تصبح الدنيا أجمل

بريشة رسام "العراقية الاسترالية" الفنان عبد الفتاح حمودي/ سيدني

بريشة رسام "العراقية الاسترالية" الفنان طالب الطائي/ العراق